الجزء الرابع المجلد الحادي والاربعون

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق
« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٩٦٦م جمادى الآخرة سنة ١٣٨٦هـ

الموسوعة العربية الميسرة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مقدمة :

الموسوعة مصطلح عربي حديث لما يسمى بالفرنسية Encyclopédie أي جملة المعارف، أو الكتاب الذي يتناول أسس جميع العلوم، أو الذي يتناول جميع أجزاء علم من العلوم، كقولنا أنسيكلوبيدية حقوقية أو زراعية وهكذا.

ومن المصطلحات العربية الحديثة لهذه الكلمة الفرنسية « المَعْلَمة »، ومنها « دائرة المعارف ». فهذه ثلاثة مصطلحات معروفة لمسمى علمي واحد مشهور. وهذا الأمر دليل من الأدلة الكثيرة على حاجتنا إلى توحيد المصطلحات العلمية، وهي الحاجة التي طالما بحثنا فيها.

والظاهر أن الشيخ ابراهيم اليازجي كان أول من سمى هذا النوع من المؤلفات بكلمة «موسوعات»، ذاهباً إلى أن طاشكبري زاده استعمل هذه الكلمة في كتابه «مفتاح السعادة ومصباح السيادة». ولكن ما جاء في كتاب طاشكبري المذكور هو كلة «موضوعات»، أما كلة «موسوعات» التي رآها اليازجي فهي مصحفة، على ما كان أثبته أحمد تيمور باشا والأب أنستاس الكرملي (١).

وكلة موسوعة التي هي اسم مفعول من وَسِعَ الشيء لا وجه علمي لها، فهي لا تدل على أنها تسع العلوم، وهي حديثة كما قلت لم أرها في معجم قديم ولم أصادفها في كتاب من كتب الأدب القديمة حتى في مثل قولهم موسوعة الأشياء لا العلوم.

أما «المَعْلَمة» فقد وضعها الأب أنستاس الكرملي. وهي أصلح بكثير من «الموسوعة»، فالمعلمة على وزن مَفْعَلة، صيغت قياساً من كلة «عَلِمَ» الثلاثية، وهي تدل على المكان الذي تكثر فيه العلوم. ومثل هذا المكان قد يكون أداة أو يكون وعاء، فالمعلمة وعاء العلوم. ويجوز كسر ميمها لأن الوعاء ربما حُمل على أنه آلة للحفظ.

وأما اصطلاح «دائرة المعارف» فقد كان المعلم بطرس البستاني أطلقه اسماً لسفره الجليل الذي بعاد اليوم تأليفه وطبعه في بيروت في حلة جديدة. وكان هذا الاصطلاح اسم علم لذلك المؤلف، ثم صار اسم جنس لكل معجم جامع للعلوم. ولهذا كان الأستاذ محمد فريد وجدي قد سمى معجمه العلمي الموجز «كنز العلوم واللغة»، وسماه بعد أن وسّعه «دائرة معارف القرن العشرين» الميلادي، أو «دائرة معارف القرن الرابع عشر» الهجري. ونرى الذين ترجموا الأنسكلوبيدية الإسلامية قد سموها «دائرة المعارف الإسلامية».

(١) من بحث لأحمد تيمور باشا في هذه المجلة (المجلد الثالث سنة ١٩٢٣ ص ٥٦).

والكلمة الفرنسية من أصل يوناني . وهي مؤلفة من ثلاث كلمات بمعنى « في دائرة المعارف » ، فمصطلح « دائرة المعارف » هو إذن أصلح المصطلحات الثلاثة من حيث المعنى ، ولكنه مؤلف من كلمتين . ومن الأصلح أن يكون المصطلح كلمة واحدة تيسيراً للنسبة إليه ، فهل نختار « المعلمة » أم نختار « الموسوعة » ؟ فالأولى لها وجه علمي صحيح كما قلت ، وهي تستعمل في العراق والشام . أما الثانية التي لم أر لها وجهاً علمياً فهي شائعة في مصر خاصة . وقد بدأت تشيع في غيرها . ويكفي لإشاعتها أن تجيء اسماً لمثل المعجم العلمي الذي نتكلم عليه (١) . وقد فتشت في « المعجم الوسيط » عن المصطلحات الثلاثة فلم أجدها . ولا أدري هل أقر مجمع اللغة العربية في القاهرة أحدها ، أم أقر غيرها ، أم لم يقر للكلمة الفرنسية مصطلحاً عربياً ما حتى الآن وهو ما أظنه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما هي « الموسوعة العربية الميسرة » ؟

للولايات المتحدة الأميركية ، في البلاد العربية ، خطة سياسية ترمي إلى بث ثقافتها بالاتفاق على ترجمة كتب أميركية إلى لساننا . وقد تُرجمت حتى الآن كتب كثيرة مفيدة . وآخر ما اطلعنا عليه منها هذه المعلمة التي نُشرت في سنة ١٩٦٥ .

وأداة النشر هي « مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر » ، فهي التي أنفقت على إنجاز قسم من المشروع ، كما أنفقت « مؤسسة فورد » الأميركية على

(١) صدر في سنة ١٩٦٥ م في بيروت معجم سمي « الموسوعة في علوم الطبيعة » . وصدر في بيروت أيضاً معجمان أحدهما سمي « المرجع » ، والثاني « الرائد » ، ولعلنا نتمكن من إبداء رأينا فيها .

إنجاز قسمه الأكبر . وقد اتخذت معلمة أميركية أساساً للعمل ، وهي « موسوعة كولبيا فايكنج دسك » ذات المجلد الواحد .

ومن الطبيعي القول بأن فائدة الأميركيين في مثل إصدار هذه الموسوعة بالعربية إنما هو تعريفنا برجالاتهم من علماء وسياسيين ، وتعريفنا بتاريخ بلادهم وجغرافيتها وغير ذلك ، ونحن لا ننكر الاطلاع على ثقافة الشعوب الأجنبية أياً كانت بشريطة أن لا يؤثر ذلك تأثيراً مضراً في ثقافتنا العربية .

أما فائدتنا من مثل هذه الموسوعة فهي أنها تطلعنا على مجمل معارف عصرية مختلفة ، عدا أنها تتيح لنا أن نضم إليها الكثير من معارف بلادنا العربية في القديم والحديث .

ففي بضع سنوات تألف في القاهرة مجلس سمي مجلس المديرين مهمته إصدار هذه الموسوعة مستعيناً بعدد من الخبراء الاختصاصيين بمختلف العلوم .

وكان زميلنا في مجمع القاهرة المرحوم محمد شفيق غربال رئيسَ هذا المجلس . وفيه سبعة عشر عضواً ، معظمهم مصريون ، وكلهم من العلماء والأدباء المعروفين بسعة معارفهم . أما الخبراء فعددهم يقارب المائة . ومعظمهم مصريون أيضاً . وكل منهم اختصاصي بمادته العلمية .

صدرت الموسوعة سنة ١٩٦٥ م ، وقامت على أساس اطراح التفصيلات التي لا تهمنا في الموسوعة الميسرة الأميركية الملمع إليها ، وعلى إضافة ما له صلة بنا من المعلومات في العلوم المختلفة ، فجاءت المعلمة في مجلد واحد ضخم يشتمل على ألفي صفحة كبيرة ونيف .

ومن الطبيعي أن لا يجيء هذا العمل الشاق خالياً من الأغلاط والهفوات والنواقص والزوائد ، وهذا ما أدركه القائمون عليه فقالوا في المقدمة : « إنها (أي الموسوعة) تطمع في أن تتلقى عشرات بل مئات من الملاحظات

والنقد الأمين المخلص الذي يتطلع إلى الكمال ، لا الذي يتلمس النقص أو يتصيده . إنها ترجو أن تكون هذه الطبعة المحدودة العدد بمثابة التجربة الأخيرة من تجارب المطبعة ، تعرض على القراء ليشاركوا بدورهم في أن تكون طبعتها المقبلة أقرب إلى الكمال » .

وفي آخر المقدمة قالوا : « وكلنا أمل في أن تكون هذه الموسوعة العربية الميسرة مجرد البداية الطيبة المتواضعة في سبيل الموسوعة العربية الكبرى التي نأمل ألا تطول أعوام انتظارها » .

إن كلاماً مهذباً كهذا الكلام يقوله واضعو المقدمة قد حداني على تقليب صفحات من الموسوعة وإبداء ملاحظات موجزة جداً على ما استوقف نظري فيها .

ملاحظاتي على الموسوعة العربية الميسرة :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١ — جميع مواد الموسوعة غير مشكلة . وهذا نقص كبير أرى ضرورة تلافيه كلياً أو جزئياً ، ولا سيما في أسماء الأعلام الأجنبية وأسماء الأعيان المعرّبة .

٢ — من الضروري في نظري أن تكتب بحروف لاتينية أسماء الأعلام الأجنبية كأسماء الأشخاص وأسماء البلاد والمدن والمواقع الجغرافية ، وكذلك الأسماء العلمية للنبات والحيوان ، فقد جاءت كلها بحروف عربية غير مشكلة ، ولم تذكر بحروف لاتينية ، ولهذا أمسى من الصعب جداً معرفة صحة عدد كبير من تلك الأسماء . ولنضرب كلمة مُغنات مثلاً فالمغنات معروف في مصر . وجاء اسمه في الموسوعة بالتاء ، والصحيح بالثاء . ثم جاء اسمه العلمي هكذا « جلوسستيمون بروجيوري » فهل يستطيع غير العارف بهذا الاسم أن يحزر ما هي صحته ؟ وهو بالحروف اللاتينية Glossostemon Bruguieri . ولنذكر أيضاً الخيار مثلاً ، فقد ذكروا أن اسمه العلمي « كيوكيوميس ساتيفس » ،

والصحيح « كُوكوميس ساتيڤوس » لأن الاسم العلمي ليس انكليزياً ، وهو بالحروف اللاتينية Cucumis sativus . ومثل ذلك كثير .

٣ — خبراء الموسوعة بالعلوم الزراعية المختلفة متفاوتون في معرفة مصطلحاتها العربية ، فمنهم من استعملوا مصطلحات صحيحة أو راجحة ، ومنهم من خبطوا في المصطلحات خبط عشواء ، فتراهم يستعملون كلمات عامية بدلاً من الكلمات الصحيحة كقولهم مثلاً السنامكي والجبهان والكراوية والحمام الزاجل والصحيح السنا المكي وحب الهال والكرويا وحمام الزاجل . وفي مادة دفيئة قالوا الخضروات والصحيح الخضراوات . وفي مادة خرنوب ولوبياء قالوا إنهما من الفصيلة البقلية والصحيح من الفصيلة القرنية . وفي مادة الكراث المصري قالوا إنه من العائلة الزنبقية ، والصحيح من الفصيلة الزنبقية . وفي مادتي الفول والفول الرومي ذكروا أن الأول من الفصيلة القرنية والثاني من الفصيلة البقلية ، وجعلوهما نوعاً واحداً هو ڤيسيافابا Vicia faba . وفي مادة « سرابيغو ، جامعة » قالوا الأحراش ، والصحيح الأحراج . وفي مادة نعناع قالوا الزعتر والصحيح السعتر والصعتر . وفي مواد أخرى استعملوا كلمات المتك والمتاع والحلة ، والصحيح المثر والوزيم (أو المدقة) والتُّوَيْة . وأطلقوا « عيش الغراب » على جميع الفطور السامة والتي تؤكل . والذي نعرفه أن هذا الاسم العامي في مصر يطلق خاصةً على الفاريقون الزراعي الذي يؤكل ، ولا يجوز استعماله بمعنى الفطر عامةً .

ولم يتحروا في معجم الألفاظ الزراعية أو في غيره الأسماء العربية لبعض الفصائل النباتية بل ارتاحوا إلى سهولة التعريب . فالفستق عندهم من الفصيلة الأناقردية ، والصحيح الفصيلة البطمية ، والقلقاس من الفصيلة الأراسية ، والصحيح الفصيلة القلقاسية (أو اللوفية) . وأذن الحمار من الفصيلة البوراجينية ، والصحيح الحِمْحِمية وهكذا . ولا يجوز الاكتفاء بالأسماء المعربة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولم يُذكر نوع الضأن ، بل قالوا الغنم ، ولا نوع الخيل ، بل قالوا الحصان . وسواء في هذا النوع من الحيوان أو ذاك جعلوا سلالاتها أنواعاً : الخ . الخ .

والخلاصة أن مواد العلوم الزراعية ولا سيما مواد النباتات الزراعية جاءت كثيرة الأغلاط ، فلعل القائمين على الموسوعة يختارون للطبعة القادمة بضعة علماء زراعيين قادرين على تمييز الصالح من المصطلحات ، (وكذلك في سائر العلوم) فالموسوعة لم تصنف للعامة بل للمثقفين ، ولغتها يجب أن ترفع لغة العامة لا أن تهبط إليها ، ومن المؤسف أن هذه الحقيقة لا يراعيها كثير من المؤلفين بالعلوم الزراعية في البلاد العربية .

٤ — من الأمور الصعبة التي يجب الانتباه إليها تحديد الأعلام الجغرافية التي يفيد نقلها من الموسوعة الأمريكية إلى الموسوعة العربية ، وتحديد الأعلام الجغرافية العربية التي يفيد إضافتها إلى هذه الموسوعة العربية . فقد لاحظت مثلاً أنهم ذكروا نهر كوكا في أمريكة الشمالية ، ولم يذكروا نهر الخابور في سورية . وذكروا في مادة «ربوة» أنها تل في الولايات المتحدة ، ولم يذكروا ربوة دمشق حتى ولا غوطتها الشهيرة . وذكروا من المدن الصغيرة التي لا شأن لها بلدة شالون سور سون في فرنسة ، وبلدة أسكي شهر في تركية (وقد عرفتها) ، ولم يذكروا في سورية بلدة درعا ولا بلدة الحسكة وكل منها مركز محافظة . ومثل ذلك كثير [١] .

٥ — لم يتبعوا في بعض شؤون المصطلحات قرارات مجمع اللغة العربية في القاهرة .

---

(١) للأستاذ الشيخ حمد الجاسر أحد أعضاء مجمعنا المراسلين مقال ثمين عنوانه «الموسوعة العربية الميسرة» نُشر في عدد الثامن عشر من ذي الحجة سنة ١٣٨٥ والثامن من ابريل «نيسان» سنة ١٩٦٦ من صحيفة «المدينة» التي تصدر في جدة ، ولا بد أن يكون القائمون على الموسوعة قد اطلعوا على ذلك المقال .

فمن جملة تلك القرارات مثلاً : « لا مجال النحت ولا للتركيب المزجي في تصنيف المواليد الثلاثة ، ولا حاجة إليها » . وعلى الرغم من ذلك نجد في الموسوعة مثل قولهم : « بَطْنُ قَدَميَّات » و « رأس قدميات » بدلاً من « بطنيات الأقدام » ، و « رأسيات الأقدام » . ومثل هذه الرطانات التي اقتبسوها غير قليل .

٦ — الشؤون التاريخية والجغرافية والقومية في كل قطر عربي لا يجوز أن يكتب فيها إلا علماء اختصاصيون من ذلك القطر ، ومن الشهود لهم بالمعرفة والتدقيق ، وإن يكن عددهم صغيراً ، ولو راعى القائمون على الموسوعة ذلك لما قالوا في مادة « الاستقلال العربي ، حزب » :

« قامت في سورية الكتلة الوطنية (١٩٢٨ — ١٩٤٨) برئاسة خالد العظم » ! ولما كتبوا ما كتبوه من الخلط في مادة « حوران » كقولهم إن غالبية سكانها من الدروز ، وقولهم : « سادها الدروز المعنيون وشوحمدان وآل الأطرش » فتأمل ! .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٧ — رمزوا في الأعلام الأعجمية إلى الحرف اللاتيني (g) والحرف اليوناني (γ) بالحرف العربي (ج) . ورمزوا إلى الحرف (j و dj) بحرف جديد أوجد في مصر حديثاً ، وكاد يشيع فيها ، ثم أخذ استعماله يقل ، وهو الحرف (چ) بثلاث نقط فترى في الموسوعة مثلاً :

جورج أيمض بدلاً من جورج أيمض ، وجنيف بدلاً من جنيف . وعلى العكس من ذلك مثل « جاربو ، جريتا » ، ومثل جازولين ، وجلاسجو ، وجليسرين وأمثال ذلك من الرمز إلى الحرف الأعجمي (g) بالحرف العربي (ج) .

وسبب ذلك معروف وهو أن سكان القاهرة والوجه البحري ينطقون بحرف الجيم العربي غير معطش أي مثل الحرف (g) ، على حين أن سكان الصعيد في مصر وثمانية أعشار البلاد العربية الأخرى على الأقل تنطق به

معطشاً أو مخففاً (أي مثل dj أو j بالفرنسية) ، وهذا هو النطق الصحيح به في القرآن الكريم أيضاً . ولذلك لا يجوز في تعريب الأعلام الأعجمية أن ينقل الحرف (g) اللاتيني والحرف (γ) اليوناني إلا بأحد حرفين : إما بالغين كما فعل علماؤنا القدماء جميعاً ، وكما نفعل اليوم في سورية ولبنان وغيرهما ، وإما بحرف جديد نضعه لهما وأصلحه في نظري حرف الكاف له خطان معترضان بدلاً من خط واحد (گ) ، وهو المستعمل بالفارسية والأردو والتركية التي تكتب بحروف عربية . وقد قلت في كتاب المصطلحات العلمية في اللغة العربية (ص ١٧٣) : « أما اعتبار الحرف العربي (ج) رمزاً للحرف اللاتيني (g) في المركّبات فهو غير صحيح ، ومن الغلط أيضاً وضع ثلاث نقط في وسط الحرف (چ) وعده جيماً معطشة في مثل كتابة جيولوجية التي نراها أحياناً في القاهرة ، فإن معنى ذلك عند سكان الصعيد وسكان سائر الأقطار العربية أن الجيم الشجرية أو المعطشة في القرآن وفي المؤلفات العربية قد أصبح لها حرف جديد هو الحرف (چ) بثلاث نقط . وبعد يؤمل أن ينتبه مديرو الموسوعة إلى هذا الموضوع الهام[1] .

٨ – لا أدري لماذا جعلت الموسوعة في مجلد واحد مع العلم بأنها تتألف من ألفي صفحة رقيقة ونيف . فالمجلد الواحد نقله صعب ، وهو ثقيل الحمل على أمثالي من الشيوخ ، وما الحكمة في عدم جعل هذا المصنف مؤلفاً من جزأين أو من ثلاثة أجزاء مثلاً ؟

٩ – الأغلاط المطبعية كثيرة ولا سيما في الأسماء العلمية المعربة للنباتات والحيوانات . ثم إنني قلبت صفحات خمس نسخ من مجلدات الموسوعة فوجدت في

(١) انظر موضوع الحرف اللاتيني (g) في الطبعة الثانية لكتاب « المصطلحات العلمية في اللغة العربية » (ص ١٧٢ – ١٧٤) .

ثلاث منها صفحات بيضاً لم تُطبع ، ومع ذلك أدخلت تلك الصفحات في النسخ المذكورة فجاءت ناقصة .

١٠ — لم تذكر بعض المواد في مواضعها ، ففي مادة « الشهابي » مثلاً ذكروا أربعة أشخاص من أسرتنا هذه ، ولكنهم ذكروا غيرهم في مواد أخرى كالرئيس فؤاد شهاب فقد ذكروه في مادة فؤاد ، وكحيدر الشهابي فقد جاء ذكره في مادة حيدر .

وقد لاحظ الأستاذ حمد الجاسر في مقاله الذي أشرت إليه ملاحظات أخرى من هذا القبيل ، فمن الضروري الانتباه إلى مثل ذلك .

الخلاصة : — هذه أهم ملاحظاتي على « الموسوعة العربية الميسرة » ، وعندي ملاحظات أخرى لم يتسع الوقت لإبدائها . وهناك رأي قديم لي نشرته منذ عدة سنين وهو أن تصنيف معجم إفرنسي عربي ومعجم انكليزي عربي للمصطلحات العلمية يجب أن يسبق تصنيف الموسوعة العربية ، وذلك لكي لا تجيء هذه الموسوعة مملوءة بمصطلحات عربية سقيمة أو مرجوحة أو غير صحيحة (١) .

وبعد إن المعلمة التي نتكلم عليها مفيدة في جملتها ، على الرغم مما اشتملت عليه من أغلاط وشوائب . وعمل كبير كهذا العمل لا يمكن أن يجيء في بادئ الأمر أي في أول طبعة خالياً من الهنات . ولنا ثقة بأن العلماء الذين يتولونه سيحرصون كل الحرص على أن تجيء الطبعة الثانية أصلح من الطبعة الأولى .

مصطفى الشهابي

(١) أنظر الطبعة الثانية من كتاب « المصطلحات العلمية في اللغة العربية » (ص ١٤٧) .

ARCHIVE

لكل عصر لغة

إذا لم يكن تحوّل اللغة على اختلاف العصور أعظم خصائصها فإن هذا التحوّل ، ولا ريب في ذلك ، أوضح هذه الخصائص ، فلا نكاد نمرّ بعصر من العصور إلاّ وجدنا لكل عصر لغة خاصّة وأساليب خاصّة ، فقد تشيع في زمن ألفاظ ثم تبطل هذه الألفاظ في زمن آخر ، وقد تستفيض فيه أساليب ثم لا نجد لهذه الأساليب أثراً بعده ، وقد يكون تحوّل اللغة في بعض الأحيان آية من آيات قوّتها وحياتها ، فاللغة الجامدة التي لا تستجيب لبعض الحاجات قد يقلّ صلاحها للحياة على تراخي الأحقاب ، ففي كل عصر تولد أشياء وتموت أشياء ، ولا بدّ لهذه الأشياء التي تولد من ألفاظ تعبّر عنها ، فالإسلام حوّل ألفاظاً في أوّل عهده عن وجه إلى وجه ، والنحو استعمل ألفاظاً على غير المألوف من معانيها ، وما يقال في الإسلام والنحو يقال في العلم والفلسفة والأخلاق والاجتماع وما شابه ذلك ، ففي هذه الآفاق نجد ألفاظاً ومصطلحات لم يكن لها من قبل المعنى الذي أراده واضعوها .

الخلاصة إن لكل عصر لغة خاصّة ، فقد تعيش طائفة من مفرداتها فيه ثم تموت في عصر آخر ، إني لا أحتاج إلى الإكثار من الشواهد في هذا الباب ، فكل واحد منّا قد مرّ في خلال مطالعاته بقليل أو كثير من هذه الشواهد ، وإذا كان لا بدّ من الاستشهاد فإني أقتصر على اليسير منه .

كنت أطالع معجم الأدباء فوجدت في أخبار أسعد بن المهذّب المماتي هذه العبارة : « فلمّا رأوا أنني لا وجه لي قيل لي : تحيَّل وتجمّم هذا المال

عليك في نجوم ... » . لست أخجل من الاعتراف بأني لم أفهم معنى نجّم ونجوم في هذا المقام ، ولمّا رجعت إلى القاموس المحيط علمت أن نجم المالَ ، مخفّفة ، ونجّمه ، مشدّدة ، أدّاه نجوماً ، والنجوم جمع نجم ومعناه الوقت المضروب ، فمن الذي يستعمل في عصرنا هذا نجّم على النحو الذي استعملت عليه في القرنين السادس والسابع ، أو في القرون السابقة ؟ فنحن نقول في يومنا إذا ركب أحدنا دين ولم يستطع دفعه مرّة واحدة : قسّطه ، بدلاً من نجّمه ، ونقول : الأقساط بدلاً من النجوم ، فالتنجيم بمعناها الأول قد خفيت في عالم الاقتصاد والمال ، وهي لا تعيش إلاّ في عالم معروف ، فالمنجّم هو الذي ينظر في النجوم بحسب مواقيتها وسيرها ، أو الذي يستخرج من هذا النظر التخرّص والأحاديث الملفّقة التي أشار إليها أبو تمّام في قصيدته الخالدة :

أين الرواية ، بل أين النجوم وما صاغوه من زخرفٍ فيها ومن كذب
تخرّصاً وأحاديثاً ملفّقـــة ليست بنبع إذا عُدّت ولا غَرَب

من هذا كله يتبيّن لنا أن التنجيم بمعنى التقسيط قد عاشت في عصرٍ من العصور ثم بطل استعمالها في عصرٍ آخر . ولست ألجأ إلاّ إلى مثل آخر في هذا الباب ، ففي أخبار المدّاني الومأ إليه وقع نظري على هذه العبارة : « وإنما كان مقصودي أن أدعك تعيش خائفاً ، فقيراً ، مجحّجاً في البلاد ..... » . لقد أصابني في فهم المجحّج ما أصابني في فهم نجّم ، ولما استعنت بالقاموس المحيط وجدت أن قولهم : أمجّ زيد معناه : ذهب في البلاد . وقد ورد في معجم الأدباء مجّج بدلاً من أمجّ . وسواء أكانت هذه المادّة أمجّ أم كانت مجّج إنّ معناها القديم : ذهب في البلاد ، شرّد ، ولم تبق لهذه المادة حياة في عصرنا ، وما أكثر الشواهد في هذا الباب .

إلاّ أن هذه الموادّ التي شاعت في حِقْبة من الحقب ، ثم بطــل استعمالها على ممرّ الأحقاب قد نستطيع أن نرى لأكثرها تفسيراً في معجمات اللغة ، مثل تفسير نجّم وأمجّ وغيرهما ، أمّا المصيبة في عصرنا فاننا نمرّ بتعابير لا نفهمها ونحن نعيش مع أصحابها ، ولست أبالغ في قولي إذا قلت إن أكثر هذه التعابير المستحدثة إذا وقفت عليها فاني أسأل عن معانيها فريقاً من أصدقائي الذين يتصلون بالحياة العامة وبمطالعة صحف هذا العهد أكثر مني ، وما أكثر هذه التعابير وما أكثر الذين لا يفهمون معانيها . رجعت وأنا أكتب هذا المقال إلى دفتري الذي أدوّن فيه لغة هذا العصر فوجدت في جملتها قولهم : محاولاً مسح الماء عن وجه الزعيم الروديسي ... وقد استعملت هذه الجملة على المجاز ولم تستعمل على الحقيقة ، ولو استعملت على الحقيقة لما أشكل عليّ معناها ، إلاّ أن استعمالها على المجاز قد غمّض معناها ، فاذا كنت أعيش في العصر الذي شاع فيه هذا التعبير ولم أفهم معناه فما قولنا في العصور الآتية ، كيف يستطيعون أن يفهموا بعد خمسين سنة أو مائة سنة أو أكثر معاني ما يستحدث من التراكيب ، ولا نرى معجماً من معجمات العصر يشرح معاني هذه التراكيب ، فما هي نتيجة هذا كله ؟ إن العصور الآتية يتعذّر عليها فهم طائفة من لغة الحاضر ، فاذا كان تحوّل اللغة على ممرّ الأحقاب قد يدلّ في بعض الأحيان على قوة هذه اللغة وحياتها فان هذا التحوّل إذا أفرطوا فيه واشتطّوا قد يؤدي إلى غموض اللغة بحيث يدقّ على الأذهان فهم أكثرها .

وإذا كان لكل عصرٍ لغة تتحوّل من زمنٍ إلى زمنٍ أفلا نجد للعصور كلها لغة تكاد تكون ثابتة ؟ أفلا نجد أن اللغة السهلة ، البسيطة ، هي لغة العصور كلها ، الخالدة على وجه الدهر ، ولا أدلّ على هذا الخلود من بقايا الفصاح التي لا تزال تعيش في أيامنا على أفواه العامّة وقد مرّ عليها

ألف سنة أو أكثر . فاذا كنت مولعاً بهذه البقايا ، حريصاً على التقاطها وجمعها ، فالسبب في هذا الولع وهذا الحرص سهولتها وبساطتها من جهة ، ثم دلالتها على أمور كثيرة من أمور العمران والاجتماع وغير ذلك . فمن هذه البقايا قولنا في لغتنا العامة : رجع لونه ، نجد في أخبار إسحاق ابن إبراهيم الموصلي في معجم الأدباء أنه وقع بينه وبين إبراهيم بن المهدي شيء من التشاتم ، وقد استخف كل واحد بالآخر ، فرفع الأمر إلى الرشيد وقال له إبراهيم بن المهدي : يا أمير المؤمنين ! شتمني وذكر أمي ، واستخف بي ، فغضب الرشيد ، وسأل خادميه عن القصة وكانا حاضرين ، فجعلا يخبرانه ووجهه يربد إلى أن انتهيا إلى ذكر الخلافة ، وقد كان الموصلي قال لإبراهيم بن المهدي : أرجو ألا يخرجها الله تعالى ، أي الخلافة ، عن يد الرشيد وولده ، وأن يقتلك دونها ، فلما انتهى الخادمان إلى هذا القول سرّي عن الرشيد ورجع لونه...

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

إن مثل هذا التعبير ، رجع لونه ، شائع في لغتنا العامة ، فهو حيّ ، قويّ ، لم يذهب من حياته وقوته شيء على طول السنين ؛ فكثيراً ما يساور أحدنا بعض الغضب أو بعض الخوف وما ماثل ذلك فيربدّ وجهه ويصفرّ ، ثم يهدأ صاحب هذا الوجه وتدخل الطمأنينة عليه فنقول : رجع لونه ، فهذا التعبير من التعابير الثابتة في كل زمن ، لم يتحوّل معناه عن وجه إلى وجه ، وهو سهل ، بسيط ليس في استعماله انحدار عن أفق البلاغة ، إن رأس البلاغة إنما هو البساطة ، فالذين يميلون في عصرنا إلى تراكيب معقّدة ، لا تفهم معانيها ، إنما يبعدون عن البلاغة ، ويبهم كلامهم فلا يفهمه من يأتي بعدهم في مستقبل الأيام ، فاذا كان لبقايا الفصاح مزيّة فان من بعض مزاياها السهولة والبساطة .

ومن هذا القبيل قولنا اليوم في عاميتنا : طار نومه ... فقد جاء في ترجمة الوزير الصاحب في معجم الأدباء كلام لأبي حيّان على الصاحب ، فقد قصّ أبو حيّان قصة طريفة لا سبيل إلى تلخيصها ، وردت فيها هذه العبارة : « فلما زاغ الرجل عن باب ركن الدولة حتى وصل ودخل في ذلك الوقت الفائت إليه ، فقيل لابن عبّاد ذلك ، فطار نومه وقال : أي شيطان هبط علينا .... » . فقد عاشت جملة أبي حيّان : طار نومه ، حتى يومنا هذا ، أفيستطيع أحدنا أن يقول في مثل هذه الحالة التي يغلب فيها علينا القلق أو الاضطراب ولم ينم في الليل أبلغ من هذا القول : طار نومي .

على أن لبقايا الفصاح وجهاً آخر غير السهولة وغير البساطة ، فقد نجد في بعضها ما يصوّر لنا ناحية من نواحي العمران والاجتماع وغير ذلك ؛ إني لا أستعين الآن على توضيح هذه الفكرة إلا بثلاث موادّ : برّاني ، جوّاني ، طرّاحة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كنت أطالع قبل كتابة هذا المقال كتاب معجم الأدباء ، فوقع إليّ في ترجمة المماتي ما سمّاه ياقوت : نوادره الحادّة ، قال :

« وكان له نوادر حسنة ، حادّة ، منها ما حدّثني به الصاحب القاضي الأكرم ، قال : ركبنا وخرجنا يوماً نسير بظاهر حلب ، فكان خروجنا من أحد أبوابها ، ودرنا سور البلد جميعه ، ثم دخلنا من ذلك الباب ، فقال : اليوم تسييرنا تدليك ، قلت : كيف ، قال : من برّا ، برّا ... » .
إني لا ألتفت إلى هذه النادرة مقدار التفاتي إلى هذه اللفظة : برّا ، برّا ؛ إنّا نقول اليوم في لغتنا العامّة : برّا ، أي أخرج ، وقد جاء في القاموس المحيط : من أصلح جوّانيه أصلح الله برّانيه ، وتوسّع الشارح في حاشيته في شرح هذه الجملة واستند إلى من فسّرها على هذا الوجه : من أصلح

سريرته أصلح الله علانيته ، أخذ من الجوّ والبرّ ، فالجوّ كل باطن غامض ، والبرّ المتن الظاهر . وسوآء أكان هذا الكلام من كلام المولّدين أم كان من كلام فصحاء العرب في البادية إني لا أدخل في هذا الاختلاف ، فالذي يهمني إنما هو لفظ : برّاني ولفظ : جوّاني ، وقد عاش هذا اللفظ في عصرنا ، فالبرّاني في لغتنا العامّة معناه : الخارج ، والجوّاني معناه : الداخل ، فنقول : الجرح برّاني ، أي في ظاهر جسم الإنسان ، والجرح جوّاني ، أي في باطن جسمه ؛ وفي دمشق حارة يسمونها : البحصة البرّانية والبحصة الجوّانية ، إلاّ أنّا نلفظ الجوّانية بضم الجيم ، وهي بالفتح ، وبعض دور دمشق القديمــــة التي كان يملكها طبقة من الوجوه والأغنياء تحتوي على برّاني وجوّاني ، فالبرّاني يستقبل فيه صاحب الدار ضيوفه من الرجال في الصباح أو المساء ، وهو ينفصل عن الجوّاني الذي تقيم به النساء ، فهذا البرّاني يدلّنا على نمط من عيشة طائفة من الموسرين والوجوه في دمشق قبل خمسين سنة أو أقل أو أكثر ، فقد كانوا يجلسون فيه ، فيتحدّثون ويسمرون بدلاً من جلوسهم في المقاهي أو المجالس العامّة ؛ أمّا في العمران الحديث فقد بطل هذا البرّاني ، فالدور كلها تشتمل على قسم واحد لا غير ، فيه بهو للضيوف غير منفصل عن أصل الدار .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذا ما يتعلّق بالبرّاني والجوّاني ، أمّا اللفظة الثالثة فهي : الطرّاحة ، فقد جاء لياقوت في ترجمة إسماعيل بن الحسين بن جعفر الصادق المروزي ما يلي : فلما وقف عليه نزل عن طرّاحته وجلس على الحصير وقال لي : اجلس على هذه الطرّاحــــة ، فأعظمت ذلك وخدمته .... » . وورود الطرّاحة في هذه الجملة يدلّ الإجلاس عليهـا على نوع من التكريم ، لم أجد في القاموس المحيط ذكراً للطرّاحة ، والذي نعلمه أن الطرّاحة

إنما هي نوع من فرش البيت ، تبسط على الأرض للجلوس عليها ، وقد تكون مربّعة أو مستديرة أو مستطيلة ، يحشونها بالقطن أو بالصوف ، يجلسون عليها في حالة التبذّل ، لما في الجلوس عليها من راحة ، وقد كنّا في دمشق نستعملها في دورنا القديمة ، في الصيف نضعها في المساء في صحن الدار ونجلس عليها ، وفي الشتاء نضعها بالقرب من المدافئ التي تتحلّق حولها فنجلس عليها أو قد نسند ظهورنا إلى مخدّات على الحيطان ، فالطرّاحة كانت تدخل في أصل فرش الدار ، أمّا اليوم في العمران الحديث فأكثر الجلوس يكون على الكرسي ، أو على ما يسمونه : الديوان أو الكنباية ، فليس في الدور الحديثة صحون دار يجلسون فيها في الصيف على الطرّاحات ، وقد تشتمل بعض هذه الدور على غرفة يسمونها : غرفة القعود ، وقد توضع الطرّاحة في هذه الغرفة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

أفرأيتا كيف ان طائفة من بقايا الفصاح التي تعيش على أفواهنا في عصرنا هذا تفصح لنا في بعض الأحيان عن نمط من أنماط العمران أو الحياة الاجتماعية وأشباه هذه الأمور ؟ فإذا شئت أن أختم هذا المقال فلست أختمه إلاّ بما يلي : إذا كان لكل عصر لغة خاصة ، وأساليب خاصة قد يذهب بعضها بذهاب العصر الذي ظهرت فيه فان اللغة التي تصلح لكل العصور إنما هي اللغة السهلة ، البسيطة ، مثل قولنا : رجع لونه ، وطار نومه ، ونظير هذه الطبقة من بقايا الفصاح .

شفيق جبري

أدب الفقهاء

-٨-

الأخلاق والآداب :

وشعر الأخلاق والآداب أو الوصايا والحكم في أدب الفقهاء ينبوع ثرّ ، ومعدن غني بالأعلاق النفيسة والجواهر الكريمة ، إذ كانوا هم مصدر الآداب ومُقعّدي قواعد الأخلاق ، ما بين شرعية وسياسية . فالمتشرعون منهم يستمدون من الأصلين العظيمين اللذين اشتملا على أحسن الهَدْي ، وهما الكتاب والسنة . والمتفلسفون يأخذون خير ما عند أصحاب التعاليم وعلماء الأخلاق ، مما يتوافق ومبادئ الدين الحنيف الذي يقول رسوله الأكرم ، ﷺ : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، وبذلك يكون الشعر الصادر من الفقهاء في هذا الباب من أمثل هذا الشعر من حيث المضمون ، لاحتوائه على زبدة ما جاءت به الشريعة وأبدته الحكمة من قواعد السلوك ومعاملة الناس بعضهم لبعض ، وأما من حيث الشكل فهو على ما سنرى وما رأيناه في غيره ، حُسنَ بناء وإحكامَ صنعة .

ولعل خير ما نؤيد به قولنا هذا هو شعر الفخر الذي قاله فقهاؤنا رحمهم الله ، فهو يسير على وتيرة غير التي يسير عليها فخر الشعراء الذي يستحيل في بعض الأحيان إلى بهلوانية أدعى ما تكون إلى السخرية منها إلى الإعجاب ، وذلك بما يتضمنه من الادعاء الفارغ والتطاول الذي لا حد له ، في حين أن فخر العلماء ينحو منحى تهذيبياً ويمثل الاعتزاز بالعلم والهمة العالية

والخلق الكريم ، ولذلك أدخلناه في الشعر الحكمي ولم نجعله باباً مستقلاً كما هو في شعر الشعراء غير الفقهاء .

ولنستمع إلى ما يقوله الإمام الشافعي في هذا الصدد :

عليّ ثياب لو يُباع جميعها بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
وفيهن نفس لو يقاس ببعضها نفوس الورى كانت أجل وأكبرا
وما ضر نصلَ السيف إخلاقُ غمده إذا كان عضباً حيث وجهته فرا

فهو يفخر بنفسه ويعتز بها ويقارنها بنفوس من يرى من البشر المتنافسين في الدنيا المتهالكين على الأطماع ، فترجح بها وتسمو عليها ، لأنها ليست من بابتها ولا من واديها ، إذ بينما هذه مطلبها الكمال وتطلعها إلى معالي الأمور ، إذا بتلك إنما تستهويها المادة وليس لها مطلب غير الدينار والدرهم اللذين تتوصل بهما إلى قضاء مآربها الوضيعة ، والظهور بمظاهر العظمة الكاذبة من لباس فاخر وزينة متناهية ، لم يكن للشافعي رحمه الله منها إلا ثياب بسيطة تُراد للستر لا للمباهاة بحيث لو عرضت للبيع في السوق لما تجاوز سومُها الفلس الواحد من بخس ثمنها ووكس قيمتها . ولكن متى كانت قيمة الشافعي وأمثاله فيما يلبسون أو يأكلون أو يسكنون ؟ وأين هم الآن أولئك الذين عابثوه من أهل الثراء الواسع ، والمآكل والملابس ، والدور والقصور ، والخدم والحشم ، والرياش والأثاث ، هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ؟

إنها ملايين النفوس وأعداد الذرّ من الناس ، لا نعرف لهم اسماً ولا نقف منهم على أثر ؛ تمتعوا بزينة الحياة الدنيا وكانت هي غاية مرادهم ، فذهبوا ولم يتحدث عنهم رائح ولا غاد ؛ والشافعي في ثيابه الرخيصة ونفسه الغالية ، ما يزال على مر العصور وتعاقب الأجيال ، خالد الذكر ، عالي القدر ، ملء سمع الدنيا وبصرها .

فهذا فخر يقترن بالتوجيه ، ويوحي بمعان من السمو والعظمة لا يعرفها إلا أهل العلم ، ولذلك جعلناه من أمثلة شعر الأخلاق والآداب .

ومن شعرهم السائر الذي بلغ الغاية في الاعتزاز بالعلم وترفّع حمَلته عن الابتذال ، قول القاضي أبي الحسين علي بن عبد العزيز الجرجاني صاحب كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه :

يقولون لي فيك انقباض وإنما ... رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما
إذا قيل هذا مشرب قلت قد أرى ... ولكنّ نفسَ الحر تحتمل الظما
ولم أقض حق العلم إن كان كلما ... بدا طمع صيّرته ليَ سلّما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي ... لأخدم من لاقيت لكن لأُخدَما
أأشقى به غرساً وأجنيه ذلة ... إذن فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه في النفوس لعُظّما
ولكن أهانوه فهانوا ودنّسوا ... محياه بالأطماع حتى تجهّما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تمثل هذه الأبيات قمّة شعر الفخر في أدب الفقهاء سواء من حيث المعنى أو الأسلوب ، فهي تعبر بأحسن عبارة عن أعمق الشاعر التي يحس بها من أكرمهم الله بالعلم فأغناهم عن كل مطلب سواه ، وصاروا بحيث لا يغريهم المال ولا يغرهم المنصب ، لأن الأجواء التي يحلقون فيها تتكشف لهم عن عوالم في منتهى الروعة والجمال ، تملأ نفوسهم غبطة وسرورا ، وتغمر قلوبهم رضاً وطمأنينة ، فما المال وما المنصب بازاء السعادة التي يجدونها في الانقطاع إلى العلم وحياته الهنية ؟

والناس يرون عزوفهم عن تجمعاتهم اللاهية ، وعدم خوضهم فيما يخوض فيه غيرهم من الأباطيل ، فيصفونهم بالانقباض والشذوذ ، والحال أن وقار العلماء يمنعهم من النزول إلى حضيض الابتذال ، فإذا كان غيرهم من ذوي السلطة والنفوذ يتصنع ويتكلف للمهابة والتوقّر ، فإنّ سمْت العلم

قد أحاطهم بهالة من التعظيم والاحترام تنحسر عنها الأبصار . وإذا كان هذا شأن العلماء الحقيقيين ، فإن غيرهم من المدعين لا نصيب لهم من هذا الشرف ، لأنهم لم يصونوا العلم ولم يعظموه ، ورضُوا أن يكونوا مطية للجبابرة وأعواناً للمتسلطين لقاء ما ينالونه من فُتات موائدهم ، فهم قد حُرموا لذة العلم وحُرموا معها عزته ، وهؤلاء هم الذين يعنيهم القاضي الجرجاني في البيتين الأخيرين من القطعة ، اللذين هما مغزى شعره ، وصرح به ليكون أبلغ في التوجيه والإيحاء .

ومن هذا المعنى قول أبي الحسن التُّهَيْمي البصري أحد مشيخة القرن الخامس :

إذا أعطشتك أكفُّ اللئام كفتك القناعةُ شبعاً وريَّا
فكن رجلاً رجلُه في الثرى وهامةُ همته في الثريا
أبيّاً بنفسك عن باخل تراه بما في يديه أبيا
فإنّ إراقة ماء الحياة دون إراقة ماء المحيّا

وهي أبيات قليلة النظير في الحض على علو الهمة وشرف النفس وعدم التشوّف لما في يد الغير وصيانة ماء الوجه من أن تكدره أو تستنزفه الحاجات والأطماع ، ولعل شاعراً غيرَ فقيه لا يستطيع أن يأتي بمثل هذه الأبيات في بلاغة معناها وجزالة مبناها ، لأن رصيد الشعر مليء بالسؤال والرجاء والأمل ، فلا يتفلّت من يكون هو رأس ماله من تأثيره فيه والإنفاق منه إذا اضطر ذلك ، بخلاف الفقيه الذي يعرف حكم الشريعة في السؤال ، ويروي قول الرسول (ﷺ) : « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب فيبيع فيأكل خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » ، وقوله : « لا يزال الرجل يسأل الناس حتى يُبعث يوم القيامة وليس في وجهه مُزْعةُ لحم » .

فإنه يستقي من ماء غير آسن ، وإذا قال شعراً في وجوب الاحتفاظ بالكرامة الشخصية فلا يكون إلا هكذا .

وحكى السبكي في الطبقات أن البرقاني كان يقول في صاحبنا النُّعَيمي : «هو كامل في كل شيء لولا بأوٌ فيه» . ونحن نقول حبذا البأوُ الذي يُملي على صاحبه هذه الأبيات الرائعة ...

ومن شعر عبد المهيمن الحضرمي وهو من شيوخ ابن خلدون ، وكان كاتب العلّامة لسلطان أبي الحسن المَرِيني قوله ، وفيه لزوم على ما لا يلزم :

أبت همتي أن يراني امرؤٌ ... على الدهر يوماً له ذا خنوع
وما ذاك إلا لأنّي اتّقيت ... بعزّ القناعة ذلّ القُنوع

القنوع السؤال ، ومما حبّب لنا رواية هذين البيتين هنا أن صاحبها كان في حياته العملية عند قوله هذا ، ولم يكن متبجحاً بكلام لا ظل له من الحقيقة كما هي عادة الشعراء غالباً «ألم تَرَ أنهم في كل وادٍ يهيمُون وأنهم يقولون ما لا يفعلون»؛ فقد حدث أن السلطان أبا الحسن المَرِيني الشهير أغلَظ له القول ذات يوم ، وهو يلي كتابةَ عَلامَتِه ، فأخذ عبد المهيمن القلم وكسره أمام السلطان وقال : «هذا الجامع بيني وبينك» ، وقام مغاضباً له ، فخجل السلطان وندم على ما صدر منه وترضّاه وأفضل عليه :

وهكذا صدّق فعلُه قوّله وطابقَ سلوكُه فخرَه ، وتلك هي أخلاق العلماء .

ونعرض للشعر المخصوص بالوصايا والحكم مكتفين بهذا القدر من شعر الفخر ، وللشافعي في الباب أبيات عامرة منها قوله في الإخوان المثاليّين :

أحبّ من الإخوان كلّ مُواتِ ... وكلَّ غضيضِ الطرف عن عثراتي
يوافقني في كل أمر أريــــده ... ويحفظني حيّاً وبعد مماتي
فمَن لي بهذا ليتَ أني أصبتُه ... فقاسمتُــــه مالي من الحسنات
تصفحتُ إخواني فكان أقلّهم ... على كثرة الإخوان أهلُ ثقاتي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومنها في النصح العام :

دع الأيامَ تفعلُ ما تشاء … وطب نفساً بما حكم القضاء
ولا تجزع لحادثة الليالي … فما لحوادث الدنيا بقاء
وكن رجلاً على الأهوال جلْداً … وشيمتك السماحة والسخاء
ولا حزن يدوم ولا سرور … ولا بؤس عليك ولا رَخاء
ورزقك ليس ينقصه التأني … وليس يزيد في الرزق العَناء
إذا ما كنتَ ذا قلب قَنوع … فأنت ومالك الدنيا سواء

ومنها في الحث على السفر :

ما في المُقام لذي عقل وذي أدب … من راحة فدع الأوطان واغترب
سافر تجد عِوَضاً عمن تفارقه … وانصَبْ فإن لذيذ العيش في النصَب
إني رأيت وقوفَ الماء يُفسده … إن سار طاب وإن لم يسرِ لم يطب
والأُسْدُ لولا فراقُ الغاب ما افترست … والسهمُ لولا فراق القوس لم يُصب
والتِبْر كالتُرْب ملقىً في أماكنه … والعُودُ في أرضه نوع من الحطب
فإن تغرَّب هـذا عزَّ مطلبُه … وإن تغرَّب ذاك اعتزَّ كالذهب

إن هذه القِطع من شعر الشافعي أشهر من أن تُعرَّف فهي تجري على كل لسان ، وذلك لسهولتها وسلامة منطقها ، فالناس يتمثلون بها في كل مناسبة ، وتلامذة المدارس يستظهرونها لأنها مما يُلقَّنونه في محفوظاتهم ، ولذلك اقتصرنا عليها وإلاَّ فإن الأمر كما قال في الطبقات الكبرى : « ولا معنى للإكثار من ذكر شعر الشافعي رضي الله عنه وهو شيء قد طبَّق الأرض » .

ومن شعر أحمد بن المعذَّل السائر مسرى الأمثال :

ولستُ بنظار إلى جانب الغنى … إذا كانت العلياء في جانب الفقر
وإني لذو صبر على ما ينُوبني … وحسبك أن الله أثنى على الصبر

ومن شعر عبد الرحمن بن القاسم صاحب الإمام مالك . وقد شد الرحلة إلى لقاء الإمام بالمدينة من بلده مصر ، وهو كثير الإنشاد بين أهل العلم :

أقول وزَمَّتْ للرحيل ركائبي ... أعِدي لفقدي ما استطعت من الصبر

أليس من الخسران أن لياليا ... تمرُّ بلا نفع وتحسب من عمري

ومقطعات العلماء في غرض الأدب والحكمة كثيرة ، بل إن منهم من لم يكن ينظم الشعر إلا في هذا الغرض ، كمنصور الفقيه وقد ترجمنا له وذكرنا نماذج من شعره ، ومحمود الوراق وهو ممن أكثر وأطاب في هذا الباب ، وكان من أهل العلم والرواية ، أخذ عنه ابن أبي الدنيا ، وتوفي في خلافة المعتصم ، ولإحسانه ، وشرف منزعه يكاد لا يخلو ديوان من دواوين الأدب من إنشاد مقطعاته الجميلة ، ونحن لموافقة القصد نورد منها بعض العيون تقديراً لعمله الأدبي الجليل وإشاعة لنصحه الخالص المثيل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فمن ذلك قوله في التحذير من التتابع في الذنوب :

يا ناظراً يرنو بعيني راقد ... ومشاهداً للأمر غيرَ مشاهد

تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي ... دَرْك الجنان بها وفوزَ العابد

ونسيتَ أن الله أخرج آدماً ... منها إلى الدنيا بذنب واحد

وقوله وهو من الأمثال السائرة :

تعصِي الإلهَ وأنت تُظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعتَه ... إن المحب لمن يُحب مطيع

وقوله في مداراة الأصدقاء :

دارِ الصديق إذا استشاط تغضّبا ... فالغيظ يُخرج كامنَ الأحقاد

ولربما كان التغضب باعثـاً ... لمثالب الآباء والأجـداد

وقوله في معنى كاد الفقر يكون كفرا :

لبستُ صروف الدهر كهلاً وناشئاً ... وجربتُ حالَيْه على العسر واليسر
فلم أرَ بعدَ الدين خيراً من الغنى ... ولم أرَ بعد الكُفر شراً من الفقر

وقوله في معنى إنما الأعمال بالخواتم :

أخاف على المحسن المتـــقي ... وأرجو لذي الهَفَوات المُسِي
فذلك خوفي على محسن ... فكيف على الظـــالم المعتدي
على أنَّ ذا الزيغ قد يستفيق ... ويستأنف الزيغَ قلبُ التقي

وقوله في الحض على الإنفاق :

تمتع بمالك قبـــل المات ... وإلاّ فلا مال إن أنت متنا
شقيتَ به ثم خلفتـــه ... لغيرك بُعداً وسُحقاً ومَقتا
فجادُوا عليك بزُور البكاء ... وجدتَ عليهم بما قد جمعتا
وأرهنتهم كل ما في يديك ... وخلَّوك رهْناً بما قد كسبتا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقوله في عدم عيب الفقر :

يا عائب الفقر أما تَزدجِرْ ... عيبُ الغنى أكثر لو تعتبر
من شرف الفقر ومن فضله ... على الغنى لو صحَّ منك النظَر
أنك تعصى كي تنـال الغنى ... ولستَ تعصى الله كي تفتقر

وبعد هذه النبذة من شعر الشيخ محمود الوراق نتعرض للون آخر من شعر أصحابنا الفقهاء في المواعظ والنصائح ، وهو ما يوجهونه إلى أبنائهم خاصةً وإن كان مضمونه عاماً يصلح للجميع . إن هذا البحث يجب أن يأخذ بأطراف الموضوع وإن لم يستوعبْه كلَّ الاستيعاب . فمن الضروري أن نلم بهذا النوع من الشعر الحِكَمي ايضاً .

فما اخترناه منه قولُ يَمُوت بن المُزَرّع النحوي الأديب الراوية المشهور ، ابن اخت أبي عثمان الجاحظ ، يوصي ولده المُهَلْهِل :

مهلهلُ قد شربتُ شطور دهري (١) وكالحني به الزمن العَنوتُ
وجاريت الرجال بكل ربْع فأذعنَ لي الحُثالة والرُّتوت (٢)
فأوجعُ ما أجُنُّ عليه قلبي كريم عضـــه زمن بَعُوت
كفى حزناً بضيعة ذي قديم وأبناء الطريف لها الثُّخوت
وقد أسهرت عيني بعد غمض مخافة أن تضيع إذا فنيت
وفي لطف المهيمن لي عزاء بمثالك إن فنيت وإن بقيت
وإن يشتدَّ عظمك بعد موتي فلا تقطعْك جائحة سَبُوت (٣)
تَجُبْ في الأرض وابغِ بها علوماً ولا تلفتك عن هذا الدُّسوت
وإن بخل العليم عليك يوماً فذلّ له وديدنُك السكوت
وقل بالعلم كان أبي جواداً يقال لمن أبوك فقل يموتُ
تُقرُّ لك الأباعـد والأداني بعلم ليس يجحده البَهُوت

ومنه قول الشيخ أبي اسحق ابراهيم بن مسعود بن سعيد التجيبي ينصح ابنه أو ابن أخيه على ما قيل :

أبا بكر دعوتُك لو أجبتَـا إلى ما فيه حظك إن عقلتـا
إلى علم تكون به إمامـــاً مطاعاً إن أمرت وإن نهيتـا
ويجلو ما بعينك من غَشاهـا ويهديك السبيل إذا ضللتـا
ينالك نفعه ما دمت حيـــاً ويبق ذخره لك إذا (٤) ذهبتا
وتحمل منه في ناديك تاجـــاً ويكسوك الجميل إذا اعتريتـا
هو العَضْبُ المهنَّد ليس ينبو تصيب به القاتل إذا (٥) ضربتا

---

(١) أي جربته وعرفته .
(٢) الرؤساء .
(٣) قاطعة .
(٤) و (٥) لعلها « إن » ليستقيم الوزن .

وكنز لا تخاف عليه لصاً | خفيف الحمل يوجد حيث كنتا
يزيد بكثرة الإنفاق منه | وينقص إن به كفاً شددتا

إلى أن يقول :

وإن أوتيتَ فيه طويلَ باع | وقال الناس إنك قد سبقتا
فلا تأمنْ سؤال الله عنه | بتوبيخ : علِمْتَ فهل عَمِلْتا ؟
فرأس المال تقوى الله منا | وليس بأن يقال لقد رأستا
وأحسن ثوبك الإحسانُ لا أن | ترى ثوبَ الإساءة قد لبستا
إذا ما لم يُفِدْك العلم خيراً | فخير منه أن لو قد جهلتا
وإن ألقاك فهمك في مهاوٍ | فليتك ثم ليتك ما فهمتا

وهي قصيدة طويلة نجتزئ منها بهذا القدر ، ونلاحظ أنها مع وصية تيوت ابن الزرع تعبر عن أبوة حانية واهتمام شديد بمستقبل الولد الناشئ ، وحرص على حيازة جميع الخير له وحمل طلبة العلم على أول ما يهم به الناشئ ، ولعل ذلك مما تمتاز به عن نصائح الشعراء لأولادهم ، فان العلم في الإسلام من أهم الواجبات ، ولهذا يأخذ به المشائخ أولادهم ، وذلك إلى ما تُركِّز عليه النصح من تقوى الله والعمل بالعلم وعدم الافتتان بالدنيا ، وقد خلصت هذه الروح إلى عصرنا هذا فتأثر بها من قال شعراً في وصية ابنه من أهل العلم كالمرحوم عبد الله باشا فكري في أبياته المشهورة :

إذا نام غِرٌ في دجى الليل فاسهر | وقُمْ للمعالي والعوالي وشمر

وأخيراً نومئ إلى مُطوَّلات أصحابنا الفقهاء الأدباء في الوصايا والحكم ، التي ضاهَوْا بها أحسن مطولات الشعراء وفاقوها بما مزجوا به نصائحهم من مبادئ التربية العالية التي تحرص على تهذيب النفوس وإحياء الضمائر وفتح القلوب المتلّف لما جاء به الإسلام من خير وبِرّ وإحسان .

وفي طليعة هذه المطولات نونية أبي الفتح البُستي الرائعة التي لا كفاء لها في الحسن والجمال ، فقد جمعت إلى النصائح الغالية والآداب الرفيعة متانة الأسلوب والتفنن في الأداء مما يجعلها فريدة في بابها . وكان البستي من مشائخ العلم والرواية فضلاً عن رسوخ قدمه في الأدب ، سمع الكثير من ابن حبّان وروى عنه الحاكم وغيره ، وكان صديقاً لأبي سليمان الخطابي الذي سبقت ترجمته .

ونحن لا نروي مطولة أبي الفتح كلها لاشتهارها وعدم خُلُو أيّ ديوان أدبي منها ، ولكنا نحب أن نضع اصبع القارىء على أبيات منها تثبت ما قلناه صدرَ هذا البحث فيما يمتاز به شعر الفقهاء الحكمي من كونه يحوي زبدة الآداب والأخلاق التي أتى بها الشرع وحسّنها العقل ، وإن كان جميع ما قدمناه من كلامهم يدور في هذا الفلك . فمنها المطلع الذي يقول فيه :

زيادةُ المرء في دنياه نقصانُ وربحه غير محض الخير خسرانُ
وكل وجدان حظ لا ثبات له فإن معناه في التحقيق فقدانُ

إن التزهيد في الدنيا من مقاصد الدين ، أيَّ دين كان ، ولكن عَرْضه في شكل عملية حسابية كهذه الصورة التي قدمها لنا البستي في مطلع مطولته هو من نتائج الفكر الفلسفي ، وبذلك يكون مزج بين التعاليم الشرعية والوضعية ليخرج هذا المطلع البارع .

ويتمادى صاحبنا في مزج الحكم الفلسفية بالنصائح الدينية فيقول :

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته وتطلب الربح فيما هو (١) خسرانُ
أقبلْ على النفس فاستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسانُ

ويأتي بعد ذلك بجملة من الأبيات تتضمن حكماً عمليـــة في السلوك

(١) لعلها : فيه .

والأخلاق يبتدئها بقوله من يفعل كذا يلق كذا فتذكرنا أبياته هذه بنظيرتها في معلقة زهير الذي حكم له عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأنه أشعر الناس لتلك الأبيات التي يقول فيها ومن ومن . وكنا حريين أن نعقد مقارنة بين أبيات زهير وأبيات صاحبنا لولا مراعاة الأدب اللازم لمقام الخليفة الثاني وحكميه .

ثم يقول البستي جامعاً بين قولهم (رأس الحكمة مخافة الله) والآية الكريمة : ﴿ كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾ في بيت واحد محكم البناء حسن التصوير :

همّا رضيعا لبان حكمةٌ وتقى وساكنا وطنٍ مال وطغيان

ويلمّح إلى الوصية التقليدية وهي العلم والعمل فيقول في إيحاء جميل :

يا أيها العالم المرضيّ سيرته أبشر فأنت بغير الماء ريّان
ويا أخا الجهل لو أمسيت في لجج فأنت ما بينها لا شك ظمآن

ويختم بهذا البيت الفذّ الجامع :

وكلّ كسر فان الدين يجبره وما لكسر قناة الدين جبران

وهناك مطولة ثانية سارت كل مسار واشتهرت أي اشتهار ، وهي لأحد أدباء الفقهاء أيضاً نعني به القاضي عمر بن الوردي ، وتعرف بلامية ابن الوردي أو بأول كلمة منها وهي (اعتزل) لأنها تبدأ هكذا :

اعتزل ذكر الأغاني والغزل وقل الفصل وجانب من هزل

ويغلب على هذه المطولة طابع الحكمة العربية المطعّمة بتعاليم الدين ، فهي بعد هذا المطلع الذي يبين عن نظرة فقهية إلى الغناء وما يليه ، تؤكد على الإعراض عن حياة اللهو والمجون وتحذر من الاستهتار في الهوى والتصابي ، وإن كان قد لوحظ على ابن الوردي أنه في بعض أبيات هذا القسم بعدُ مغرياً ببعض ما حذّر منه أكثر منه محذّراً . ثم تنهج المطولة نهج

الحكمة العربية في الاعتبار بالماضين وإتيان الموت على الأولين والآخرين :

كَتَبَ الموتَ على الخلق فكم فلَّ من جيش وأفنى من دول
أين نمرودُ وكنعانُ ومن ملك الأرض وولَّى وعزل

وتُعرّج بعد ذلك على الوصية بطلب العلم والتفنن فيه ، والاشتغال بالأدب وعدم ابتذاله وتقول :

أنا لا أختار تقبيل يد قطعُها أجمل من تلك القُبَل
مُلك كِسرى عنه تغني كِسْرة وعن البحر اجتزاء بالوَشَل

ثم تنبه على سخافة الافتخار بالأصل والفصل في هذه الأبيات المعبّرة :

لا تقل أصلي وفصلي أبداً إنما أصل الفتى ما قد حصل
قد يسود المرء من غير أب وبحسن السبك قد يُنفى الزغل
قيمةُ الإنسان ما يحسنه أكثرَ الإنسانُ منه أو أقل

ثم تشير إلى مسؤولية الحكم وتُنفّر منه بهذين البيتين السائرين :

لا تلِ الحكم وإن هم سألوا رغبةً فيك وخالف من عذل
إن نصف الناس أعداء لمن ولي الأحكام هذا إن عدل

وبعد وصايا أخرى عامة يختم ابن الوردي مطولته بهذه الأبيات متحدثاً عن شخصه :

أيها العائب قولي عبثاً إن طيبَ الورد مُودٍ بالجُعَل
عدِّ عن أسهم لفظي واشتمل لا يُصيبنَّك سهم من ثُعَل
لا يغرنَّك لين من فتى إن للحيات ليناً يُعتزل
أنا كالخيزُور صعب كسره وهو لدْن كيفما شئت انفتل
غيرَ أني في زمان مَن يكنْ فيه ذا مال هو المولى الأجل
واجبٌ عند الورى إكرامُه وقليلُ المال فيهم يُستقَل
كلُّ أهل العصر غُمْرٌ وأنا منهم فاترك تفاصيل الجمل

وهذا حكم خطير واعتراف أخطر منه . ونشير إلى أن لامية ابن الوردي بالخصوص تعطي صورة غير مرضية عن عصره ومجتمعه ، وبما أن هذا الجانب لا يهمنا فإننا لم نتعرض له .

وبجمل القول فان ما أوردناه في هـــذا الباب من شعر الفخر وشعر الآداب والأخلاق ، كله مما يشهد لأصحابنا الفقهاء بقوة العارضة في الأدب ، ورسوخ الملكة في الشعر ، ويجعلهم يقفون في صف كبار الأدباء والشعراء من غير طبقتهم ولا يترك مجالاً لانتقاد يميز كلامهم من كلام عامة أهل الأدب وقالة الشعر إلا انتقاداً مُغرضاً لا نصفةَ فيه .

عبد الله كنون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نظرات في

المعجم الوسيط

- ١٥ -

عاشراً : تعريف الملل والنحل والمذاهب المختلفة (*)

الكلمة	تعريفها في المعجم الوسيط	الملاحظات
المِلّة	الشريعة أو الدين ، كملّة الإسلام والنصرانية ؛ وهي اسمٌ لما شرعَ الله لعباده بوساطة أنبيائه ليتوصلوا به إلى السعادة في الدنيا والآخرة . و — الدِّية . (ج) مِلَلٌ .	هذه التعريفات وردت في المعجم الوسيط ، وهي إلى جانب عدم تنسيقها كوحدة تستعمل في موضوع واحد ، ترد عليها ملاحظات عديدة أهمها : ١ — المِلّة في العربية : السّنة والطّريقة ، ومن المجاز المِلّة : الطريق المسلوكة ، ومنه : مِلّة إبراهيم عليه السلام خير الملل ، ومن ذلك كلّه : المِلّة : الشريعة أو الدين ، وصاحب

(*) ليس المقصود من نظراتنا في هذه النبذة ، نقد التعريفات الواردة في المعجم الوسيط فحسب ، بل المقصود جمع ما وقع نظرنا عليه من تعريفات متعلقة بموضوع واحد ليتمكن الناقد من ملاحظة الاختلاف في تعريف الكلمات المماثلة ، من حيث الصياغة ، أو من حيث انتقاء ألفاظ كل تعريف منها ، وذلك بسبب النقل عن معجمات مختلفة ، أو بسبب تعدد واضعي التعريفات ، ولملاحظة النقص الواجب تلافيه ، أو الزيادة الممكن الاستغناء عنها في الطبعة القادمة ، ومن كمال صنع المعاجم في العصر الحديث ، بعد التخطيط لها بحسب نوعها والغاية منها ، تعاون عدد من العلماء المختصين كل حسب اختصاصه ، في وضع التعريفات المختلفة ، ثم انفراد الواحد منهم في الإشراف على تنسيق التعريفات المتعلقة بالموضوع الواحد ، ليكون العمل دقيقاً متكاملاً ومنسجماً بعضه مع البعض الآخر .

القاموس يشير إلى ترادف الكلمات الثلاث ، أما الراغب فقال : الملّة : اسم لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان أنبيائه ليتوصلوا به إلى جواره ، والفرق بينها وبين الدّين ، أن الملّة لا تضاف إلا للنبي الذي تستند إليه ولا تكاد توجد مضافة إلى الله تعالى ولا إلى آحاد الأمة ولا تستعمل إلا في جملة الشرائع دون آحادها .

من هذا نجد أن المعجم الوسيط أغفل بعض معاني الكلمة الأصلية ونقل شرحاً يمكن الاستغناء عنه . ولقد كان من المستحسن أن يكون التعريف كما يلي :

الملّة : السنّة والطريقة أو الطريق المسلوكة . و ـــ الشريعة أو الدّين . و ـــ الدّية .

(ج) مِلَل .

النِّحْلَة .. الدّينُ والعقيدة ؛ يقال : ما نِحْلَتُك ؟

٢ ـــ النِّحْلَةُ في الأمهات : الدَّعْوى ، والدّيانة ويقال ما نحلتك أي ما دينك ؟ والنِّحلة : المذهب ، يقال ـ كما في المعجم الوسيط ـ انْتَحَلَ مذهبَ كذا : أي انتسب إليه ودان به .

لقدأغفل المعجم الوسيط بعض معاني هذه الكلمة، وكان من المستحسن أن يكون تعريفها كما يلي :

النِّحْلَة ... الدَّعْوَى و ـــ الدّينُ والعقيدة والمذهب .

الدِّين	ما يتديَّن به الإنسان . و ـــ اسم لجميع ما يُعبد به الله . و ـــ الملَّة . و ـــ الإسلام	٣ ـــ كلمة (دِين) في العربية ذات معانٍ كثيرة وكلها ـ كما يقول ابن فارس ـ ترجع إلى جنس من الانقياد والذُّل ، وقد فات المعجم الوسيط إثبات بعضها ، رغم أنه أشار إلى أكثرها ، إنْ في تعريف الكلمة أو في تعريف كلمة (دينة) أو عند الكلام على فعل (دان) ، ومن ذلك المعاني التالية ؛ الدِّين ... الغَلَبة . و ـــ القَهْر . و ـــ الإكراه . و ـــ الدَّاء . و ـــ الذُّل . و ـــ الجزاء . و ـــ العبادة . و ـــ الطاعة . و ـــ الاستعلاء . و ـــ المواظب من الأمطار أو اللين منها .
الشَّرْعُ	الطريقُ . و ـــ ما شرعه الله تعالى	٤ ـــ نقل المعجم الوسيط تعريف الشَّرْع والشَّريعة عن المعجمات القديمة ، وكان من المستحسن أن يضاف إلى التعريف المعنى الذي
الشَّريعة	ما شرَّعه الله لعباده من العقائد والأحكام .. .	آلت الكلمات إليه ، فيصبح تعريفها كما يلي : الشَّرْعُ : الشَّريعة . و ـــ الطريقُ ... الشَّريعةُ : ما شرَّعه الله لعباده ، و ـــ مجموعة القواعد والأحكام الملزمة . و ـــ علم على الشَّريعة الإسلامية...

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

المَذْهَبُ الطريقة . و ــ المعتقد الذي يُذْهَبُ إليه . و ــ (عند الفلاسفة) : مجموعة من الآراء والنظريات العلمية والفلسفية ارتبط بعضها ببعض ارتباطاً يجعلها وحدة منسقة . (مج) .

٥ ــ أحسن المعجم الوسيط بإثبات تعريف حديث لكلمة (مذهب) ، غير أن التعريف المذكور لا يرد عند الفلاسفة فحسب ، فالمذاهب معروفة في العلوم والفنون على اختلافها ، لذا فمن الدقّة لو أبدل المعجم بقوله : (عند الفلاسفة) القول : (عند العلماء) أو (في العصر الحديث) .

الطَّرِيقَةُ الطَّريق . و ــ السِّيرَةُ . و ــ المذهب ...

٦ ــ في تعريف كلمة (الطَّريق) أثبت المعجم الوسيط المعنى التالي : مسلك الطائفة من المتصوِّفة ، وكان من المستحسن أن يثبت في تعريف كلمة (الطَّريقة) أيضاً : و ــ إحدى الطرق الصُّوفيَّة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفِرْقَةُ الطائفة من الناس ؛ يقال : فِرْقَةُ التمثيل ، وفِرْقَةُ الألعاب ، وفرقة المطافئ ...

٧ ــ تعريف كلمة (الفرقة) تنقصه الدقّة . وكان من المستحسن أن يكون كما يلي :

الفِرْقَةُ : الطائفة من الناس تدين برأي أو مذهب واحد . و ــ مجموعة من الأفراد يشتركون أو يقومون بعمل واحد ؛ يقال : فِرْقَةُ التمثيل الخ ...

الطَّائِفَةُ الجماعةُ والفِرْقَةُ ... و ــ جماعةٌ من الناس يجمعُهم مذهبٌ أو رأيٌ يمتازون به ...

المَدْرَسَةُ ... و ـــ المَذْهَبُ (مو) . يقال : هو من مدرسة فلان : على رأيه ومَذْهَبِهِ .	٨ – لقد كان من المستحسن أن يضاف إلى معنى كلمة (مدرسة) المُوَلَّد ، المذكور في المعجم الوسيط ، المعنيان التاليان : و ـــ الطريقة . و ـــ السلوك .

الإسلامُ « في الشرع » : إظهار الخضوع والقبول لما أتى به محمد ﷺ .	الأديان السماوية ثلاثة : الإسلام والنصرانية واليهودية ، وجاء التعريف بهذه الأديان واتباعها في المعجم الوسيط متفاوتاً غير منسق ، فتعريف (الإسلام) جاء كما يعرّف في « الشرع » دون أي ذكر لكلمة (مسلم) ، بينما عرفت (النصرانية) بأنها دين المسيح عليه السلام ، و (اليهودية) بأنها ملة اليهود .
النَّصْرانيَّة دين المسيح عليه السلام .	
النَّصْرانيُّ من تعبّد بدين النَّصرانية . .	لقد كان من المستحسن أن ترد التعريفات المتعلقة بالأديان الثلاثة ، في مثل المعجم الوسيط ، متماثلة ، كأن تكون كما يلي :
المَسِيحُ عيسى بنُ مريم عليه السلام .	المُسْلِمُ : واحدُ المسلمين .
المَسيحيُّ المنسوب إلى دين المسيح عليه السلام .	الإسْلامُ : دين أتباع محمد ﷺ .
الهُودُ اليهودُ .	

اليهودُ بنو إسرائيل . قيل إنَّهم سُمّوا كذلك باسم يهوذا أحد أبناء يعقوب .

اليهوديُّ واحد اليهود . و ـــ المنسوب إلى اليهود ..

اليهوديّة ملّة اليهود .

اليَهُوذِيُّ اليهوديُّ

النَّصْرانيُّ : واحدُ النصارى .

النَّصْرانيَّةُ : دين أتباع المسيح عليه السلام .

اليهوديّ : واحد اليهود .

اليهوديّة : دين أتباع موسى عليه السلام .

الحَنَفِيُّ تابع مذهب أبي حنيفة ، وهم الحنفيـة . (ج) أحنـافٌ .

تحنّف انتسب إلى مذهب « أبي حنيفة » .

الحَنْبَلِيُّ من يقلّد مذهب الإمام أحمد بن حنبل . (ج) حنابلة . و ـــ المتشدّد في رأيه وسلوكه . (محدثة) .

تَحَنْبَلَ قلّدَ الإمامَ ابن حنبل في مذهبه . ويقال :

المذاهب المتمدة عند أهـــل السُّنَّة من المسلمين أربعة هي : مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان ، ومذهب الإمام مالك بن أنس ، ومذهب الإمام محمـــد بن إدريس الشافعي ، ومذهب الإمام أحمد بن حنبل ؛ ومن التدقيق في تعريفات المعجم الوسيط نلاحظ الأمور التالية :

أولاً : لم يرد أي ذكر لمذهب الإمام مالك بن أنس في مواد المعجم ، بينما وردت الإشارة إلى مذهب الإمام الشافعي في كلمة (تشفّع) فقط ، أما مذهبا الإمامين أبي حنيفة وأحمد بن حنبـــل فقد ذُكرا مرتين !

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

تحنبل فلانٌ : تشدّد في رأيه وسلوكه (محدثة) .

تَشَفّعَ : تمذهب في الفقه بمذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي .

السُّنّة : .. وأهل السُّنّة : هم القائلون بخلافة الشيخين عن استحقـــاق ، وهما أبو بكر وعمر ، ويقابلهم الشيعة .

ثانياً : فقد الإمام الأعظم أبو حنيفة « إماميته » في المعجم ، بينما احتفظ بها الإمامان الآخران !

ثالثاً : استعملت في التعريفات المذكورة ألفاظ مختلفة لمعانٍ واحدة بدون أي موجب ، فالتحنّف انتساب ، والتّحنبل تقليد ، والتشفع تمذهب !

رابعاً : لقد عُرف الإمام أحمد بن حنبل بشدته في التمسك بالنصـوص ، والتمسك بالنصوص مزية في الشرع ، واستعمال (العامة) كلمة « الحنبلة » لوصف التشدد في الرأي والسلوك ، ويغلب أن يكون التشدد بالرأي الشخصي عيباً من أهم العيوب ، ومع هذه المفارقة كان من المستحسن ، وقد أثبت المعجم الوسيط المعنى المستعار ، أن يشير إلى مزية الإمام أحمد بن حنبل تنزيهاً له عن العيب المستفاد من الفعـــل المشتق من اسمه .

(يتبع) عدنان الخطيب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أبو يعقوب الخُرَيْمي

-٢-

(٦)

أما عن شعره فقد عد من رواته الجاحظ وأحمد بن عبيد بن ناصح ، وذكر ابن النديم للخريمي ديواناً في مئتي ورقة [١] . وقال ابن عساكر : «له ديوان معروف» [٢] ويبدو أنه كان معروفاً لدى الخاصة ، ولم يكتب له ذيوع وانتشار ، ولم تتعدد نسخه ، لأننا لا نعلم عنه شيئاً غير هاتين الكلمتين ، ولا بد من أنه اختفى مبكراً كما اختفى ذكر الشاعر والحديث عنه ولم يكن له حظ من الشهرة [٣] .

لهذا ، كان على الباحث الحديث أن يجمع ما بقي للخريمي من شعر متناثر هنا وهناك في بطون عشرات الكتب ، وقد تتوفر ، كما رأينا ، «كمية» لا بأس بها . وإنا إن كنا نأسى على أن لم يكن للخريمي مكان لدى الأصبهاني ، فقد رد علينا بعض العوض الطبري في روايته لرائية كاملة ، ثم الحصري في بائية ولامية ، ثم ابن عساكر وفضله جليل .

---

(١) ابن النديم ١٦٤ ـ وهو بهذا يعدل ديوان مسلم بن الوليد .

(٢) ابن عساكر ٢ : ٣٤؛ ـ ولا تدل جلة الأشعار التي أوردها له أنه يستوفي من الديوان .

(٣) ينظر ابن رشيق ١ :

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولئن اختلفت بعض الروايات في نقل الشعر ، فان ذلك قليل ، وإن جملة ما وصل إلينا موثوق النسب إلى صاحبه ؛ ولم يُختلف إلا" في قصيدتين : الأولى يمكن أن تكون له فقد ذكر ابن المعتز وهو يتكلم على الخريمي أنه « هو القائل يفتخر :

ثِقي بجميل الصبر مني على الدهر ولا تثقي بالصبر مني على الهجرِ
أصاب فؤادي بعد خمسين حِجّةً عيون الظباء العفر في البلد القفر

ثم ذكر ثمانية أبيات وقال : « وقد روى قوم هذه القصيدة لأبي سعد قوصرة ، وليست بشيء وإنما هي للخريمي »(١) .

أما الثانية ، وعدتها سبعة أبيات ، ومنها :

وناديتُ من مروٍ وبلخٍ فوارساً لهم حَسَبٌ في الأكرمين حسيبُ

. . .

وإن أبي ساسانُ كسرى بن هُرمُز وخاقان لي ـ لو تعلمين ـ نسيب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فان النقد الداخلي والخارجي ينفي كونها للخريمي ويدل على تسرع في نسبتها إليه ، وتحميله بذلك من الشعوبية ما يسهل أن يُستنبط منها ، لأنها لم ترد في مصدر قديم أو شبه قديم وإنما رواها ، أو روى بعضها ، أناس متأخرون جداً ، أقصد إلى أنهم من معاصرينا أمثال أحمد أمين وأحمد الشايب ومحمد نبيه حجاب وأحمد محمد الحوفي(٢) ؛ ومنهم من لم يرجعها إلى مصدر ،

---

(١) ابن المعتز ٢٩٣ ـ ٢٩٤ . وقد يضعف من نسبتها الى الخريمي انها لا تدل على مجموع نفسه ، وإن داعي فخره ودفاعه « عن لؤي بن غالب » ضعيف . وأبو سعد قوصرة هو عيسى بن خالد الذي ادّعى انه من بني مخزوم ينظر عنه ابن المعتز ٢٩٥ وما علق به محقق كتابه ٤٩٨ ، ٥١٧ . وقد ذكر ٤٩٨ أن نسبة القصيدة تتوزعت بين المفل بن غيلان وأبي سعد وأعرابي من طيء .

(٢) أحمد أمين ١ : ٦٦ ، الشايب ٢٣٣ ، حجاب ٣٠٦ ، الحوفي ٤٥١ .

ومنهم من أرجعها إلى « الشعر والشعراء » لابن قتيبة [١] ، ولكنك إذا عدت إلى هذا الكتاب لم تر أبياتاً للخريمي من هذا النوع ولم تجدها لأي شاعر آخر . ثم إن الأبيات تدل على أن ناظمها « فارسي » يفخر بكسرى . وما كان الخريمي (الصغدي التركي) كذلك .

وليست القصيدة ، بعد ذلك ، بذات بال فنياً ، ولا تدل على النفس الذي عوّدنا إياه الشاعر « المفترى عليه » فأين هي مثلاً من لاميته التي قال فيها : « أَبِالصَّغْدِ بأسٌ إذْ تُعَيِّرُني جُمْلُ » .

★ ★ ★

إذا نظرنا في هذا الذي اجتمع لدينا من شعر الخريمي وأخباره رأينا أن الشاعر لم يكن مقلاً وأنه خاض فيما خاض فيه معاصروه من قضايا وقال فيما قالوا فيه من أغراض ؛ وأنه قد تميز ، أكثر ما تميز ، بالمدح .

وكان المدح الوسيلة التي يكتسب بها قوته بل يكتسب بها ما زاد على القوت من مال وجاه ، وأنه بعد أن مرّ بدور غير قصير من التجربة والخطأ ، وقصد بدافع الحاجة مَنْ لا يستحق القصد فدعاه ذلك إلى شكوى الزمان ، بلغ عثمان الخريمي فاستنّ له طريقاً في المدح قائمة على الاقتصار على الكرام نفساً ويداً ، وعلى التقرب منهم حتى يصبح رفيقاً أنيساً عندهم . وصديقاً أثيراً لديهم ، وهم يحققون له رغبته دون أن يبذل ماء وجهه .

---

(١) حجاب ، الحوفي .
وألمع بروكلمان ٢ : ١٩ ، براون ١ : ٢٦٨ إلى هذه القصيدة (البائية) منسوبة إلى الخريمي . ومن يدري فقد يكون الأصل في الخطأ يرجع الى كولدزيهر ، فهو من أقدم من بحث في الشعوبية وذكر الخريمي في كلامه بكتابه « دراسات إسلامية » المطبوع في Halle بمجلدين عام ١٨٨٩ - ١٨٩٠ (وإليه أشار براون عندما أطلق حكمه ، ومثله بروكلمان) .

وكان يزجي المدح إليهم في مناسبات شتى فيجوّد ويعجب وتسير أبياته لما تحتوي صياغتها العالية من معان طريفة مبتكرة حيناً ، ومولّدة أحياناً ، وهي سائرة ، في كل حين ، على النهج العربي المألوف للشعر المختار فتكون بذلك استمراراً للتراث وجزءاً منه . ولا بد من أن كبار الشعراء كانوا يعجبون بها وقد يتأثرون ولا نقول يسرقون .

وإذ يقول الخريمي :

شَفَعَتْ مكارمُه لهم فكفَتْهُمُ جُهْدَ السُّؤال ولطفَ قولِ المادحِ

يقول أبو تمام :

طوى شيئاً كانت تَروح وتغتدي وسائلُ من أعيَتْ عليه وسائلُهْ

ويقول المتنبي :

إذا عرضتْ حاجٌ إليه فنفسُه إلى نفسه فيها شفيعٌ مشفّعُ(١)

وإذ يقول الخريمي :

زاد معروفَك عندي عِظَماً أنه عندك مستور حقير
تتناساه كأنْ لم تأتِه وهو عند الناس مشهور خطير

يقول المتنبي :

تظنُّ من فقدك اعتدادَهم أنّهُمُ أنعموا وما علموا(٢)

وإذ يقول الخريمي :

كأنّ عليه الشكرَ في كلِّ نعمةٍ يقلّدُنيها بادياً ويُعيدها

---

(١) القاضي الجرجاني ٣٢١ ، التبيان ٢ : ٢٤٣ .
(٢) القاضي الجرجاني ٣٥٤ ، التبيان ٤ : ٦٠ . وينظر القاضي الجرجاني ٣١١ ، ٣١٢ ؛ التبيان ٣ : ١٨٧ .

يقول المتنبي :

من القاسمين الشكر بيني وبينهم لأنّهمُ يُسدى إليهم بأن يُسدوا (١)

ويتصل بمدح الخريمي ذكره الممدوح بعد مر الزمان كما فعل في لامية أثنى بها على عثمان الخريمي وهو يعاتب الوليد بن أبان :

.. جزى الله عثمان الخريميّ خيرَ ما جزى صاحباً أجزلَ المواهبِ مُفضلا

كفى جفْوةَ الإخوان طولَ حياته وأورثَ مما كان أعطى وخوّلا (٢)

ويتصل به التشوق إلى الممدوح إذ يبعد عنه كما فعل في بائيته التي بعث بها إلى الحسن بن التختاخ في مصر (٣) .

ثم إنه يرثي ممدوحيه بشعر حسن فيه أسف ولوعة وفيه ذكر حسن وإطراء . فإذ تموت هؤلاء الذين يألفهم ويتقرب في مجلسهم وينال عطاءهم يؤلمه الفقد ويحزنه ويبثه على الوفاء . وقد رقى كثيراً على النهج الذي سار فيه لدى المديح وعلى مألوف العرب في الألفاظ والمعنى ، وإذا خرج عنه في الاستعارة فانه لا يخرج إلاّ قليلاً قليلاً بحيث لا يحسن ؛ وقد سارت له في الرثاء أبيات وقصائد . ولنا أن نستعيد العينية الثانية التي قالها في خريم ابن أبي الهيذام لنرى تمكنه لغةً ونصاعةً ومعنىً وعاطفةً وصورةً ؛ إنها أبيات لا تصدر إلاّ عن شاعر كبير وقد أعجبت الشعراء والنقاد والباحثين على مر العصور .

---

(١) القاضي الجرجاني ٣٧١ ، التبيان ٢ : ٢٠٧ ، وينظر التبيان ٢ : ٢٨٧ .

(٢) روى القصيدة الحصري ٢ : ١٠٧٠ - ١٠٧١ ، وذكر ابن قتيبة البيتين ٢ : ٧٣١ قائلاً : « ولنثان يقول أبو يعقوب » والصحيح أن يكون « وفي عثمان يقول أبو يعقوب » لأنه لم يوجه كلامه الى عثمان .

(٣) رواها الحصري ٢ : ١٠٧٢ - ١٠٧٣ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

«قال أحمد بن عبيد .. مات حُميد الطوسي فرثاه علي بن جَبَلة ، فلقيته فقلت له : أنشدني مرثيتك حُميداً ، فأنشدني :

نعاء حميداً للسرايا إذا غدَتْ تذادُ بأطراف الرماح وتوزع

حتى إذا أتى على آخرها .. قلت له : ما ذهب على النحو الذي نحوته يا أبا الحسن ، وقد قاربته وما بلغته . فقال : وما هو ؟ فقلت : أردت قول الخريمي في مرثيته أبا الهيذام [كذا] :

وأعددتُه ذُخراً لكلّ مُلمّةٍ وسهمُ المنـايا بالذّخائر مولع

فقال : صدقتَ والله ، أما والله لقد نحوتُه وأنا لا أطمع في اللحاق به ، لا والله ولا امرؤ القيس لو طلبه وأراده ما كان يطمع أن يقاربه في هذه القصيدة»(١) .

«وذكر أحمد بن عبيد بن ناصح أنه قال لأبي تمام ، وكان يجيء المسجد الجامع ينشد أشعاره ... أخبرني عن قولك :

كأنّ بني نبهـان يوم وفاته نجوم سماء خرّ من بينها البدر

أردتَ أن تصف حُسن حالهم بعـده أو سوء حالهم ؟ قال : لا والله ، سوءَ حالهم ، لأن قمرهم قد ذهب . فقلت : والله ما تكون الكواكب أحسن

http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) الأصبهاني ١٨ : ١١٣ ـ ١١٤ . وقد جاء في الرواية : « .. حتى إذا أتى على آخرها فقلت له » والمناسب أن يقول « حتى إذا أتى على آخرها قلت » أو « .. حتى أتى على آخرها فقلت » . وورد كذلك : « في مرثيته أبا الهيذام » ولعل المناسب أن يقول « في مرثيته ابن أبي الهيذام » .

وعلي بن جبلة هو الشاعر المعروف بالعكوك مدح أبا دلف وحميد الطوسي ... توفي سنة ٢١٣ . ينظر عنه ابن قتيبة ٢ : ٧٤٢ ـ ٧٤٦ ، ابن المعتز ١٧١ ـ ١٩٣ ، ٥١٣ ـ ٥١٦ ، ... زيدان ـ تاريخ آداب اللغة العربية ط ٢ ، ٢ : ٩٩ ـ ١٠٠ .

حالاً إلاّ إذا لم يكن معها قمر ، ألا قلتَ كما قال أبو يعقوب إسحاق بن حسان الخريمي :

بقية أقمار من النسْرِ لو خبت لظلَّت معدٌّ في الدُّجى تتسكَّعُ
إذا قمرٌ منهم تغوَّر أو خبا بدا قمر من جانب الأفق يلمع

قال : فوجم وسكت »(١) .

وكان « محمد بن يزيد يقول : لو سُئلتُ عن أحسن أبيات تعرف في المراثي لم أختر على أبيات الخريمي :

ألم ترني أبني على الليث بيتَهُ وأحثو عليه الترب لا أتخشَّعُ
وأعددته ذخراً لكلِّ مُلِمَّةٍ وسهم المنايا بالذَّخائر مولـع
وإني ، وإن أظهرت مني جلادة وصانعتُ أعدائي ، عليه لموجع
ولو شئتُ أن أبكي دماً لبكيتُه عليه ، ولكنْ ساحةُ الصبر أوسع »(٢)

ولا بد من أن يكون المتنبي قد وقف على هذه العينية وأعجب بها وتأثر فألم أو أخذ(٣) .

هـــذه العينية من روائع الشعر العربي ، وهي تشهد بأن الخريمي من شعراء الرثاء المجيدين . ولكن معاصري الشاعر لاحظوا تفوق مديحه على رثائه فاستغربوا وسألوه في أكثر من مناسبة ، وكان يجيب جواباً يكاد يكون

---

(١) المرزباني ـ الموشح ٣٠٦ ـ ٣٠٧ : « قال أحمد بن محمد الحلواني ، ذكر أحمد ابن عبيد .... » وينظر المرزباني - الموشح ٣٢٣ : « أخبرني الصولي قال ، عاب قوم على أبي تمام قوله : .. » وينظر القاضي الجرجاني ٢٠٣ .
(٢) العسكري ـ ديوان ٢ : ١٧٥ « وأخبرنا أبو أحمد قال سمعت محمد بن يحيى » . واسم المبرد محمد بن يزيد ـ وهو من المكبرين لشعر الخريمي .
(٣) ينظر القاضي الجرجاني ٢٠٤ ، ٣٢٠ ، ٣٣٦ ، التبيان ٣ : ١٠ ، ٣ : ٣٣٣ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واحداً : « كنا يومئذ نعمل على الرجاء ونحن اليوم نعمل على الوفاء وبينها بون بعيد »[(١)] .

★ ★ ★

ونظم الخريمي في أغراض أخرى ، وإذا لم يكن فيها ذا مكانة خاصة فان له في بعضها ما تحسن الإشارة إليه ، ففي الفخر إذ دافع عن نسبه وامتدح شعره تحدث عن حسن الضيافة ببيتين سارا مثلاً وكأنها انموذج الفخر للكرم العربي وقد أثبتها أبو تمام على رأس الباب من كتاب « الوحشيات » وتناقلها الناس من بعده وتداولتها الكتب ، وهما :

أضاحكُ ضيفي قبل إنزال رحلِهِ ويُخصِبُ عندي والمحلُّ جديبُ
وما الخصبُ للأضيافِ أن يكثُرَ القِرى ولكنّما وجه الكريم خصيبُ[(٢)]

وفي الحكمة ورد له البيت والبيتان ، وحاول أن يظهر بمظهر الحكيم الذي يضع آراء العامة في قالب مخصوص ، ولكنه لم يعدُ المعاني المألوفة في الشعر العربي فأخرجها المخرج المألوف دون تميُّز وإبداع ، وإذ قيل إن المتنبي تأثر بهذا القول أو ذاك ، وقيل انه إذ قال :

إذا لم تكن نفس النسيب كأصله فماذا الذي يغني كرام المناصب

فقد قال الخريمي قبله :

إذا أنتَ لم تحمِ القديم بحادثٍ من المجد لم ينفعْكَ ما كان من قبل[(٣)]

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) ينظر ابن قتيبه ١ : ٢٣ – ٢٤ ، ٢ : ٧٣٢ ؛ ابن المعتز ٢٩٣ ، ابن الجراح ١٠٣ ، ابن عبد ربه ٥ : ٣٢٧ ، الجهشياري ٢٦٨ . . . وينظر الأصبهاني ١٨ : ١٧٠ . ورأي البحتري يخالف رأي الخريمي ، فقد كانت مراثيه في أبي سعيد محمد الثغري وولده « أجود من مدائحه وروي أنه قيل له في ذلك فقال من تمام الوفاء أن تفضل المراثي المدائح » — الأصبهاني ١٨ : ١٧٠ .

(٢) أبو تمام ٢٧٣ ، ٣٢٥ ، الجاحظ — البيان ١ : ١١ ؛ ابن قتيبة ٢ : ٧٣٤ ؛ عيون ٣ : ٢٣٩ ، العباسي ١ : ٢٥٤ .

(٣) القاضي الجرجاني ٣٧٠ — ٣٧١ ، التبيان ١ : ١٥٥ ؛ وينظر القاضي الجرجاني ٣١١ والتبيان ٣ : ١٨٧ . وينظر لأمثلة أخرى من الحكمة ابن قتيبة ٢ : ٧٣٤ ، ٧٣٥ .

فقد يدل هذا على مكانة ما للخريمي ، وقد يدل على أهمية وذكر اتصل بالمتنبي وشرح شعره وبالوساطة بينه وبين خصومه ، ولكن المعاني شائعة ذائعة سبقت الخريمي ولحقت المتنبي .

وخير من هذه المعاني في رفع مكانة الخريمي ومنحه صفة من صفات التفرد بين شعراء العربية أبيات له ذات دلالة اجتماعية ونفسية وعقلية ، هي :

ما أحسنَ الغيرةَ في حينها ... وأقبحَ الغيرةَ في كل حينْ
من لم يزلْ متّهماً عِرْسَهُ ... مُناصباً فيها لريب الظنون
أوشك أن يغريَها بالذي ... يخافُ أن يُبرزَها للعيون
حسبُكَ من تحصينها وضعُها ... منك إلى عِرض صحيح ودين
لا تطّلعْ منكَ على ريبةٍ ... فيتبعَ المقرونُ حبْلَ القرين (١)

أما الغزل فعلى الرغم من قول ابن المعتز فيه : « وله في الغزل ملح كثيرة » (٢) فاننا لم نظفر له بما يؤيد هذا القول (٣) . وليس له في الهجاء ما يستحق الذكر ، ويظهر أنه ودّع « الشكوى » مبكراً بعد أن اتصل بنبهان الخريمي ثم عاد لها مؤخراً عندما تزايدت عليه المصائب ، وكان من أقساها فقده البصر فنظم في ذلك غير قليل مصوراً آلامه وهمومه وجوّد في بعض ما قال وسار أكثره .

إن جيد الخريمي غير قليل ولكنَّ أبرزه وأجدره بالبقاء والاحترام رائيته الرائعة البارعة التي صور بها آثار الفتنة بين الأمين والمأمون وما جرّت من ظلم ونهب وخراب .

قالوا ولم يلعب الزمان ببغـداد ولم تعثر بها عواثرها

(١) ابن قتيبة ٢ : ٧٣٥ .
(٢) ابن المعتز ٢٩٣ .
(٣) ينظر ابن المعتز ٢٩٤ ، ٤٤٣ ـ ٤٤٤ ؛ البغدادي ٦ : ٣٢٦ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد حفظ الطبري غير قليل مما صحب هذه الفتنة من شعر ، ولكن ليس بين هذا الشعر ما يسمو سمو رائية الخريمي وليس فيه ما يقرب منها .

وروى المسعودي قصيدة رائية للأعمى [المعروف بعلي أبي طالب] مطلعها :

تقطَّعتِ الأرحام بين العشائرِ وأسلمهم أهل التقى والبصائرِ

وفيهـــا :

فأصبح بعض الناس يقتل بعضهم فمن بين مقهور ذليل وقاهر (١)

وموضوعاتها تشبه موضوعات قصيدة الخريمي ولكنها بعيدة عن أن تدرك قصيدة الخريمي فهي أضعف عاطفة وأقل خيالاً وهي أدخل في الشعر التعليمي منها في الشعر الشعر .

ومن يدرينا ، فلعل ابن الرومي اطلع على قصيدة الخريمي وتأثر بهـا وهو ينظم ميميته عن البصرة وما فعل بها الزنج (٢) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

★ ★ ★

يعرض الخريمي معانيه بلغة سليمة ثرية مختارة اللفظ جيـــدة السبك مترفعة عن المرذول السفساف عليها غير قليل من رشاقة وفخامة . وقد دل على أنه فقه اللغة العربية وضبطها وأدام النظر في روائع نصوصها وحفظ الكثير من هذه الروائع حتى أصبحت جزءاً منه ولا بد من أن تكون

---

(١) المسعودي ٣ : ٤٠٩ ـ ٤١٠

(٢) وقد انتبه إلى ذلك بروكلمان ٢ : ٤٦ فقال : « ويشبه ابن الرومي على منوال الخريمي فيجتري، أيضاً على وصف المواقف التأريخية كما في شكايته من غلبة الزنج على البصرة » ـ تنظر القصيدة في المختارات التي عملها الكيلاني من ديوان الرومي ، ومطلعها :

ذاد عن مقلتي لذيذ المنـــامِ شغلها عنه بالدّموع السجـامِ

الشام والجزيرة وبغداد مما زاد لغته صقلاً وتهذيباً ، حتى أمكن أن يعد شعره مصدراً للغة العالية ، وقد تجد عنده تعبيرات تستغربها ، إلا أنك لا تستطيع أن تعزوها إلى جهل أو ضعف أو تهاون لأنه يشعرك بمكانته ويقنعك بأنه أستاذ في فنه . ولم يكن عبثاً أن يقف عبد القاهر الجرجاني طويلاً في « دلائل الإعجاز » عند بيت الخريمي .

ولو شئتُ أن أبكي دماً لبكيته   عليه . ولكنّ ساحة الصبر أوسع

مقرراً أن الأحسن إظهار المفعول عند مجيء المشيئة بعد « لو »(١) .

* * *

وكان في عصره منهجان من الشعر : الشعر الذي لزم عمود الشعر ، والشعر الذي شرع يفارق العمود على يد بشار وأبي نواس ، أو فارقه فعلاً ، دون إغراق ، على يد مسلم بن الوليد إذ كان قصده بيناً إلى البديع بما فيه من غريب الاستعارة والجناس والطباق (ممهداً للمفارقة الكبرى على يد أبي تمام) . ولم يشأ الخريمي أن يبتعد خارج إمكانه أو ينأى عن مدى شخصيته وظروف تكوينه ومستلزمات بيئته لذا بقي عمودياً أو بمعنى أدق قريباً من العمود ، فلم يبتعد عنه إلاّ في حدود ضيقة هي الحدود التي يسمح بها المعنى ولا يبدو بها غريباً مستغرباً كما في قوله :

وفارقت حُلوّ العيش إلا صُبابةً   عليها خطوب الحادثات تحوم(٢)

فهيأ له ذلك أن يبقى معدوداً في المطبوعين ، وحفظه من أن يتكلف القول فيما لم يكن له فيجره إلى ضعف ووهن وسخف .

(١) عبد القاهر الجرجاني ١٢٦ ـ ١٢٧ .
(٢) ابن عساكر ٢ : ٤٣٧ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وحين جاء أبو تمام ثم البحتري ، ووقع النقاش في عمود الشعر ، ثم اشتد هذا النقاش واحتد ، وجاء الآمدي للموازنة ، أوضح مذهب الخريمي وهو يوضح مذهب البحتري ؛ قال : « ... "من فضَّلَ" البحتري ونسبه إلى حلاوة النفس وحسن التخلص ووضع الكلام في مواضعه ، وصحة العبارة وقرب المأتى وانكشاف المعاني ، وهم الكتاب والأعراب والشعراء المطبوعون وأهل البلاغة . ومثل من فضّل أبا تمام ونسبه إلى غموض المعاني ودقتها وكثرة مايورده مما يحتاج إلى استنباط وشرح واستخراج ، وهؤلاء أهل المعاني والشعراء أصحاب الصنعة ومن يميل إلى التدقيق وفلسفي الكلام .

إن البحتري أعرابي الشعر ، مطبوع ، وعلى مذهب الأوائل ، وما فارق عمود الشعر المعروف ، وكان يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام فهو بأن يقاس بأشجع السُّلمي ومنصور [النمري] وأبي يعقوب [الخريمي] المكفوف وأمثالهم من المطبوعين أولى ... »(١) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إذاً كان الخريمي يمثل منهاجاً من الشعر ، وقد أقرَّ ذلك الآمدي ، ثم القاضي الجرجاني ، إذ قال وهو يقدم للوساطة بين المتنبي وخصومه : « إنك لا تدَّعي لأبي الطيب طريقة بشار وأبي نواس ولا منهاج أشجع والخريمي ، ولو ادَّعيته فانما كنت تخادع نفسك أو تباعت عقلك ، وإنما أنت أحد رجلين : إما أن تدَّعي له الصنعة المحضة فتُلحقه بأبي تمام ... فإن ملتَ به نحو الصنعة فضل ميل صيرته في "جَنَبَة" مسلم ... »(٢) .

وكان المبرد معجباً بالخريمي وقد حدد مبكراً فن الخريمي إذ قال :

(١) الآمدي ١ ــ ٦ .

(٢) القاضي الجرجاني ٥٠ ــ ٥١ .

« كان شاعراً مفلقاً مطبوعاً مقتدراً على الشعر » ، وقال : كان « جيد الشعر مقبولاً عند الكتاب وله كلام قوي ومذهب متوسط » [١] .

ولم يبالغ المبرد ولم يخرج بأحكامه عن الاعتدال . وكذلك كانت جل الأحكام التي صدرت في الخريمي ، فقد قال ابن المعتز : « وهذا الخريمي من المحسنين المجيدين للشعر » [٢] . وقال ابن الجرّاح : انه « شاعر متقدم مطبوع له أشعار طوال ومدائح ، وكلامه عذب حسن » [٣] وكان الخطيب البغدادي مقتصداً جداً في الكلام فاكتفى بأن قال : « أما أبو يعقوب فشاعر مُحسن » واكتفى ابن عساكر بأن أعاد أحكام غيره مرتين منسوبة ومرة غير منسوبة [٤] .

ويبدو أن أبا حاتم السجستاني كان شديد الإعجاب بحيث سمح لنفسه أن يقول : « الخريمي أشعر المولّدين » [٥] .

ولا شك في أن الخريمي نفسه كان يعي شعره ، ويدرك منزلته ويعرف ما يأخذ وما يدع ، وقد مدح مرة قصيدة له فقال :

هاكها غراءَ تَسري في الدُّجى   كل بيت عائرٍ منهـــا تسير
حلّة حبّرها ذو ميقـــةٍ   بالهوى يُسدي وبالود يُنـــير [٦]

---

(١) ابن المعتز ٢٩٣ « وحدثني المبرد قال ... » . الحصري ٢ : ١٠٧١ « قال المبرد . . » ابن عساكر ٢ : ٤٣٣ ... وليلاحظ ان المبرد مما كان يفضل البحتري ـ الآمدي ١ : ٢١ .

(٢) ابن الجراح ٢ ١ ـ ١٠٣ .

(٣) البغدادي ٦ : ٣٢٦ .

(٤) ابن عساكر ٢ : ٤٣٤ ـ ٤٣٥ .

(٥) ابن الجراح ١٠٣ : « حدثني محمد بن القاسم قال حدّثني الكرّاني قال سمعت أبا حاتم ... » ، البغدادي ٦ : ٣٢٦ ، ابن عساكر ٢ : ٤٣٥ .

(٦) ابن الجراح ١٠٤ .

ومدح أخرى فقال :

دونكَ غــــراءَ كالوذيلةِ لا تُفْقَدُ في بلدةٍ سوائرُها [١]

وكان الناس يستحسنون شعره فيسألونه :

ـــ ما بالُ شعرك لا يسمعه أحدٌ إلا استحسنه وقبلته طبيعته ؟ فيقول :

ـــ لأني أجاذب الكلام إلى أن يساهلني عفواً فإذا سمعه إنسان سهل عليه استحسانه » [٢] .

وفي جوابه توضيح علمي للمقصود بالشعر المطبوع ودليل على عملية الخلق الأدبي لديه .

ثم إنه لا يُكره نفسه على النظم ولا يسمح للعوامل الطارئة أن تغربه بالقول ، روى الجاحظ : « قال لي أبو يعقوب الخريمي : خرجت من منزلي أريد الشماسية فابتدأتُ القول في مرثية لأبي التختاخ ، فرجعت والله وما أمكنني بيت واحد » [٣] .

ولم يكن ذلك عجباً فهو أمرؤ يحترم فن الشعر ويفهم حقيقة القول ويتشبث بمفهوم البلاغة ، ولا غرو أن كان الراوية الذي أوصل إلينا تعريف ابن المقفع للبلاغة والقائل : « لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفع أحد . سُئل ما البلاغة ؟ قال : البلاغة اسم جامع لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة ، فمنها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع ، ومنها ما يكون في الإشارة ،

---

(١) الطبري III ٨٧٩ .

(٢) ابن الجراح ١٠٣ : « حدثني محمد بن القاسم قال حدثني أحمد بن المبارك قال : قلت لأبي يعقوب ... »

(٣) الجاحظ ـ البيان ١ ٢٠٩ ـ ولعل الأصل لأبي علي التختاخ أو لابن التختاخ .

ومنها ما يكون في الاحتجاج ... فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها ، والإشارة إلى المعنى .... إذا أعطيتَ كل مقام حقه وقمتَ بالذي يجب في سياسة ذلك المقام ، وأرضيتَ من يعرف حقوق الكلام ، فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو ؛ فانه لا يرضيها شيء . وأما الجاهل فلستَ منه وليس منك ... » (١) .

إن الخريمي شاعر من كبار شعراء العربية ، وتأكد أنه كان معروفاً مشهوراً ، ولم يكن ذلك باطلاً ، إلاّ أن اللاحظ أنه كان معروفاً لدى الخاصة أكثر منه لدى العامة ، وأن ذكره تضاءل واختفى مبكراً حتى أن أديباً من أواسط القرن الخامس ، وهو ابن رشيق ، تنبه إلى ما لحق الخريمي ، ولحق أمثاله ، من حيف فقال متألماً : « الاشتهار بالشعر أقسام وجدود » (٢) ، ولكنه لم يستطع أن يفعل شيئاً من أجله أو إنصافه ولم يرد له شيء يستحق الذكر في مجموع كتابه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ألا إن أبا يعقوب اسحاق بن حسان الخريمي شاعر جدير بالإعجاب ، جدير بالاهتمام .

★ ★ ★

(١) الجاحظ ـ البيان ١ : ١١٥ ـ ١١٧ . وينظر العسكري ـ الصناعتين ١٤ ، الحصري ١ : ١٠٤ ـ ١٠٥ ، ابن رشيق ١ : ٢٤٣ .

(٢) ابن رشيق ١ : ١٠٠ (باب المشاهير من الشعراء) وفيه « .. ولولا ذلك لم يكن نصر بن أحمد الخبزرزي أشهر من منصور النمري وكلثوم العتابي وأبي يعقوب الخريمي وأبي سعيد المخزومي » .

المصادر والكتب الحديثة

الآمدي — (أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى ، المتوفى سنة ٣٧٠) .
الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري . تح . السيد أحمد صقر ، ج ١ ، القاهرة (دار المعارف — ذخائر العرب — ٢٥) ١٩٦١ .
ابن الأثير — (عز الدين أبو الحسن علي بن محمد ... الشيباني الجزري ، المتوفى سنة ٦٣٠) .
الكامل في التاريخ . القاهرة (ادارة المطبعة المنيرية — صحح أصوله الشيخ عبد الوهاب النجار) ١٣٥٧ .
ابن تغري بردي — (جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي ، المتوفى سنة ٨٧٤) .
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . القاهرة (مطبعة دار الكتب المصرية) ١٣٤٨/١٩٢٩ .
ابن الجراح — (أبو عبد الله محمد بن داود — وزير ابن المعتز ... المقتول سنة ٢٩٦) .
الورقة . تح . عبد الوهاب عزام وعبد الستار أحمد فراج . القاهرة (دار المعارف — ذخائر العرب — ٩) ١٩٥٣ .
ابن حزم — (أبو محمد علي بن سعيد ... الأندلسي ، المتوفى سنة ٤٥٦) .
جمهرة أنساب العرب ، تح . ليفي بروفنسال ، القاهرة (دار المعارف — ذخائر العرب — ٢) ١٩٤٨ .
ابن خلكان — (شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم ، المتوفى سنة ٦٨١) .
وفيات الأعيان . تح . محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة (مطبعة السعادة ، نشر مكتبة النهضة المصرية) ١٣٦٧/١٩٤٨ .
ابن دريد — (أبو بكر محمد بن الحسن ، المتوفى سنة ٣٢١) .
الاشتقاق . تح . عبد السلام محمد هارون ، القاهرة (نشر مكتبة الخانجي — مطبعة السنة المحمدية) ١٣٧٨/١٩٥٨ .

ابن رشيق — (أبو علي الحسن القيرواني ، المتوفى سنة ٤٥٦) .
العمدة في محاسن الشعر ونقده . تح . محمد محيي الدين عبد الحميد . القاهرة (ط ٢ ، المكتبة التجارية ، مطبعة السعادة) ١٣٧٤/١٩٥٥ .
ابن عبد ربه — (أحمد بن محمد ... الأندلسي ، المتوفى سنة ٣٢٨) .
العقد الفريد . تح . أحمد أمين ، أحمد الزين ، ابراهيم الابياري . القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٦٧/١٩٤٨ .
ابن عدلان — (عفيف الدين علي بن عدلان الموصلي ، المتوفى سنة ٦٦٦ .
يرى الدكتور مصطفى جواد (في مقالة نشرها في العدد السادس ، ص ١٥٢ من مجلة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٣٧٨/١٩٥٩) انه شارح ديوان المتنبي باسم التبيان . .) — ينظر التبيان ، العكبري .
ابن عساكر — (أبوالقاسم علي بن الحسن بن هبة الله ... الشافعي ، المتوفى سنة ٥٧١).
التاريخ الكبير نشر بتهذيب عبد القادر بدران . دمشق (مطبعة روضة الشام) ١٣٣٠ .
ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم .. الدينوري ، المتوفى سنة ٢٧٦) .
الشعر والشعراء . بيروت (نشر وتوزيع دار الثقافة) ١٩٦٤ .
(مع المقابلة بتحقيق أحمد محمد شاكر ، القاهرة (دار احياء الكتب العربية ـ عيسى البابي) ١٣٦٩/١٩٥٠ ومخطوطة مكتبة شيخ الإسلام بالمدينة برقم ١٤٠) .
عيون الأخبار . القاهرة (دار الكتب المصرية ، مطبعة دار الكتب المصرية) ١٣٤٣/١٩٢٥ — ١٣٤٩ — ١٩٣٠ .
ابن كثير — (عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، المتوفى سنة ٧٧٤) .
البداية والنهاية في التاريخ . القاهرة (مطبعة السعادة) ١٩٣٢ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابن المعتز — (أبو العباس عبد الله المقتول سنة ٢٩٦) :

طبقات الشعراء تح . عبد الستار فرّاج . القاهرة (دار المعارف — ذخائر العرب — ٢٠) ١٩٥٦/١٣٥٧ (كانت الطبعة الأولى بتحقيق عباس إقبال في سنة ١٩٣٨) .

ابن منظور — (أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي ، المتوفى سنة ٧١١) .

لسان العرب . القاهرة ، بولاق ١٣٠٠ .

ابن النديم — (أبو الفرج محمد بن اسحاق النديم ... صنع كتابه سنة ٣٧٧ ؟ وتوفي سنة ٣٨٥ ؟) .

الفهرست . تح . Gustav Flügel ، ليبزك ١٨٧١ (في الطبعة المصورة التي عملتها مكتبة خياط (روائع التراث العربي) بيروت د . ت (١٩٦٤ ؟) .

أبو تمام — (حبيب بن أوس المتوفى ٢٣٢) .

كتاب الوحشيات (وهو الحماسة الصغرى) علق عليه عبد العزيز الميمني الراجكوتي وزاد في حواشيه محمود محمد شاكر . القاهرة (دار المعارف ـ ذخائر العرب ٣٣) ١٩٦٣ .

أحمد أمين — ضحى الاسلام . الجزء الأول . ط ٥ ، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٥٦ (كانت الطبعة الأولى في سنة ١٣٥١/١٩٣٣) .

الأصبهاني — (أبو الفرج علي بن الحسين ... ، المتوفى سنة ٣٥٦)

الأغاني . التزام ساسى . القاهرة مطبعة التقــدم ، وطبع الفهرس بمطبعة الجمهور ١٣٣٢ .

بروكلمان — (كارل) . تاريخ الأدب العربي . نقله إلى العربية الدكتور عبد الحليم النجار . ج ٢ ، القاهرة (جامعة الدول العربية ـ الادارة الثقافية ـ دار المعارف) ١٩٦١ .

براون Browne (E. G) — Aliterary History of Persia. Cambridge, the University Presse 1950.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

البغدادي — (الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب ، المتوفى سنة ٤٦٣) .
تاريخ بغداد أو مدينة السلام . القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٤٩/١٩٣١ .
البكري — (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري ، المتوفى سنة ٤٨٧) .
التنبيه على أوهام أبي علي القالي . القاهرة (ط ١ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، على نفقة اسماعيل يوسف دياب) ١٣٤٤/١٩٢٦ .
بيومي — (السباعي) ، تاريخ الأدب العربي ، ج ٣ (في العصر العباسي بالمشرق) ط ١ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة لجنة البيان العربي)١٣٧٢/١٩٥٣ .
التبيان — التبيان في شرح الديوان (ديوان المتنبي) القاهرة . تح . مصطفى السقا ، ابراهيم الابياري ، عبد الحفيظ شلبي . ملتزم الطبع والنشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ تراث العرب ـ ٣ ، ط ٢ ، ١٣٧٦/ ١٩٥٦ ينظر ابن عدلان والعكبري .
الجاحظ — (أبو عثمان عمرو بن بحر ، المتوفى سنة ٢٥٥) .
الحيوان . تح . عبد السلام محمد هارون . القاهرة (مكتبة الجاحظ ـ الكتاب الأول ـ مكتبة مصطفى البابي وأولاده) ١٣٥٧/١٩٣٨ = ١٣٦٦/١٩٤٧ .
البيان والتبيين . تح . عبد السلام محمد هارون . القاهرة (مكتبة الجاحظ ـ الكتاب الثاني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٦٧/١٩٤٨ — ١٣٧٠/١٩٥٠ .
البخلاء تح . طه الحاجري . القاهرة (دار المعارف — ذخائر العرب — ٢٣) ١٩٥٨ . وفي ذيله تعليقات وشروح ـ ينظر الحاجري .
الجرجاني — ينظر القاضي ، وينظر عبد القاهر .
الجهشياري — (أبو عبد الله محمد بن عبدوس المتوفى سنة ٣٣١) .
كتاب الوزراء والكتاب . تح . مصطفى السقا ، ابراهيم الابياري ، عبد الحفيظ شلبي . ط ١ ، القاهرة (مطبعة مصطفى البابي الحلبي) ١٣٥٧/١٩٣٨ .

الحاجري — (طه) محقق الجاحظ ـ البخلاء (ينظر) ، وقد ذيل عليه في المجلد نفسه بـ « تعليقات وشروح من ص ٢٤٧ — ٤٣٨ » .

حجاب (الدكتور محمد نبيه حجاب) ، مظاهر الشعوبية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الثالث . القاهرة (ط ١ ، مكتبة نهضة مصر) ١٣٨١/١٩٦١ (والكتاب رسالة دكتوراه بإشراف الأستاذ عمر دسوقي) .

الحصري — (أبو اسحاق ابراهيم بن علي ... القيرواني المتوفى سنة ٤١٣ أو ٤٥٣). زهر الآداب وثمر الألباب . تح . علي محمد البجاوي . القاهرة (ط ١ ، دار احياء الكتب العربية) ١٣٧٢/١٩٥٣ .

الحوفي — (أحمد محمد) ، أدب السياسة في العصر الأموي . القاهرة (ط ١ ، مكتبة نهضة مصر) ١٩٦٠ .

الخطيب — ينظر البغدادي .

الذهبي — (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ... ، المتوفى سنة ٧٤٨) . كتاب ميزان الاعتدال في نقد الرجال . تح . علي محمد البجاوي . القاهرة (دار إحياء الكتب العربية — عيسى البابي الحلبي) ١٣٨٢/١٩٦٣ .

رفاعي — (الدكتور أحمد فريد) ، عصر المأمون . القاهرة . (ط ١ ، مطبعة دار الكتب المصرية) ١٣٤٦/١٩٢٧ .

الزَّبيدي — أبو الفيض السيد محمد مرتضى بن محمد ، المتوفى سنة ١٢٠٥) . تاج العروس من جواهر القاموس . القاهرة (المطبعة الوهبيـــة) ١٢٨٦ — ١٣٠٧ .

الزركلي — (خير الدين) ، الأعلام . القاهرة (ط ٢ ، عشرة أجزاء) مطبعة كوستاتسوماس وشركاه) ١٣٧٣/١٩٥٤ — ١٣٧٨/١٩٥٩ .

السجستاني — (أبو حاتم سهل بن محمد ، الموفى حوالى سنة ٢٥٠) . المعمرون والوصايا . تح . عبد المنعم عامر . القاهرة (دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابي) ١٩٦١ .

الشايب — (أحمد) ، تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني . القاهرة (ط ٢ ، مكتبة النهضة المصرية) ١٩٥٣ (كانت الطبعة الأولى ١٩٤٥) .

الصفدي — (صلاح الدين بن ايبك ، المتوفى سنة ٧٦٤) .

نكت الهميان في نكت العميان . وقف على طبعه أحمد زكي بك . القاهرة (المكتبة التجارية ، المطبعة الجمالية) ١٣٢٩/١٩١١ (أعدت مكتبة المثنى ببغداد طبعه على الأوفست بطهران ، د . ت) .

الصولي — (أبو بكر محمد بن يحيى ، المتوفى سنة ٣٣٥) .

كتاب الأوراق ـ قسم الشعراء ، عني بنشره ج . هيورث دن ، القاهرة ، (ط ١ ، مطبعة الصاوي) ١٩٣٤ .

الطبري — (أبو جعفر محمد بن جرير ، المتوفى سنة ٣١٠) .

تاريخ الأمم والرسل والملوك . تح . دخويه De Goeje ، ليدن ١٨٨٩—١٩٠١ (أعادت نشره مصوراً على الأوفست مكتبة خياط ببيروت ١٩٦٤) .

العباسي — (عبد الرحيم بن أحمد المتوفى سنة ٩٦٣) .

معاهد التنصيص على شواهد التلخيص . تح . محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٦٧/١٩٤٧ .

عبد القاهر الجرجاني (المتوفى سنة ٤٧١) .

دلائل الإعجاز في علم المعاني . صححه الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود الشنقيطي . القاهرة (ط ٤ ، دار المنار) ١٣٦٧ (كانت الطبعة الأولى سنة ١٣٢١) .

العسقلاني — (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر ، المتوفى سنة ٨٥٢) .

لسان الميزان ، ط ١ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية حيدر اباد الدكن ، ١٣٢٩ — ١٣٣١ .

تهذيب التهذيب ، ط ١ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، ، ١٣٢٥ .

العسكري — (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، المتوفى سنة ٣٩٥) .

كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) . تح . علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم . القاهرة (دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي) ١٣٧١ — ١٩٥٢ .

العكبري — (أبو البقاء عبد الله المتوفى سنة ٦١٦) ، ينظر التبيان وابن عدلان .

الفيروزابادي — (مجد الدين محمد بن يعقوب ، المتوفى سنة ٨١٧) .

القاموس المحيط . القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٣٨ — ١٩١٣ .

القاضي الجرجاني — (علي بن عبد العزيز ، المتوفى سنة ٣٦٦) .

الوساطة بين المتنبي وخصومه . تح . محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي (ط ٣ ، دار احياء الكتب العربية — عيسى البابي الحلبي) (الطبعة الثانية بتاريخ ١٣٧٠ — ١٩٥١) .

القفطي — (جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف المتوفى سنة ٦٤٦) .

إنباه الرواة على أنباه النحاة . تح . محمد أبو الفضل ابراهيم . القاهرة (مطبعة دار الكتب المصرية) ج ١ ، ١٣٦٩ — ١٩٦٠ .

القلقشندي — (أبو العباس أحمد ، المتوفى سنة ٨٢١) .

نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب . تح . ابراهيم الابياري . القاهرة (الشركة العربية للطباعة والنشر) ١٩٥٩ .

الكندي — (أبو عمر محمد بن يوسف ، المتوفى سنة ٣٥٠) .

ولاة مصر . تح . الدكتور حسين نصار . بيروت (دار صادر ـ دار بيروت) ١٣٧٩ — ١٩٥٩ .

لسترنج — بلدان الخلافة الاسلامية ، نقله إلى العربية بشير فرنسيس وكوركيس عواد (مطبوعات المجمع العلمي العراقي — مطبعة الرابطة) بغداد ١٣٧٣ — ١٩٥٢ .

اللغوي — (أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي ، المتوفى سنة ٣٥١) .
مراتب النحويين . تح . محمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة (مكتبة نهضة مصر ومطبعتها) ١٣٧٥ — ١٩٥٥ .

المبرد — (أبو العباس محمد بن يزيد ... المتوفى سنة ٢٨٥) .
الكامل في اللغة والأدب والنحو والصرف ج ١ ، تح . زكي مبارك ١٣٥٥/١٩٣٦ ، ج ٢ ، ٣ . تح . أحمد محمد شاكر ١٣٥٦/١٩٣٧ (مطبعة مصطفى البابي الحلبي) .
الفاضل تح . عبد العزيز الميمني (تقرأ المقدمة للتحقق من مؤلف الكتاب) القاهرة (دار الكتب المصرية ـ مطبعة دار الكتب المصرية) ١٣٧٥/١٩٥٦ .

محمود مصطفى — (الأدب العربي وتاريخه في العصر العباسي ، ج ٢ ، ط ٢ ، (مطبعة مصطفى البابي الحلبي) ١٣٥٦/١٩٣٧ (كانت الطبعة الأولى سنة ١٣٥٢/١٩٣٣) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المرزباني — (أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى ، المتوفى سنة ٣٨٤ أو ٣٨٥) .
الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء . القاهرة (جمعية نشر الكتب العربية ـ المطبعة السلفية ومكتبتها) ١٣٤٣ .
معجم الشعراء .

المرزوقي — (أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن ، المتوفى سنة ٤٢١) .
شرح ديوان الحماسة . نشره أحمد أمين ، عبد السلام هارون ، القاهرة (ط ١ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٧١/١٩٥١ — ١٣٧٢ — ١٩٥٣ .

المسعودي — (أبو الحسن علي بن الحسين ، المتوفى سنة ٣٤٦) .
مروج الذهب ومعادن الجوهر . تح . محمد محي الدين عبد الحميد . القاهرة (مطبعة السعادة) ط ٣ ، ١٣٧٧/١٩٥٨ .

المقريزي — (أبو العباس تقي الدين بن علاء الدين ... المتوفى ٨٤٥) .
المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار تحقيق Gaston Wiet ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ، ١٩١٠ .

الميداني — (أبو الفضل أحمد بن محمد بن ابراهيم النيسابوري ، المتوفى سنة٥١٨).
مجمع الأمثال . تح . محمد محي الدين عبد الحميد . القاهرة (مطبعة السعادة) ، ط ٢ ، ١٣٧٩ — ١٩٥٩ .

النويري — (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ... المتوفى سنة ٧٣٢) .
نهاية الأرب في فنون الأدب . القاهرة (دار الكتب المصرية) .

الوشّاء — (أبو الطيب محمد بن اسحاق بن يحيى ، المتوفى سنة ٣٢٠) .
الموشى أو الظرف والظرفاء . تح . كمال مصطفى . القاهرة ، ط ٢ (مطبعة الاعتماد — التزام مكتبة الخانجي) ١٣٧٢/١٩٥٣ .

ياقوت (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، المتوفى سنة ٦٢٦) .
معجم البلدان . بيروت (دار صادر — دار بيروت) ١٣٧٤ — ١٩٥٥ .
معجم الأدباء (ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب) . القاهرة (دار المأمون) ١٣٥٥/١٩٣٦ — ١٣٥٧/١٩٣٨ .

الرياض — جامعة الرياض

الدكتور علي جواد الطاهر

طرر على معجم الأدباء

أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت

طبعة الأستاذ مرجليوث سنة ١٩٠٧ م

-٦-

(المجلد الثاني)

٨٦ : ٢ الصواب : فلم يستوف كما في اليتيمة والوفيات . والبيت الثاني مثل سائر ، (٤ : ٢٥٩/٩) .

٨٦ : ١٤ الصواب : هكذا نزول .

٨٧ : ٤ البنية ١٦٠ . والمعروض هذا كتاب على ديوان المتنبيء كما في الصبح المنبيء ١٣٥٠ هـ ص ١٦١ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٨٨ : ١٩ مسكويه هذا له ترجمة في حكماء القفطي ١٣٢٠ هـ ص ٣٣١ والتتمة رقم ٨٣ ، (٥ : ٥/١) .

٨٩ : ٨ لعل الصواب ابنَ العميد أبا الفضل ، (٥ : ٥/١٣) .

٩٠ : ٦ البيتان في الإيجاز مصر ٢٢٧ وخاص الخاص ١٦٤ والتتمة ٨٣ واليتيمة ٣ : ٧ ، (٥ : ٧/٩) .

٩٠ : ١٥ ومن الكلمة بيتان آخران في خاص الخاص ١٦٤ . هذا وفي التتمة قبل البيت (ومنها) والصواب كما فيه أعدن ... وردّت .

٩١ : ٢ التتمة : فان تمرّس بي ، وفيه في البيت العاشر والحظ كتائبهم ، وفي البيت ١٢ تعظّمه وارى كلها الصواب ، (٥ : ٩/٥) .

٩١ : ١٦ جاويذان خرد هـذا أصله للحكيم اوشهنج الملك تممه مسكويه وقد طبعت أصله في مجلة المجمع العلمي بدمشق ١٣٤٧ هـ ١٢٩ — ١٣٩ و ١٩٣ — ٢٠٢ ، (٥ : ١٤/١٠) .

٩٢ : ١٢ الصواب : والمستخف به لكن .

٩٤ : ٢ الصواب : فنعم رائد .

٩٦ : ٤ الصواب : مليكة .

٩٦ : ٥ الصواب : ليستعمل في المهم .

٩٦ : ١٥ في كتابه . لم أجده في طبعتي اليتيمة والتتمة ، (٥ : ١٥/١٩) .

٩٦ : ١٧ الصواب : والإبداع .

٩٧ : ١٤ الصواب الداهخزا أبي سعد انظر له التتمة رقم ٩٩ والدمية ص ١٠٦ . والحوالي لا أعرفه وإنما هو جرجاني ، (٥ : ١٠/٢١) .

٩٧ : ١٥ لعله : ثم شوقنا إلى مشاهدة الفضل .

٩٨ : ٧ لعله ولا أبدى بأفق ، (٥ : ١٢/٢٢) .

٩٨ : ٩ الصواب : أن يجرّ أولياءه على شوك الرد . فحقّ .

٩٨ : ١٨ الصواب : كتّاب الإنشاء .

١٠٠ : ٩ الصواب : والصاد خاء ، يريد الخيانة .

١٠٠ : ١١ الصواب : ويتلوه فاء . يريد السخيف .

١٠٢ : ١ لترجمته حواشي چهار مقاله ٢٤٤ طبعة جيب وورد ذكره في اليتيمة ٤ : ١٦٥ ، (٥ : ٦/٣١) .

١٠٢ : ٢ مضى في ترجمة الصخري أبو محمد محمود بن أرسلان ، (٥ : ٧/٣١) .

١٠٢ : ٤ الثعالبي . هذا لم أجده في كتابيه اليتيمة والتتمة ، (٥ : ١٠/٣١) .

١٠٢ : ٩ لعله : الحسولي في الذهب ، (٥ : ٤/٣٢) .

١٠٢ : ١٢ الصواب : من عناق ، (٥ : ٨/٣٢) .

١٠٣ : ٥ في ذيل أبي شجاع ص الأصل ٤٢٧ غريب بن محمد بن مقن ، (٥ : ١٣/٣٣) .

١٠٣ : ٩ لترجمة المرزوقي في البغية ١٥٩ وما إليه .

١٠٤ : ٧ لترجمة الثعلبي الوفيات رقم ٢٩ طبقات القراء ٤٦٢ الشذرات ٤٢٧ هـ الشافعية ٣ : ٢٣

١٠٥ : ٣ الخطيب ٢٣٥١ البغية ١٥٥ الشافعية ٣ : ٢٤ ، (٥ : ٨/٣٨) .

١٠٥ : ٩ الصواب : وكتبت عنه ، (٥ : ٧/٣٩) .

١٠٥ : ١٤ الصواب : المهدوي منسوب إلى المهدية ترجمته في بغية الملتمس ٣٥٠ .

١٠٦ : ٤ لترجمته بغية الملتمس ٤٥٤ والمطمح الخوائب ٢٤ ، (٥ : ٣/٤١) .

١٠٦ : ٦ شهيد كَكَتب

http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٠٧ : ٤ لترجمته البغية ١٦٨ .

١٠٧ : ١٦ الميداني لترجمته الوفيات رقم ٥٩ البغية ١٥٥ النزهة ٤٦٦ ورأيت خط يده بالقراءة على نسخة من اصلاح المنطق بنور عثمانيه ٤٦٩٢ مكتوبة سنة ٣٩٥ هـ ، (٥ : ١/٤٥) .

١٠٨ : ٢ جامع الأمثال سماه مؤلفه مجمع الأمثال . والسامي طبع ايران سنة ١٢٧٤ هـ وهو في معنى مقدمة الأدب للزمخشري ، والأنموذج ونزهة الطرف مطبوعان ، (٥ : ١/٤٦) .

١٠٨ : ٥ رأيت بخزانة أحمد الثالث ٢٧٨٦ شرح الكلمات المشكلة في السامي لأبي الفتوح أسعد بن أبي الفضائل بن خلف العجلي في ٩٠ ق (٥:٤٦/٥) .

١٠٨ : ١٦ الصواب : محمود بن أبي المعالي الحواري ويأتي في ترجمة الجوهري أيضاً وترجمته عن ياقوت في البغية ٢٩٠ . وخوار كغراب من أعمال الري .

١٠٩ : ٦ الصواب : فشأ .

١٠٩ : ٦ الوفيات : أيا هل ترى صُبْحاً ، (٥ : ٩/٤٨) .

١١٠ : ١٩ في خريدة العماد (نسخة فهرست ليدن الثانية ٢ : ٢١٨) أنه توفي سنة ٥٣٣ ﻫ ولذي الفضائل مرثية إلى مضر الطبيب كاتان في صوان الحكمة رقم ٨٤ ، (٥ : ٢/٥٢) .

١١١ : ١١ في مشيخته . وفي الأنساب أيضاً . (٥ : ٦/٥٤) .

١١١ : ١٦ الخليل هذا له ترجمة في التتمة ١٨٥ ، (٥ : ١٣/٥٤) .

١١١ : ١٧ الصواب : (عن محمود الصوفي) لا غير وهو المذكور آنفاً والصواب في الأنساب ، وفيه : عن أبي عبيد الفرغاني ، (٥ : ١٤/٥٤) .

١١١ : ١٨ في حدود الخ في البغية ١٦٢ في حدود سنة ٤٦٠ ﻫ ومات بمرو فجأة يوم الأحد ثامن جمادى الأولى وقيل ليلة الاثنين لأربع بقين من جمادى الآخرة سنة ٥٢٦ ﻫ وفي الأنساب (سنة ... وثلاثين وخمس مائة) ، (٥ : ١٥/٥٤) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

١١٢ : ١ البغية ١٦٩ .

١١٢ : ١٢ المثل في جمهرة العسكري بومباي ٢٧ مصر ١ × ٧٠ والمستقصى والحريري المقامة الـ ٤٧ وطراز المجالس المجلس ٣١ . وأصل المثل في الجمل . (٥ : ١٤/٥٦) .

١١٢ : ١٥ الصواب : فيحتضنه ، (٥ : ٤/٥٧) .

١١٣ : ١٧ عنه البغية ١٥٨ .

١١٤ : ٩ مطلع قصيدة للمتنبئ والعامل في الظرف (تذكرت) أو (بحر الخ) بدل اشتمال عن (ما بين الخ) ، (٥ : ١٣/٦٠) .

١١٥ : ٥ البغية عنه ١٧٠ .

١١٥ : ١٠ الصواب الحالات فيه معا ، (٥ : ٣/٦٣) .

١١٥ : ١١ البغية ١٧٠ عنه .

١١٥ : ١٦ البغية ١٧١ عنه .

١١٦ : ١١ الخطيب ٢٥٨٠ طبقات القرّاء ٦٦٣ الفهرست ٣١ .

١٢٣ : ٦ هذا الخبر في النشوار ١ : ٥٣ وفيه : (بن عبيد الله بن قشاش) وأبو جعفر هو الذي أخبر صاحب النشوار . وفيه خبر آخر لليبص في مجلس ابن دريد رواه أبو جعفر أيضاً . وأما ابن البازيار ففي حلب يوجد درب البازيار وهو منسوب اليه وهو الزقاق المعروف الآن بزقاق الزهراوي حققه صديقنا الراغب الطباخ ، (٥ : ٨/٨٠) .

١٢٥ : ٣ عنه البغية ١٧٢ .

١٢٦ : ١٤ الصواب: خادمه والخادم المرأة الخادمة كالحامل ، (٥:٨٧/١٠) .

١٢٧ : ٣ ابن عساكر ٢ : ١٠٩ الفهرست ١١٣ الفوات ١ × ٨ .

١٢٧ : ٤ الفهرست وابن عساكر : وقيل أبو جعفر بدل (أبو بكر) ، (٥ : ٢/٨٩) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٢٨ : ٥ ضرطة وهب مثل انظر ثمار القلوب ١٦٤ وفيه كلمات لابن الرومي وأبي علي البصير وغيرهما أيضاً ، (٥ : ١٣/٩٢) .

١٢٨ : ٨ عبدان النصراني أخو صاعد أو عبدون كما سيأتي .

١٢٩ : ١٤ الصواب : عليك من الزمان . كما في الفوات ، (٥ : ١٢/٩٥) .

١٣٠ : ٨ الصواب : عِيٌّ وخِيبٌ ، (٥ : ٤/٩٧) .

١٣٠ : ١١ اضل من دليل . مما فات مجامع الأمثال ، (٥ : ٩/٩٧) .

١٣١ : ١ الصواب : حتوفها ، (٥ : ١٠/٩٨) .

١٣١ : ٣ الصواب : لذاذة أيام . ابن عساكر .

١٣١ : ٤ المرزباني قلت وعنه ابن عساكر أيضاً ، (٥ : ١/٩٩) .

١٣١ : ٥ الصواب : ما من ، (٥ : ٣/٩٩) .

١٣١ : ١٣ مجمل انساب الأشراف وأخبارهم هذا هو اسم الكتاب كما ثبت بآخر نسخة عاشر رقم ٥٩٧ منه وهي النسخة الفريدة ، (٥ : ٩٩/١٥) .

١٣٢ : ١٠ الصواب : ولم يفعل ، (٥ : ١٠١/٩) .

١٣٢ : ١٤ الصواب : بالوشا .

١٣٣ : ١ الفهرست ٧٤ أصل الزبيدي ٩٩ الخطيب ٢٦٨١ المروج (المكتفي) تذكرة الذهبي ٢ : ٢١٤ الوفيات رقم ٤١ النزهة ٢٩٣ البغية ١٧٢ أصل مراتب النحويين ١٥٥ القراء ٦٩٢ المنتظم ج ٦ رقم ٦٢ .

والصواب : يحيى بن زيد بن سيّار ، (٥ : ١٠٢/١٠) .

١٣٣ : ٨ الزبيدي : على ابنة ابنه وكذا المسعودي ، (٥ : ١٠٥/٤) .

١٣٣ : ١٩ الصواب : لصممه .

١٣٤ : ١٩ الصواب : من ذهب كما في الفهرست والوفيات والزبيدي .

١٣٥ : ٦ الصواب : ابن مسلم ، الزبيدي ، (٥ : ١٠٩/١٠) .

١٣٥ : ١٦ مجلسه مع الرياشي في مجالس أبي مسلم ، (٥ : ١١٠/١٠) .

١٣٦ : ٢ المجالس : إنما أصير إليك لهذه القطعات والخرافات يروى بازلُ عامٍ وبازلَ وبازلِ الخ وهو الصواب ، (٥ : ١١١/١) .

١٣٦ : ٧ خبر المجلس في المجالس والزبيدي وعنه الأشباه ٣ : ٢٢ قال الطوسي ٨ ب قالوا أراد خظاتان وأنشد لأبي دُؤاد :

ومتنـــان خظاتان كزحلوف من الهضب

ومثله في شرح خرابُنداذ ، (٥ : ١١١) .

١٣٦ : ١٣ الصواب : في خظاتا الاضافةَ ، (٥ : ١١٢/١) .

١٣٦ : ١٦ الصواب : ظريفي ، (٥ : ١١٢/٦) .

١٣٧ : ١ الصواب : عبيد الله ، (٥ : ١١٢/٩) .

١٣٧ : ٣ الصواب : ظريفي ، (٥ : ١١٢/١٢) .

١٣٧ : ٦ أخيك ، مجاراة للعامّة ولم يكن ثعلب يتكلّف الإعراب ، (٥ : ٢/١١٣) .

١٣٧ : ١٢ كذا الفهرست ٦٧ ووصفه ابن خلكان وقد وقف عليه في ترجمة الفراء وسماه البهاء ، هذا ورأيت بخزانة نور عثمانيه رقم مجموعة ٤٨٨٤ يتلوه ما تلحن فيه العوام للكسائي مرتباً وهذه مسوّدة المرتب نفسه وعليه أنه يسمى بالبهيّ . وفي فهرست ابن خير ٣١١ ان كتاب البهي في النحو للفرّاء قال وهو ما تلحن فيه العوامّ ، (٥ : ١١/١١٣) .

١٣٧ : ١٣ طبع المذكر والمؤنث بحلب ١٣٤٣ ه ولم أجد هذا الكلام فيه . (٥ : ١٣/١١٣) .

١٣٧ : ١٧ الصواب : لأنّهُ لا التبرئة .

١٣٨ : ١ البيت لا يوجد في طبعة ديوانه وانظر ما أصل (وعثرها) والصواب : بيض الخدود ، (٥ : ١٠/١١٤) .

١٣٨ : ٥ الصواب : للشباب .

١٣٩ : ٦ (إلا من بذل الوجه) لا غبار عليه .

١٣٩ : ١٥ فنقوم له . كذا ولعله فتقوم لأن ابن فارس لم يدرك أبا العباس ، (٥ : ٩/١١٧) .

١٣٩ : ١٦ ابن العلاف هو الحسن بن علي والأبيات في المنتظم ج ٦ رقم ١١ ، (٥ : ١١/١١٧) .

١٤٠ : ٨ قال وكان ثعلب الخ هذا الكلام لم أجده في المراتب ، (٥ : ٧/١١٩) .

١٤١ : ٤ وكان متبحّراً الخ . لفظ الزبيدي (ولم يكن يعلم مذهب البصريّين ولا مستخرجاً الخ) . (٥ : ٦/١٢٠) .

١٤١ : ٦ الصواب : لم يُغْرِق ، (٥ : ٩/١٢٠) .

١٤١ : ١٧ ولو أخذ لك الخ لفظ الزبيدي فلو أخذت رطلاً من لحم فأصلحتَ لك منه "قديرة" لكان أصلح فقال رطل لحم الخ ومنه تعرّفت السقط ، (٥ : ١١/١٢١) .

١٤٢ : ٦ الصواب : الأدب وكانا . والأبيات تسعة أنشدها الخطيب ، (٥ : ٧/١٢٢) .

١٤٢ : ٧ الخطيب : العلم لا "تَمْيلَنَّ" وأراء وجه الكلام ، (٥:١٢٢/٨) .

١٤٢ : ١٤ من خمسة أبيات في الحماسة بون ١٤٠ بولاق ١ : ١٥١ لاسحق بن خلف البهراني .

١٤٢ : ١٥ الصواب : أكرمُ نَزّالِ .

١٤٢ : ١٧ الصواب : أميمة تهوى .

١٤٣ : ١٨ الأبيات في المنتظم ج ٦ رقم ٧٥ ، (٥ : ٤/١٢٥) .

١٤٤ : ١٣ الصواب : التمهيد .

١٤٥ : ١٠ الصواب : أبو أحمد العسكري" وهذا في أصل الدار من التصحيف ٢١ ب ومن المطبوع ص ٣٦ وبيت الأعشى في ديوانه صنعة ثعلب قصيدة ١٥ بيت ٣٢ ، (٥ : ٦/١٢٨) .

١٤٥ : ١٨ الأوّلان في القالي ٢ : ٩٤ وروايته يغفل ساعة" وروى الخطيب يغفل ما مضى ، (٥ : ٣/١٢٩) .

١٤٦ : ٥ الخطيب : إلى أن تتكلف عذرا ، (٥ : ١١/١٢٩) .

١٤٦ : ١٤ الصواب : تَذَلّا .

١٤٦ : ١٤ الخبر الآتي في مجالس أبي مسلم كاتب الوزير ابن حِنْزابة ، (٥ :١٣١/ ١) .

١٤٧ : ٢ الصواب : يقوم مترجماً .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٤٧ : ٩ الصواب : تَبَيَّجَ بحر . عن المجالس . والخبر الآتي عن الزجاجي في أماليه ٣٨ وعنه المعاهد ١ × ١٩ ، (٥ : ١٣٢/٥) .

١٤٧ : ١٩ الأبيات في نسخة مختصر طبقات المحدثين لابن المعتز (انظر في المطبوع الحواشي ص ٣٧) لمحمد بن أحمد الصيني ، (٥ : ١٣٣/٥) .

١٤٨ : ١ الزجاجي : وكم كنتما .

١٤٨ : ٢ الزجاجي : فراق أتاهما ، (٥ : ١٣٣/١٠) .

١٤٨ : ٨ الصواب : على تَرَح .

١٤٨ : ١٠ البيت ينسب في شواهد علم المعاني (المعاهد ١ : ١٩) إلى العباس بن الأحنف وليس في ديوانه ، (٥ : ١٣٤/٧) .

١٤٨ : ١٩ من حفظي :

أعاذلتــــا أقصري أبِعْ جِدَّتي بالثمنْ

أرى النـــاسَ أحدوثة فكوني حديثاً حسن

(٥ : ١٣٥/٦)

١٤٩ : ٢ المنتظم : بن محمد ، (٥ : ١٣٥/٩) .

١٤٩ : ١٥ و ١٦ الرواية وهي الصواب : شا تمني . ولا احتقاري له .

١٥٠ : ١١ الخطيب : يُعابِثْنَ بالقُضبان ، وهو الصواب ، (٥ : ١٣٨/٨) .

١٥٠ : ١٣ الخطيب : ولا استقبلتُ بَرْدَ .

١٥١ : ٤ الخطيب فالحمد .

١٥١ : ٧ الصواب : بن زيد بن سَيّارٍ ثعلبُ ، (٥ : ١٤٠/٤) .

١٥١ : ٨ المعابر وكذا الخطيب والله أعلم .

١٥٢ : ٥ الخطيب : بالعلم باعثا ، (٥ : ١٤٢/٣) .

١٥٢ : ١٨ الصواب : ما يجري وما لا يجري ، (٥ : ١٤٣/١٤) .

١٥٣ : ٣ الحسن بن داود الخ ، زاد البغية وقيل ليعقوب ، (٥ : ١٤٤/٤) .

١٥٣ : ٤ الصواب : وأماليّ . ومجالس ثعلب هذا لا أعرف منه إلا نسخة الدار وهي مفسولة مطموسة ، (٥ : ١٤٤/٦) .

١٥٣ : ٧ كالأعشى ، هذا الديوان صنعة ثعلب ، (٥ : ١٤٤/٩) .

١٥٣ : ١٣ الصواب : أبي بكر محمد ، (٥ : ١٤٥/٧) .

١٥٣ : ١٥ الصواب : فكم تلبث . من الوفيات ، (٥ : ١٤٥/١٠) .

١٥٤ : ٧ ترجمته في الفهرست (تابع ص ١٧٢) نسخة تونك وعداده في المتكلمين ومن المطبوع ١٤٣ والخطيب ٢٦٨٨ عن المرزباني .

١٥٤ : ١٢ في ذي الحجة . ذكر نديمه الصولي في أخبار الراضي ١٣٧ أنه توفي في ذي القعدة . وفي الخطيب وقد جاوز الثمانين وأراه تصحيفاً وإذا كان مولده سنة ٢٦٣ هـ فإنه لم يزد على ٦٦ سنة ولم يجاوز السبعين ولا الثمانين .

١٥٥ : ٤ الشافعيه ١ × ٢٢٣ ، البغية ١٧٤ ، (٥ : ١٥٠/١) .

١٥٥ : ٥ لعله المولى كنيته والصواب (يكنى أبا عبد الله روى عن شعيب بن الليث وعبد الله بن وهب) ، (٥ : ١٤٩/٢) .

١٥٥ : ١٠ (ذكر ابن يونس) لا غبار عليه .

١٥٥ : ١١ تاريخ دمشق ٢ : ١٠٩ البغية ١٧٢ وفيها (بن السري الطائي) ، (٥ : ١٥٠/٤) .

١٥٥ : ١٩ الأبيات تسعة تتكرر ٦ : ٢٨٩ وهناك (عندي حزينه) ، (٥ : ١٥١/٤) .

١٥٦ : ١ هناك : اجتمع من عند الرواة ، (٥ : ١٥١/٦) .

١٥٦ : ٤ الصواب : أغال بحذف الياء ، (٥ : ١٥١/١١) .

١٥٦ : ٩ الخطيب ٢٧٠٥ النزهة ٣٦٥ البغية ١٧٥ ، (٥ : ١٥٢/٨) .

١٥٦ : ١٣ البغية ١٧٥ .

١٥٧ : ٢ ثبت في التنف المجموعة بآخر بلدانه ص ٣٧٢ أنه كان حياً سنة ٢٩٢ هـ والمطبوع من مؤلفاته التاريخ والبلدان ، (٥ : ٦/١٥٤) .

١٥٩ : ٩ الصواب : أسوة بابن الأرقط .

١٦٠ : ٤ الصواب : كتاب ترجمته كتاب الثمرة ، (٥ : ٤/١٦٠) .

١٦٠ : ٦ الصواب : ابن زولاق ، مؤرخ مصر المتوفى سنة ٣٨٧ هـ .

١٦٠ : ١٢ الأغاني ٢٠ × ٥٦ كتاب بغداد ٢٣٤ الخطيب ٣٦٩٢ ابن عساكر ٢ × ١٢١ الأوراق (الشعراء) ١٤٣ و ٢٠٦ لأخبار عائلته وأشعارهم ، (٥ : ١/١٦١) .

١٦٠ : ١٣ الصواب : العجلي أبو جعفر (بالولاء) ، (٥ : ٢/١٦١) .

١٦٠ : ١٦ قول الصولي في الأوراق الشعراء ٢٣٦ ، (٥ : ٢/١٦٢) .

١٦١ : ١٢ الألف كذا وانظر .

١٦٢ : ٣ الصواب : كيف أثبتها من الأوراق وغيره .

١٦٢ : ٦ الصواب : ابن ناقيا . وله ترجمة في الوفيات رقم ٣١٧ وهو صاحب المقامات وطبعة صاحبنا الأستاذ رشر ، (٥ : ٣/١٦٥) .

١٦٣ : ٦ الصواب : أريد اختصرَ .

١٦٤ : ١ الجهشياري ٣٨٥ ، (٥ : ٥/١٧٠) .

١٦٦ : ٣ الجهشياري ١٤٨ ، (٥ : ١١/١٧٢) .

١٦٦ : ١٤ الجهشياري : فلما صرت إلى باب الإيوان ، (٥ : ١٣/١٧٣) .

١٦٦ : ١٦ الصواب كما في الجهشياري أيضاً (وفَرِّجْ) كما هنا لا غير .

١٦٦ : ١٨ الصواب عند الجهشياري : فقال لي كأني بك يا يوسف وأنت تقول ، (٥ : ٥/١٧٤) .

(يتبع) عبد العزيز الميمني

الخراج والنظام الضرائبي

في مصر الأموية

لا بد لكل دارس لكتب الخراج أن يخرج بنظرة عميقة للأسس التي وضعها الفقهاء مسترشدين بالروايات السلفية التي تناولت النظام المتبع في فرض الخراج وغيره من ضروب الالتزامات المالية غير أن الوثائق الخراجية والسجلات التي عثر عليها تبدو متضاربة مع أسس كتب الخراج ، غير أن تلك الأسس التي وصلت الينا من خلال كتب الخراج والأدب الفقهي لم تكن لتطبق على علتها وبحذافيرها ، لأنها كانت تجانب روح التشريع وعدالة الإسلام ، وهناك كثير من الشواهد التي تثبت واقع الحال هذا وتخالف الأسس الخراجية الفقهية ، لأن تطبيقها يخالف روح التشريع ومبدأه الذي وضع بدون تخصيص بل كمبدأ عام . ان الجباية قد اتبعت منهجاً عادلاً يطابق الغرض من روح التشريع متفهماً واقع الحياة والظروف المحيطة به ، لذلك كثيراً ما نجدها غير متمسكة بهذه الأسس ولا تطبقها ، لأنها تنزل الإجحاف والضرر بالعامة ، فالقول بفرض ضريبة معينة ثابتة على أرض محددة ، أمر يستحيل تطبيقه لعدم عدالته ، بل نجد هناك اعتبارات لم يتناولها المشرع عند وضعه هذا المقياس العام . لذلك كانت الضرائب تفرض حسب مقتضى الحال والظروف الملائمة ، وتجبى بالتعديل وطبقاً للاصطلاح الفقهي السلفي « عفو ـ فضل ـ طاقة » .

ولما كان العرب في أول عهدهم بمصر ليست لديهم الدراية التامة بأحوال أهل البلاد التي سادتها فترة من الافقار والسلب والنهب قبل الفتح الإسلامي ،

فقد رؤي أن يطبق ما جرى به العرف سابقاً من نظم ضرائبية إن كانت في صالح البلاد . وكلنا بذكر المحاولات التي دارت بين الفاروق عمر « رض » وعمرو بن العاص وما كنا نقبل رضاء عمر بن الخطاب على رد عمرو بن العاص بعد حدة في طلب خراج عال وتعلل عمرو ، لولا أن الأمر كان يهدف إلى مصلحة أهل البلاد ولا يرهق كاهلهم . ومنذ تلك الفترة وضعت الأسس التي طبقت في الجباية وأدخل في اعتبارها ما جرى به العرف من نظم ضرائبية سابقة ، مفيدة لأهل البلاد ، لذلك لم تطبق الأسس الخراجية الفقهية ، إذ لو تم ذلك لكان مجافياً لروح العدل متجاهلاً حقيقة الدور الذي يلعبه النقد وصلته بالأسعار وقيمته الواقعية وقوته الشرائية إذ أن الأسس هذه لم تكن ثابتة بل متكيفة مع الظروف ، ففرض دينار في وقت رخاء واستقرار ، أمر سهل ، بينما دانق في عسر وغلاء يعتبر عبئاً يثقل كاهل دافعه .

وتثبت الوثائق الخراجية والإدارية التي عثر عليها في مصر ، بأن الإدارة الأموية لم تتقيد بأصول فقه الخراج ، وإنها تفهمت الواقع الناشىء عن وجوب معاملة الخراج بروح المنطق والواقع ، لذلك أبقت الدولة الإسلامية الناشئة على النظم المعمول بها في الأمصار بعد أن كيّفتها بالروح العربية الخلاقة العادلة . واستمر الحال بهذا النظام إلى أن عربت الدواوين في نهاية عهد الدولة الأموية . وأصبح للنظام الخراجي آدابه المعمول بها والتي استمرت إلى أوائل حكم آل عثمان .

ولقد خدمت الوثائق الخراجية الإسلامية التي عثر عليها في مصر تاريخ الإدارة الرومية لمصر أعظم الخدمات ، إذ أنها أكملت الفجوات الواسعة غير المترابطة للنظام الإداري ، لأن الوثائق الرومية لم تستطع أن تقدم الأسس التي يمكن أن تسهم في تخطيط هذا النظام .

وجلّ هذه الوثائق محرر إما باليونانية أو القبطية ونادراً ما كانت بالعربية، ولقد حفظت لنا الاصطلاحات الإدارية الرومية بنصّها، وهذا ما ساعد على تقديم صورة واضحة للنظام الضرائبي الرومي في مصر، من خلال الإدارة الإسلامية، وكما ساعد على تقديم أجل الخدمات للتاريخ الرومي، التي لم تستطع مراجعه ومستنداته تقديمه.

ولقد بينت لنا رواية منقولة عن عمرو بن العاص المنهاج الذي اتبعه في جباية الخراج بمصر، وهي قد أيدت الأسس التي اتبعت في الجباية متجاهلة القيود الفقهية التي تبدو في بعض الأحيان مجحفة بأهل البلاد، كما أنهـا صورت النظام الرومي الضرائبي بصورة واضحة، ولكن بعد أن كيفته بالروح الإسلامية العادلة. إذ يقول ابن عبد الحكم: «أقرّ القبط على جباية الروم وكانت جبايتهم بالتعديل، فجمع عرفاء كل قرية ومازوتها [Maizones] ورؤساء أهلها فيتناظرون في العمارة والخراب حتى إذا أقرّوا من القسم بالزيادة انصرفوا بتلك القسمة إلى الكور، ثم اجتمعوا هم ورؤساء القرى فوزعوا ذلك على احتمال القرى وسعة المزارع. ثم يرجع سكان كل قرية بقسمهم، فيجمعون قسمهم وخراج كل قرية وما فيها من الأرض العامرة ... فيخرجون من الأرض فدادين لكنائسهم وحماماتهم ومعدياتهم من جملة الأرض ثم يخرج منها عدد ضيافة المسلمين ونزول السلطان، فإذا فرغوا نظروا إلى ما في كل قرية من الصناع والأجراء فقسموا عليهم نصيبهم بقدر احتمالهم، فإن كانت فيهم جالية (جزية) قسموا عليها بقدر احتمالها وقل ما كانت تشمل الجميع ما عدا الرجل المنتاب أو المتزوج، ثم ينظرون في ما بقي من الخراج، فيقسمونه بينهم على عدد الأرض، ثم يقسمون ذلك بين من يريد الزرع منهم على قدر طاقتهم ...»

هذا هو الأساس الذي وضع إجمالاً في فرض الخراج وغيره من الإلتزامات المالية ، وهو لا يتفق مع تفاصيل الأسس التي وضعها فقه الخراج إلا من حيث روحه العادلة ، كما أنه لا يتفق مع تفاصيل الجباية الرومية التي لم تتسم بالعدل .

إن الضرائب التي اصطلح على تسميتها بالخراج كانت تجبى من أهل الذمة ومن هؤلاء المسلمين الذين كانوا يمتلكون أرضاً خراجية ، والتي عوملت نفس معاملة الأرض الخراجية ، وليس بالعشرية كما كان يتم في سواد العراق التي انتقلت إلى أرض عشرية في منتصف الدولة الأموية بسبب الهبات والإقطاعات التي منحت لرجال الدولة .

والجباية في مصر كانت تجمع بنوعيها النقدي والعيني . وكانت بنوعيها خاضعة لتقسيم آخر هو ضرائب عامة أطلق عليها Puplicus وضرائب غير عادية أطلق عليها Extraordina .

والضرائب العامة التي تقابل في اصطلاحنا الخراج كانت تجبى في شكلين أولها نقدي وثانيها عيني أي ضريبة القمح الرومانية والمساة Embola (١) .

والضريبة العامة كانت تتضمن أيضاً ثلاثة أنواع من الضرائب . أولها : خراج الأرض ، والثاني جزية الرأس أو الجالية ، وثالثها ما يسمى باليونانية Dapani (٢) وكان النوع الأول أي خراج الأرض ذا أهميـــة كبرى لأنه

(١) أم المراجع المستخدمة هي مجموعات أوراق البردى المحفوظة في المتحف البريطاني ودار الكتب المصرية واختصارات الكتب هنا كالتالي :

متحف بريطاني = Greek Papyri in the British Museum

دار الكتب = Arabic Papyri in the Egyptian Library

متحف بريطاني بـ ١٤١٢ ، ١٤٣٠ سجل الخراج ودار الكتب بـ ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٤ - ١٦٥ ، ١٦٧ ، ج ٢ ص ٦٠ ، ٦٣ .

(٢) راجع متحف بريطاني سجل الخراج .

مصدر ضرائبي هام كان مخصصاً لدفع الماشات (طعام المسلمين) ومصاريف جباة الضرائب والإدارة المحلية (١) ، أما الجزية فكانت تجبى فقط من الرجال البالغين وطبقاً لشروط قدمتها لنا آداب الخراج (٢) .

وخراج الأرض « Dimosia » كان يفرض فقط على كل مالك لأرض أو مستنفع بصرف النظر عن كونه رجلاً أو امرأة . وتبين لنا الوثائق الخراجية بأن هناك فئات كانت تدخل تحت هذا النوع من الضرائب التجارية إلا أنها كانت تسجل في سجلات الخراج تحت اسم ضريبة الأرض dimosia (٣) وهي لا تخضع في شكلها إلى ضريبة جزية الرأس ولكنها كانت تلحق بالخراج .

إن العشور الاسلامية التي أوضحتها لنا كتب الخراج ، لم تكن سائدة من عهد رسول الله ﷺ إذ ان الوثائق غير كافية لكي نحكم بعكس ذلك ، ولكنها بدأت تجبى بشكل واضح في عهد الخلفاء الراشدين ، وقد طبقت على أهل الذمة بمقاييس تختلف عن المقاييس التي كان تخضع لها المسلم ، والتي كانت تدعى بالزكاة ، وهي من أركان دينه . غير أن العشور أصبحت ضريبة خراجية تجبى من المسلم والذمي والحربي ، يدفعها المسلم كزكاة بنسبة ٢,٥٪ والذمي بنسبة نصف العشر ٥ ٪ وآخرون مثل الحربي المتردد على دار الإسلام والذمي في بعض الحالات بنسبة العشر ١٠٪ (٤) هذه الضريبة كانت تدفع في مصر تحت أسماء متعددة وطبقاً لمقتضى الحال المهني وطبيعته .

---

(١) متحف بريطاني ١٤١٩ .

(٢) Catalogue of the Greek Papyri in the John Rylands Library. Vol. II P. 322.

(٣) متحف بريطاني ، ١٤١٩ ـ ١٢١٥ وابن عبد الحكم . ص ١٥٢ . دار الكتب ، ٢١٤ جزء ٣ ص ٢٢٧ ـ ٢٢٩ .

(٤) أبو يوسف ص ١٣٣ كتاب الخراج والسمرقندي ، ج ١ ص ٤٨٨ .

وتظهر لنا الوثائق الخراجية بأن ضريبة القمح Embola وهي جزء هام من خراج الأرض (Dimosia) تختلف قليلاً عن مثيلتها في العهد الرومي ، وكانت في الأصل تفرض على الأرض غير أنها كانت تفرض أحياناً على بعض الأشخاص الذين لا يمتلكون أرضاً [١] ، مثال ذلك الراعي الذي لا أرض له فانه كان يدفع ضريبة القمح Embola ونظراً لأنه لا ينتج قمحاً ، فانه كان يدفع ٣ قراريط سنوياً كضريبة إن لم يستطع تقديم القمح وذلك تحت بند الخراج (Dimosion) [٢] ، ومن حالات أخرى نجد أن ضريبة خراج الأرض كانت تدفع تحت اسم Dimosion ، ولما كانت الأرض لا تنتج قمحاً فان ضريبة القمح العينية كانت تعتبر وكأنها مقابلة لنفس الضريبة التي تدفعها أرض غير مزروعة [٣] ، وبأنها تدفع عينياً وليس نقدياً ... ورغم أن الضريبة عينية ، فاننا نجد أحياناً أنها كانت تستبدل ضريبة نقدية ، غير أن الإدارة المركزية في دمشق لم تكن تشجع على هذا الاستبدال بقدر المستطاع . ومن الظن بأن الدفع النقدي قد يعتبر كضريبة القمح Embola ولكن لا يمكن اعتباره كضريبة خراج الأرض رغم أن ذلك ليس بمؤكد [٤] .

ويظهر من المستندات الضرائبية بأن ضريبة القمح العينية كانت تتنوع في كميتها وتختلف من وقت لآخر ، خلافاً للضريبة النقدية الذهبيـــة التي كانت باستمرار ثابتة .

(١) ذكرهم ابن عبد الحكم بالصناع والأجراء .
(٢) متحف بريطاني ١٤٢٦ ، P. Ryland ، ١٨٨ ودار الكتب ، ١٩٦ ، ٢١٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ وقد ذكرت البرديات هذه نوع الضريبة كضريبة الراعي وكذلك كالمروج تبعاً لبرديات ٩٩ ، ١٦٣ . وقد ذكر السمرقنـــدي ص ٤٩٧ في تحفة الفقهاء بأن الأرض المهجورة تدفع الخراج لأن السبب هو عدم الرغبة في الزراعة . هذا بينما أكد أبو يوسف على أمر جباية ضرائب المراعي والمروج .
(٣) متحف بريطاني ١٤٢٨ .
(٤) متحف بريطاني ١٤٣٤ .

وقد اصطلحت كتب الخراج على تسمية هذا النوع باسم خراج المراعي (١). وكانت هذه الضريبة العينية تجبى من خراج الأرض من القمح والشعير غير أن الشعير كان يجبى بكميات قليلة ، وكان لهذا النوع من الضرائب موظف سمي Embolarchis (٢).

وكانت ضريبة الخراج العامة Publicus تجمع عدداً آخر من الضرائب إلى جانب خراج الأرض « Demosia » وهذه الضرائب يمكن اعتبارها ضرائب غير عادية « Extraordina » (٣) ، وقد أصبحت هذه الضرائب الاستثنائية ذات شكل ثابت تكاد تجبى ، وصارت تذكر في سجلات الخراج بشكل يجعلها من ضمن الضرائب العادية (٤) . وإلى جانب هذه الضريبه نجد ضريبة أخرى غير عادية أطلق عليها Tetartia وهي تشبه مثيلتها الرومية Prosdiasraphomina التي كانت تجبى كضريبة مالية قرطاسية (٥) وهي لتغطية المصاريف العامة مثل معاشات الموظفين والحامية العربية ، وكمؤنة للصناع وللأعمال البحرية ، ومصاريف إنشاء المباني العامة الخ (٦) ، وكما

(١) أبو يوسف ص ٨٨ ، ١٠٣ .

(٢) متحف بريطاني ١٤٤١ ، دار الكتب . ج ٣ ، ص ٦٢ ومن الموظف المختص بهذه الضريبة راجع متحف بريطاني جزء ٤ مقدمة ص ١٦ وبردية ١٤٥٧

(٣) متحف بريطاني ١٤١٣ ، ١٤٩٤ ، ١٤٧٠ .

(٤) « بريطاني ١٤١٤ و Karabacrk. Wzkm, XI P. 14
وبصدد اخطارات الدفع راجع Collection of the Papyrus Erzherzog
دار الكتب ١٤٥ ، ٢٣٠ Rainer, Wien, p. 3628

(٥) متحف بريطاني ١٤١٤ .

(٦) « بريطاني ١٣٦٢ حيث طالبت البردية صاحب الكورة بتقديم جذوع النخل اللازمة للمباني العامة برديات ١٣٦٨ ، ١٣٨٠ بينما تطالب البردية ١٣٦٨ بارسال سلاسل حديدية إلى مسجد دمشق . وتطالب بردية دار الكتب رقم ١٤٨ بارسال « ثمن رزق الأمير وحاشيته وعماله » .

يظهر فإن هذه الضريبة لم تكن محددة وثابتة ، فطوراً كانت تدفع عيناً ، وأخرى نقداً (١) .

وإلى جانب ذلك نجد بأن السلطات المركزية كانت تطلب من دافعي الضرائب بعضاً من الخدمات الشخصية في كافة الميادين ، وتلقي طريقة تقدير وفرض هذه الخدمات الضوء على وسائل جمعها وأدائها .

ومن الواضح أن هذه الخدمات تشبه مثيلها في العهد الرومي وهي تختلف كثيراً عن الخراج والجزية ، غير أن طريقة الفرض والأداء كانت واحدة من حيث المبدأ مثل مقابلها في الدولة الرومية .

ونجد أن رجال الفقه الإسلامي لا يتفقون في الرأي مع هذا النوع من الخدمات ولا يقرون باعتبارها الحالي كخراج أو جزية ، بل هم نددوا بها وحذروا الولاة والعمال من طلبها من أهل البلاد . ولكن هـــذا النوع لم يُفرَض من قبل الحكومة المركزية بدمشق بل عن طريق رجال الإدارة المحلية .

وكانت واجبات الإدارة المحلية الاحتفاظ بسجل عن كل كورة (٢) مقيد بها أسماء جميع واضعي الضرائب ومساحة الأرض المملوكة ، وبالقيمة الخراجية المحملة عليهم ، وكذلك بقوائم منفصلة عن الأراضي وإنتاجها (٣) فإننا لنجد بها بياناً بأنواع الأشجار والنباتات التي تقدم محصولات زراعية مثل النخيل والسنط (٤) بشكل دقيق ومفصل مع ذكر الإنتاج وكميته (٥)

(١) متحف بريطاني ١٤١٤ .
(٢) « بريطاني ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، ١٣٥٦ ودار الكتب ٢٠٠ - ٣١٤ .
(٣) ما سبق وبردية ١٣٣٩ .
(٤) دار الكتب ١٦٣ .
(٥) متحف بريطاني ١٦٣١ .

والغريب أن أرباب الحرف والصناع قد قيّدوا في هذا السجل مع ذكر أنواع مهنهم وعدد مساعديهم وصبيانهم (١) وكان هناك مسئولون عن هذه السجلات كل منهم له تخصيصه في نوع العمل ، وكان على رأس هؤلاء المأزون Meizones (٢) . وهذه السجلات كانت تبين مقدار الجباية المطلوبة ، وما قد جبي بالفعل منها على أقساط ومقدار كل قسط .

ولقد كان من حق أي دافع للضرائب أو أي كورة أن يتقدم بالشكوى مباشرة إلى الوالي ، إذا ما فرضت عليهم ضريبة باهظة . وعلى أساس سجلات الخراج فإن الحصة السنوية المحددة من الضرائب كانت تقسم إلى بنديها العادي والاستثنائي ، وبذلك يسهل عمل صاحب الكورة في جمعها ، وكانت توزع بعد ذلك أنصبة وحصص كل قرية أو أي وحدة إدارية طبقاً لهذه السجلات . وكانت عملية تقسيم الضرائب وتوزيعها إلى حصص وفرضها تتم على أيدي موظفي الخزانة المركزية بالفسطاط (بيت المال) وليس في الكورة نفسها . وتبين هذه الظاهرة بأن السجلات كانت تحمل بانتظام إلى المركز الرئيسي (٣) حيث تراجع مراجعة دقيقة ، وذلك حتى لا يقع صاحب الكورة في الأخطاء أو في عدم العدل في توزيع هذه الضرائب على السكان ، وكان موظفو الكورة مسئولين مباشرة أمام الإدارة المركزية ، وعليهم مراجعتها باستمرار (٤) .

وكان في الإمكان تأجيل دفع الحصة المعروضة من عام إلى آخر ، إذا كانت هناك دواع وأسباب إلى ذلك ، ولكن بشرط أن تبقى هذه الحصة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) الهامش السابق .
(٢) متحف بريطاني ١٣٥٦ .
(٣) « بريطاني ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، ١٣٥٦ .
(٤) « بريطاني ١٣٣٨ ، ١٣١٩ ، ١٣٤٤ ، ١٢٦٥ ، ١٣٧٠ ، ١٤٣٧ الخ .

المفروضة في حدود قيمتها وكميتها المطلوبة من قبل ورغم أن الحصص المفروضة كانت محددة ، غير أن الجباية لم تكن تلقائية وحرّة ، بل نجد أن الوالي كان هو الذي يحدد النسبة التي يجمعها الجابي ، وكانت الضرائب تجمع على دفعتين سنوياً ، وكل دفعة كانت تقسط إلى قسطين أو أكثر [١] وكان متولي الخزانة المركزية يقوم سنوياً بحساب المبالغ المطلوبة من كل كورة أو جهة إدارية ، وبمقتضى هذا فان الوالي كان يرسل بأوامر الجباية المطلوبة من كل كورة ، مبيناً لصاحب الكورة التوزيع للحصص المكلف بجمعها من كل وحدة ، أو قرية ، وذلك حسب أمر الجباية ، في الوقت الذي يوجه فيه إلى أهل المنطقة إشعاراً مبيناً فيه المبالغ المفروضة عليهم [٢] وحالما يتلقى السكان هذا الإشعار فانه يتم اختيار بعض العرفاء Epilegomai حسب الطريقة المستخدمة في انتخاب جباة الضرائب [٣] ، فيقومون بتقسيم الحصة المطلوبة على أهل المنطقة ، وتقدير نصيب كل فرد منهم ، وهم بدون شك يعتمدون في ذلك على سجلات النفوس وحصرها Kata-raphon .

أما أمر الجباية الذي يصدره الوالي فكان يشتمل عادة على الضرائب المطلوبة كالخراج وضريبة القمح ، ويبقى على فارضي الحصص هؤلاء توزيع المبلغ الإجمالي للخراج والجزية ومصاريف الحكومة Depani على حصص صغيرة ، فيقررون من الذي سيدفع كل ضريبة ومقدار القسط المطلوب جبايته من كل واحد منهم [٤] ولهم الحق كذلك في فرض المقدار الذي يدفع عن كل نوع من الأرض المزروعة ، مع تعيين الأفـــراد Ovoma الذين يفرض عليهم دفع ضريبة ما .

---

(١) متحف بريطاني ١٥٧٠ .

(٢) » بريطاني ١٥٧٠ .

(٣) » بريطاني ١٤٢٠ ، ١٥٥٢ .

(٤) » بريطاني ١٤٢٠ ، ١٥٥٢ .

ومما لا شك فيه أن كل ذلك يتم على أساس سجلات حصر النفوس التي تراجع بشكل دوري (١) وفي حالة وجود بواق للضرائب لا تعرف طريقة فرضها ، فإنه يحتم الرجوع إلى الإدارة المركزية في شأنها . غير أن مصاريف الإدارة المحلية يكون الأمر في فرضها وجمعها بيد صاحب الكورة ومساعديه ، بدون الرجوع إلى تعليمات خاصة .

وتظهر الوثائق الخراجية بأن هناك أجراء مماثل لما بيناه بالنسبة للضرائب غير العادية ، إذ أن الحصة المطلوبة منها لم تكن تقل بأي حال عن الحصة المفروضة في الضريبة العامة Demosia ، ومها كانت هذه الحصص قد فرضت للايفاء بأهداف خاصة ، كتغطية مصاريف غير منظورة للإدارة المركزية ، فإنها كانت عامة تنصب للشئون البحرية وغيرها من الطوارئ العاجلة ، وكانت مبالغ محددة تفرض عندما يستدعي الحال ذلك . وفي بعض الحالات نجد بأن المصروفات قد تكون أقل من المبلغ المفروض أو أكثر منه ، ومثالاً على ذلك نجد في السجلات أن هناك مبلغ ٢٤ ديناراً و ١١ قيراطاً قد استدينت لكي تغطي مصاريف إحدى المهات التي فرضت لها حصة أقل من الواقع (٢) وهذا يشكل صعوبات كثيرة في الإيفاء بالمصروفات المطلوبة عيناً خلافاً لتلك المطلوبة الأداء نقداً .

ونجد بأن توزيع أوامر الجباية وإشعارات الدفع في الكورة الواحدة ، كان يتم بمقتضى الإجراءات المتبعة في جباية وفرض الخراج بالمركز الرئيسي . أما مطالبة الأشخاص بأنصبتهم في هذه الضريبة فإنه كان يتم محلياً (٣)

---

(١) متحف بريطاني ١٣٥٦ ودار الكتب ١٤٦ .
(٢) « بريطاني ١٤١٤ ، ١٤٧٠ .
(٣) « بريطاني ١٤٤٨ .

ولم يكن هناك فروق واضحة ومميزة بالنسبة للضرائب غير العادية ، وإذا كانت ستؤدى عينية أو نقدية ، والشيء المميز هنا بالنسبة لهذا النوع هو طلب الأشياء نفسها بمسمياتها بصرف النظر عما إذا كانت قد اشتريت بواسطة الإدارة المحلية ، وإنما المهم هو طلب الشيء نفسه مثل سلاسل من الحديد من منطقة لا تصنعها وهنا نرى أن الضريبة العينية هذه قد أديت نقداً ، بينما نجد في حالة أخرى أن أمر دفع الضريبة كان يلزم بدفعها نقـــداً لغرض شراء أشياء وأدوات عينية (١) .

وإن الأمر غير واضح لنا ، لأن عملية تقدير هذه الضرائب غير العادية كانت في ذاتها غير واضحة ، ففي بعض الحالات نجد أن هناك ضريبة نقدية كانت تجمع لأداء طلبات عينية وفي بعض الحالات الأخرى كانت تجمع ضرائب عينية لوفاء ضرائب نقدية .

وكان خراج الأرض العام Demosia يدفع على أقساط إلى الخزانة المركزية في الفسطاط (سكللات الثلاث) Sakella ؛ غير أن هذه الأقساط لم تكن تشمل جميع الحصص المطلوبة من المنطقة . كما وان جزءاً من المصاريف العامة Logisima والمدفوعات المفروضـــة (٢) المخصصة للصرف على بعض الأغراض ، كانت تدفع نقداً إلى المسؤولين عنها مباشراً وليس عن طريق الخزانة العامة (بيت المال) (٣) وكان يتبقى عادة جزء من الحصص المفروضة بعد وضع حصة المصاريف العامة وحصة الخزانة ، كذلك خصص جزء منها للمصاريف المحلية كأجور الموظفين وغير ذلك .

---

(١) متحف بريطاني ١٥٠٨ ـ ١٥٠٩ .

(٢) « بريطاني ١٤١٤ بالنسبة للضرائب العينية المدفوعة نقداً ، ١٣٠٠ ، ١٣٠٤ للضرائب العينية انظر برديات ١٣٠٤ و ١٣٠٣ ، ١٤٣٣ ، ١٤١٤ ، ١٤١٣ ، وبالنسبة للمصاريف العامة انظر ١٤١٤ .

(٣) متحف بريطاني ١٣٣٦ ، ١٤٣٤ ، ١٤٣٥ .

وعلى العموم نجد بأن جميع حصص الخراج العام Demosia والتي كانت تفرض كمصاريف عامة Dapane كانت تطالب كلها بواسطة الخزانة (١) وكانت ضريبة القمح العينية تقسم إلى قسطين تمهيداً لنقلها إلى مخازن الغلال في بابليون وإلى بند Dapane والتي هي بدون شك مصاريف إعاشة الموظفين المحليين (٢) . وبالنسبة للخراج النقدي وضريبة الطعام Embola العينية فان حصة كبيرة منها تدفع إلى شون بابليون والخزانة العامة إما في بابليون أو الاسكندرية . وكانت تخصص كمباشات نقدية وعينية للحامية العربية ، وأطلق عليها رزق أو طعام المسلمين . وكان جزء منها يذهب إلى أنحاء الدولة الاسلامية في وقت الحاجة اليه ، فلقد روى لنا التاريخ بأن عمرو بن العاص أرسل بكميات ضخمة من القمح والطعام إلى المدينة في السنوات الأولى للفتح الاسلامي وذلك لانقاذ الحجاز وعاصمة الدولة الاسلامية من الجوع الذي عم البــــلاد في عام الرمادة (٣) .

ولم يبق إلا أن نبحث أمر الخدمات الشخصية التي كانت تطلبها الادارة المركزية من السكان ، ونجد بأن نفس الاجراءات قد اتخذت بالنسبة لهذه الخدمات مثل ما اتبع من قبل في فرض الضرائب . فالادارة المركزية تخصص حصص الأعمال المطلوبة على الكور ، وذلك في خطاب موجه إلى صاحب الكورة مصحوباً بأوامر فرض الضرائب وبعدد الأشخاص المطلوب منهم أداء مثل تلك الخدمات . أما أمر التكليف الشخصي لمن يقوم بها

(١) متحف بريطاني ١٣٧٠ ، ١٣٧٥ دار الكتب ١٤٦ ابن عبد الحكم ص ١٥٣ .

(٢) « بريطاني ١٤٣٤ ، ١٤١٤ .

(٣) ابن عبد الحكم ص ١٥٩ ، ١٦١ ذكر ما أجراه عمرو بن العاص بمناسبة عام الرمادة وكيف أنه شق قناة تراجان إلى البحر الأحمر حتى يسهل إرسال الغلال إلى الحجاز انظر موير ، تاريخ الخلافة ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

فانه كان يتم محلياً وطبقاً لسجلات التي أعدها فارضو الضرائب (١)، ورغم أن هذه الخدمات كانت على العموم اجبارية، فانه لا يمكننا أن نطلق عليها اسم السخرة لأن القائمين بها من بحارة ونوتية وعمال كانوا يتلقون أجوراً على أعمالهم. وهذه الخدمات كما تبدو لنا هي عبارة عن إلزامات إدارية، فمثلاً نجدها عادة تمتزج بما يطلق عليه العمل العيني، أي أن تطالب الادارة المركزية أشخاصاً بعينهم، وفي بعض الحالات تطلب أجور بعض الأشخاص من منطقة، إذا لم تستطع تقديم أحد للقيام بمثل هذه الخدمات. ووجه الخلاف هنا بأن يطلب أداء بعض الخدمات المحددة بعدد من الأشخاص بصرف النظر عما إذا كانوا قد استؤجروا محلياً وأرسلوا لأداء الخدمة أم لا. (٢)

وكان هـــذا العمل الإلزامي يقسم إلى عدة حصص، كانت البحرية تحظى بمعظمها. وبطبيعة الحال فان الخدمة البحرية كانت تعكس طموح الدولة العربية الفتية في دمشق للسيادة على البحر المتوسط. ولم يكن هذا النوع من الالزام معروفاً على عهد الفاروق عمر بل بدأ في عهد عثمان بن عفان، ولا نعجب لذلك لأن موقف عمر (رض) معروف بالنسبة لركوب البحر. ولقد أطلق عثمان يد معاوية بن أبي سفيان في أمر تشييد الأسطول الاسلامي، وسرعان ما شب الأسطول الأول ووضع يده على قبرص وواجه الأساطيل الرومية في عدة معارك بحرية حاسمة وانتصر عليها. لذلك لا نستغرب طلب الادارة المركزية في الفسطاط والحاحها في طلباتها العديدة الموجهة إلى قرى صعيد مصر البعيدة في طلب نوتيـــة للعمل في خدمة الأساطيل البحرية العربية، أو للعمل في ترسانات (مصانع) بناء السفن بباليون والاسكندرية والقلزم ورشيد. ولقد ازداد الطلب على الخدمة البحرية عندما بدأت السلطات المركزية في دمشق بتوجيه نشاطها إلى شمال إفريقية وإسبانية.

(١) متحف بريطاني ١٣٥٦.
(٢) « بريطاني ١٤٣٣، ١٥٠٨، ١٥٠٩.

وإلى جانب هذه الأنواع من الضرائب التي وصلتنا عن طريق الوثائق الضرائبية ، فاننا نجد العديد من الأنواع الأخرى التي فرضتها الخزانة المركزية في الفسطاط وهي تتفق في أنواعها مع ما جاء في كتب الخراج . ولا يجوز أن نتجاهل مثل هـذه الوثائق الخراجية رغم أنها ترجع إلى عصر متأخر نوعاً ما ، لأن كتب الخراج قد ذكرتها . لذلك لا يمكن أن ننفي حقيقة فرضها وجبايتها لأننا لم نعثر على وثائق خراجية لهذا العصر .

فلقد فرضت ضرائب على المصايد وعلى القنص ، وكانت بنفس المعايير التي اتبعت في العهد الرومي [١] وبالنسبة لضرائب الصيد فقد قدمت لنا كتب الخراج نسبها كـ ٢٠ ٪ وهي لم تختلف عنها في العهد الرومي إذ كانت ٢٥ ٪ وبطبيعة الحال فإن كتب الخراج قد ذكرت صيد البحر في عهد متأخر لأن العرب في أول عهدهم لم يكن لهم اهتمام بالبحر ، لذلك فان الروايات المبكرة في كتب الخراج لم تتناول هذا النوع من الضرائب ، وكل ما جاء في كتاب الخراج لأبي يوسف كان عبارة عن نصّين لتأجير بحيرات تستخدم لصيد السمك ، وليس على الصيد نفسه [٢] . وقد ناقش الفقهاء هذه القضية التي حاولت أن تجعل فرض ضرائب على خراج البحر كاجراء غير فقهي ، وحاولوا جعل هذه الضرائب في حكم العشر والزكاة بينما نجد وثائقنا قد فرضت ٢٠ ٪ للضريبة وهي تخالف الحدود التعامل بها في العشر والزكاة . [٣]

ARCHIVE

---

(١) هذا النوع كان معروفاً في العهد الروماني والرومي وكذلك في العهد الإسلامي وقد رواه لنا أبو يوسف في رواياته وسماه الأحباس المعروفة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه . أبو يوسف ص ٧٠ ، ٨٧ .

(٢) راجع كتاب الخراج لأبي يوسف ص ٨٧ .

(٣) Tauberschlag, the Laws of Greco - Roman Egypt Warszawa, 1955 P. 663 ذكر بأن هذه الضريبة كانت ٢٠٪ .

والنصوص الخراجية بينت لنا ضريبة تدعى المصايد منذ وقت مبكر ، وهي تشابه مثيلتها في العهد اليوناني (١) وكانت هناك ضرائب تفرض على المراعي (٢) وعلى المروج (٣) وأخرى على المكس وهي مثل الضريبة Telos الرومية (٤) .

وهناك العديد من الضرائب التي تعامل كالعشور ، ولكننا لا نملك لهـا وثائق خراجية من العصر نفسه ، وهي مثل ضرائب الحطابين ، والنساجين والغزالين وغيرهم من أهل الحرف . وهي التي وردت في وثائقنا ضمن خراج الأرض . غير أننا لم نتمكن من معرفة ما إذا كانت من ضمن حصة أهل القرية من خراج الأرض أو فرضت عليهم بصفة مهنية .

ولقد قدمت لنا كتب الخراج مقاييس عديدة لفرض الخراج على الأراضي بأنواعها ، كالمزروعة وغير المزروعة والتي تروى بالماء ، أو التي تروى بالأمطار والآبار والمياه المنقولة .. غير أن هذه المقاييس لم تتفق مع ما جاء في وثائقنا الخراجية ، إذ أن تلك المقاييس لم تستخدم عند فرض الخراج ... ولكن ما بقي في وثائق الخراج هو استعمال هذه الأنواع من الضرائب وهو استعمال لفظي فقط ، أما المقاييس في الفرض فتركت . فمثلاً وثائقنا قدمت ضرائب

---

(١) دار الكتب ٣٣٠ و Erzherzog برديات ٢٥٧١١ و ٧٢٧٧ و ٩٠٣٢ .

(٢) تبين لنا البرديات بأن هناك سجلات خاصة الماشية والحيوانات المنزلية حسب أماكن تواجدها دار الكتب ٢٣٣ ، ١٩٦ ، ٢١٢ وهذه الضريبة تقابل مثيلاتها في كتب الخراج أي العشور للذمي والحربي .

انظر « أبو يوسف » ص ١٣٢–١٣٧ والسمرقندي ٤٣٧–٤٥١ ، ٤٩٠–٤٩٩ .

(٣) دار الكتب ٢٣٨ ، أبو يوسف ص ٧٠ .

(٤) دار الكتب ١١٧ ، وراجع كتب الخراج بالنسبة « للمكس » ومبدأ فرض المكوس وأن أول متولي المكس كان ربيعة بن شرحبيل بن حسنة أيام عمرو بن العاص .

ل المأله (١) خراج النخل (٢) ، خراج الخردل (٣) ، خراج الخفر (٤) ، خراج القصب (٥) خراج القرط (٦) خراج الكروم (٧) .

وقدمت لنا كتب الخراج أنواعاً أخرى من الضرائب تجبى على التعدين والركائز وهي هنا تتجاوب مع النظام الذي كان يخضع له المسلم الذي يدفع الزكاة والعشر ، وكانت تصل إلى ٢٠ ٪ (٨) .

وبالنسبة للجالية أو ضريبة الرأس أي الجزية فإن وثائقنا الخراجية قد دمجت هذه الضريبة في ضريبة خراج الأرض ولم تكن تجبى طبقاً لما جاء في كتب الخراج ، بل كانت تتنوع حسب حال السكان ، فمنهم من كان يعفى منها ، ومنهم من كانت تضاعف عليه ، وغالباً ما كان السكان لا يدفعونها مباشرة ، إذ انها كانت تجبى ضمن حصتهم من الضرائب بدون تسمية ، ولم تكن الهدف الرئيسي من الجباية مثل ما تم في سواد العراق وخراسان ، وهذا المبدأ وضعه الفاروق عمر عندما عامل القبائل المسيحية العربية التي أبت أن تدفع جزية الرأس فجاءها عمـــر جوازاً العشر وكانت ضعف زكاة المسلم ، أي نصف العشر (١) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ونلاحظ بأن الضرائب الاستثنائية هـذه قد استفحل أمرها في العهود

---

(١) دار الكتب ٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٢٨٢ .
(٢) « « ٢٣٣ ، ٢٣٨ ، Rylands ج ٢ ص ٢٥١ أبو يوسف ص ٣٦ .
(٣) « « ٦٣ .
(٤) « « ٦٥ أبو يوسف ٣٦ البلاذري ص ٢٧٠ .
(٥) « « ٢٣٤ ، أبو يوسف ٣٦ .
(٦) « « ٦٥ ، ١٠٠ .
(٧) « « ١٠٠ أبو يوسف ص ٣٦ ، ٨٥ ، يحيى بن آدم ص ٤٩ ــ ٥٠ وذكر بأن ضرائب الخمور هي ١٠٪ .
(٨) يحيى بن آدم ص ١٨ أبو يوسف ص ٧٠ .
(٩) راجع كتب الخراج والبلاذري والطبري بالنسبة لعرب المسيحين وعن الجزية راجع متحف بريطاني ١٤٢٠ ، ١٤٢١ وسجل الخراج رقم ١٨٤٧ ، ١٤١٠ .

المتأخرة مما دعا أبا يوسف أن ينصح أولي الأمر بعدم جبايتها إذ قال : «ولا يؤخذ أهل الخراج برزق عامل ولا أجر مُدى ولا احتفال ولا نزلة ولا حمولة طعام السلطان ، ولا يؤخذ منهم ثمن صحف ولا قراطيس ولا أجور الكيالين ولا مؤنة لأحد عليهم . ولا يضربن رجل في دراهم خراج ولا يقام على رجله ، فانه قد بلغني أنهم يقيمون أهل الخراج في الشمس ويضربونهم الضرب الشديد»(١) .

ووثائق الخراج تبين لنا بأن هذه الضرائب الاستثنائية كانت تجبى كأحد فروع خراج الأرض التي كانت تجزأ إلى صنوفها وفروعها المختلفة ، مثل ما يتم في أي موازنة للدولة في العهد الحديث ، والتي تخصص جزءاً من دخلها لمثل هذه الأعمال . ولكن يظهر بأنه في العصور المتقدمة أصبحت هـــذه الضرائب تجبى إلى جانب الخراج وبشكل يجحف بمصالح أهل العهد ، لذلك ذكره أبو يوسف في تعليماته لأصحاب الكور والدهاقين لتجنبه .

وقد قدم لنا الأدب المسيحي الكنسي صوراً مظلمة للجباية في عهـــد عبد الملك بن مروان ، وقد جاء به أن أهل البلاد قيدت تحركاتهم وختم على أيديهم وأحصي الرهبان . ولكن وثائقنا قد بينت لنا وأوضحت البيانات التي جاءت في كتب التاريخ الإسلامي أن هذه الاجراءات تمت عند تعداد النفوس الذي كان يجري كل ١٤ عاماً ، وان الغرض منه الحصر أن لا تترك الفرص للتهرب من القيد في سجلات حصر النفوس التي هي الأساس في جباية الضرائب ، والوثائق تبين لنا كيفية إصدار جوازات سفر محلية كانت تصدر عند عمليات حصر النفوس ، حين كان يسمح لأهل البلاد بترك الأماكن التي سجلوا في سجلاتها ، وكيف أن الجباية كانت تتم عن طريق محل الإقامة الجديد لصالح المنطقة التي كان يتبعها في الأساس (٢) .

(١) أبو يوسف ص ١٠٩ .

(٢) راجع ساويرس : الأشموني : تاريخ الكنيسة القبطية ، ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ . وبالنسبة لتصاريح وجوازات السفر المحلية راجع دار الكتب ص ١٧٤ ، ١٧٥ المقريزي ج ٢ ص ٤٩٢ وساويرس ٣٠٥ ، ٣١٤ .

وهذه الوثائق بينت عدم صحة اتهام الجهاز الإداري بالقسوة والظلم ، لأنها بينت وقدمت الكثير من الشكاوى التي أزيل بها التغالي في فرض الضريبة واهتمام الادارة المركزية في الفسطاط بمراجعة كل الأمور إلى حد تهديد أصحاب الكور بأقصى العقاب ، إن بدر منهم ظلم . والوثائق التي حررها قرّة بن شريك تظهر أنه لم يكن والياً قاسياً كما اتهمه التاريخ .

ورغم نقص بعض الوثائق التي لم تقدم لنا كافة أنواع الضرائب الأخرى التي كانت تجبى قبل الفتح الاسلامي ، فاننا نؤيد الحقيقة التي تقول بأن النظام المالي في مصر الأموية كان امتداداً للنظام الضرائبي الرومي الذي ترعرع في العهد الاسلامي والذي لم نعثر له على وثائق كافية قبل هذا العهد . ومعرفتنا للنظام الرومي ترجع إلى الوثائق الاسلامية التي لولاها ما أمكن الاهتداء إلى هذا النظام .

وبالرغم من تعريب الدواوين فاننا نجد أن التعابير والمصطلحات الرومية قد تغلغلت في الأدب الخراجي ، ولم تزل إلا بزوال الادارة العربية عند فتح آل عثمان لمصر . وقد كانت اللغة اليونانية والقبطية هي اللغة الرسمية لفترة طويلة في الادارة الخراجية إلى جانب العربية التي رصّعت بالمصطلحات اليونانية والتي سادت إلى القرن الحادي عشر ، حيث عربت الادارة بتمامها . غير أن البروتوكول الضرائبي قد استعمل بعد ذلك الصيغ الرومية الضرائبية إلى أواخر العصور الوسطى .

الدكتور عبد المنعم مختار

المحاضر بجامعة بودابست

المدرسة الظاهرية

(دار الكتب الوطنية الظاهرية)

— ١ —

مقدمـــة

انتدبتني وزارة التربية للعمل أمينة لمخطوطات دار الكتب الوطنية الظاهرية ، فأتاح لي عملي الجديد الاطلاع على كنوز خلفها أجدادنا هي زبدة قرائحهم ، وذوب نفوسهم ، ونتاج عمرهم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وراعتني الغيرة على مصالح الأمة ، والهمة الشماء اللتان بدتا من طائفة من رجال العلم والفضل في نهاية القرن الماضي ومطلع القرن الحاضر ، ورعتـا هذه الكنوز ، وحمتاها قبل فوات الأوان ، وصانتاها من تبديد الأيدي العابثة التي أعمى أصحابها وهج الذهب فمدوها إلى هذا التراث يستلون منه القطعة بعد القطعة ، يبدلونها بمال لا يعدّ شيئاً مهما كثر في جانبها غير مبالين بتراث وجهود وتاريخ ..

وزادني حباً بهذه الدار أنها كانت مدرسة ترددت في جنباتها أصوات طائفة كبيرة من العلماء الأعلام ، وتخرجت منها أعداد لا تحصى من طلبة علوم الدين والدنيا ، كان لهم دورهم في عالم الفكر والروح خلال سبعة قرون .

خطر لي أن أدون ما تقع عليه يدي من أخبار هذه المدرسة والعاملين فيها منذ تأسيسها حتى اليوم؛ فيكون بحثي هـــذا اعترافاً بفضلها لما أسدته وتسديه لأمتنا من خير وللعلم من خدمة .

عرضت الفكرة على الأخ العالم الأستاذ عمر كحالة فشجعني على ذلك وقدم لي مشكوراً الكثير من المعلومات والعون . ولاقى الأمر ترحيباً من عطوفة الأمير العلامة جعفر الحسني الجزائري الأمين العام لمجمع اللغة العربية . ورأى أن ينشر البحث تباعاً في مجلة المجمع ليصار إلى طبعه في كتاب مستقل متى تم .

فكتبت في هذا الموضوع شاكرة للأمير الأمين وللأستاذ الكريم تشجيعها وطيب مساعدتها ، آملة أن أكون قد فتحت الباب لمن يرغب في بحث تاريخ هذه المدرسة بحثاً ضافياً تستحقه ، لأني واثقة أن كل ما بذلت من جهد لن يفي بحال هذه المدرسة حقها ، فقد كانت ولا تزال منارة علم لا لبلادنا فحسب ، بل لرواد العلم في العالم أجمع .

أسماء الحمصي

★ ★ ★

تمهيد :

من وقف على تاريخ العرب والإسلام ، وعلى الأخص تاريخ الحضارة الإسلامية راعته تلك الوثبة الثقافية ، وأخذ بمجامع قلبه ذلك الانفتاح لشتى المعارف والفنون ، تصبّ في بحر العلوم العربية النامية باستمرار ، وأدهشته تلك الوفرة في المدارس ودور الكتب العربية وخزائنها في الشرق والغرب ، والتي تعطي دليلاً قاطعاً على جهود جدودنا الذين أطفؤوا نور عيونهم لينيروا عقولنا ، وأحرقوا أعصابهم لينموا جسومنا ، وهدموا أنفسهم ليبنوا لنا مجداً خالداً على مر العصور .

ولم يكتفوا بالنظر ، بل أعملوا أيديهم الصناع ، واستغلوا ذوقهم الفني في بناء المعابد ودور العلم والكتب ، فعرفت بغداد ، والبصرة ، ودمشق ، وحلب ، والقاهرة ، والمغرب ، وقرطبة ، وأشبيلية ، وغرناطة وسواها آلافاً من مراكز العلم ، من مساجد جوامع ، ومدارس ، وبيمارستانات ، وخوانق ، وربط وزوايا ، وتكايا ، وحتى ترب قامت إلى جانب الكثير منها أمكنة لطلب العلم وتلاوة القرآن ، ورواية الحديث . كل هذا بنَوْه ، واهتموا بزخرفته وتمويله اهتمامهم ببنائهم قصورهم الفخمة ، وحدائقهم الغناء .

ومر القرن السابع الهجري على الأمة الإسلامية ، ودالت دولة العلم في بغداد والعراق ، لما أغارت جموع التتار على الامبراطورية الاسلامية كأنها الجراد المنتشر ، تقضي على كل من وما تلقاه ، لا يردعها ضمير أو دين أو مسكة من حضارة ، وأباد « هولاكو » وجنوده الكتب والمؤلفات فيما أبادوه من معالم الرقي ، وامتلك التتار هذه البلاد التي عاشت ستة قرون ونصف مناراً للاسلام ، وجامعة لرواد العلم من عرب ومن عجم .

واستشرى خطر الوثنية والصليبية ، ورأى علماء الشام ومصر ، ومن فر منهم من العراق من خطر المغول ، رأوا أنفسهم مسؤولين عن دعم الدين ونشره ، وتجديد العلم ، وجمع شتات المعارف في كتب طارفة تخلف ما أبيد ، يملؤونها بما وعت القرائح وحفظت الصدور .

وامتلأت نفوسهم حماسة للعمل ، وتحفزت للقيام بالواجب المقدس الذي قدر لهم الاضطلاع بمسؤوليته .

وجدت رغبتهم هـذه رغبة توازيها من سلاطينهم الذين آمنوا أن لغتهم الفقيرة لن تحل محل العربية لغة القرآن المبين ، وحضارتهم القاصرة لن تعدل الحضارة الاسلامية الراسخة ، وأن عددهم لا شيء في عديد العرب وجموع المسلمين . فرأوا — وهم المسلمون — في مؤازرة الدين والعلم ، وفي الأخذ بيد العلماء قربى إلى الله وزلفى ، وترضياً للشعب العربي المسلم ، وتمكيناً لأنفسهم في الحكم .. فراحوا ينشئون دور التعليم وينفقون عليها بحمع اليدين .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولا شك أن دور العلم هـــذه تعتبر عاملاً أساسياً وحيوياً في تنشيط الحركة العلمية ، لما تتضمنه من مدرسين وطلاب ، ولما يقرر فيها من دروس ، وهي البيئة الطبيعية للعلم ينمو فيها ويزدهر .

وتتمثل دور العلم في العصر المملوكي فيما أنشىء من مساجد ومدارس للمذاهب الاسلامية الأربعة ، وما شيد من خوانق وربط ، وما أقيم من زوايا للصوفية .

وكان إلى جوار هذه المعاهد التعليمية ، كتاتيب صغيرة متواضعة ملحقة بها ، تعنى بتعليم الصبية القراءة والكتابة وطرفاً من العلوم الأولية ، وتحفيظهم القرآن الكريم ، وتمدهم للالتحاق بالمدارس الجامعة [1] .

---

(١) عصر سلاطين المماليك لمحمود رزق سليم ج ٣/ص ٢٥ .

إلا أن عدداً كبيراً منها عبثت به يد البلى ، وأذى الغزاة الفاتحين ، ولا سيما التتار والصليبيون ، فمحقاه أو ذهبا بأكثره مجددين فاجعة العرب سنة ٦٥٦ هـ .

وما تبقّى لا يعدو إصبعاً من جسم العلم الضخم تشير إلى رقيّ المسلمين وثقافتهم الفاخرة في عصورهم الزاهرة ، وإلى مدى تفننهم في هندسة أبنيتهم وزخرفتها وتجميلها .

وتزدهي دمشق شأن غيرها من حواضر العالم الاسلامي بالعديد من المدارس المبنية آنذاك . إن نظرة نلقيها على مصوّر دمشق ومدارسها في القرن السابع الهجري [1] ترينا مراكز العلم قائمة هنا وهنـــاك في كل حي من أحياء المدينة من سفح قاسيون إلى مراقع الغوطة ، ومن سهول برزة إلى جداول النيربين .

وبين هذه المباني الكثيرة ما لا يزال يقارع الزمن وصروف الدهر راثياً للإنسان اضعف تفكيره ، ولأذاه نفسه بتحطيم أداة بنائه .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن هذه المباني المدرسة الظاهرية والتي سمّيت باسم الملك الظاهر الذي دفن فيها ، حسب العادة الشائعة آنذاك [2] .

الملك الظاهر [3] هو ركن الدين بيبرس البندقداري . ولي الملك سنة ٦٥٨هـ . وهو أبرز ملوك الدولة البحرية المملوكية .

---

(١) كتاب « دمشق الشام » لجـــان سوفاجيه تعريب فؤاد أفرام البستاني ط . بيروت سنة ١٩٣٦ .

(٢) الدارس في أخبار المدارس النعيمي ـ تحقيق الأمير جعفر الحسني الجزائري .

(٣) كلمة (ظاهر) لقب ثمانية من سلاطين المماليك . أولهم من البحرية وهو الظاهر بيبرس صاحب المدرسة المذكورة ؛ والباقون من البرجية وهم : برقوق ، وططر ، وجقمق ، وخوشقدم ، والباي ، وتمبرغا ، وقانصوه الأول .
وهناك الملك الظاهر صاحب حلب ، وهو ثاني أولاد صلاح الدين الأيوبي .

أصله من أرض القبجاق ، أسر وبيع ، واشتراه — وكان صغير السن — رجل يدعى العماد الصائغ . ثم باعه للأمير « علاء الدين آيدكين البندقداري » ولما قبّض الملك الصالح نجم الدين الأيوبي على البندقداري ، أخذ ركن الدين وجعله من جملة مماليكه فنسب لذلك اليه ولقب بـ « الصالحي » ثم أعتقه الصالح وضمه إلى مماليكه البحرية ورباه معهم ، فشب شجاعاً باسلاً ، لا يهاب الردى .

وعرفته الحروب ، وهو أمير ، فارساً مقداماً إنْ في موقعة « المنصورة » التي هزم فيها الفرنجة في عهد توران شاه ، أو في موقعتي « عين جالوت » و « بيسان » اللتين هزم فيها التتار في عهد « قطز » .

واشترك بيبرس في عدة مؤامرات آخرها مؤامرة اغتيال « قطز » بعد انتصارهما على التتار . واستلم الحكم بعده . وبويع سلطاناً على مصر والشام .

ويعتبره المؤرخون المؤسس الحقيقي لعظمة الدولة البحرية ، فقد قضى على المؤامرات ، وفتح عدداً من البلاد ، وملأ الدنيا مهابة زهاء سبعة عشر عاما . التفت خلالها إلى إصلاح مملكته .

وكما اتصف بالشجاعة والإقدام في الحروب وحسن ترتيبها ، عرف بالدهاء والكرم وحب الخير والإحسان إلى الفقراء . وكان يكرم العلماء وينطوي تحت مشورتهم ويقربهم .

روى السيوطي(١) أن الظاهر بيبرس حضر مرة إلى دار العدل في قضية بينه وبين أحد الأمراء أمام القاضي ابن بنت الأعز ، فقام الناس له تعظيماً ، إلا القاضي فقد أشار إليه السلطان بعدم القيام .

وبعث إليه ابن مالك النحوي صاحب « الألفية » المشهورة رسالة من الشام — وكان الظاهر في القاهرة — يستعين فيها على صلاح حاله فأعانه .

---

(١) حسن المحاضرة ٢/٧٤ .

كما كان يتحمل مخاشنة العلماء إياه في الحديث والنصيحة ، فلا يبطش بهم لمخاشنتهم ؛ فقد وقعت بينه وبين عبد الله يحيى النووي أحد علماء الشام مكاتبات أغلظ له فيها النووي النصيحة ، فما زاد على أن نفاه من دمشق .

وروي انه كان منقمعاً تحت كلمة الشيخ « عز الدين بن عبد السلام » ، وأنه قال لما مات الشيخ : « ما استقر ملكي إلا الآن » (١) .

ومن أجلّ أعماله مكافحة الكبائر ، وعقاب مرتكبيها وتشديد النكير عليهم ، وإعادة الخلافة العباسية ، والقيام بأعمال عمرانية كثيرة ، كان فيها كسب أدبي كبير لمصر والشام .

وتقدم فن البناء والهندسة آنذاك لاهتمام المسؤولين بتشييد القصور والمدارس والمساجد والقباب (الترب) ، والخوانق والقلاع ونحو ذلك .

ولم يك هذا البناء تلبية لداعي الحاجة فحسب ، بل كان ميدان تفاخر بين السلاطين ، لذا عُني هؤلاء بزخرفته وزينته ، وطبعي أن ينبغ في جو كهذا عدد كبير من المهندسين أو « شادّي العمائر » كما كانوا يسمون في ذلك العهد (٢) .

وشيّد الظاهر المدارس كسواه من السلاطين ، وكان أبرزها « المدرسة الظاهرية » في القاهرة بخط بين القصرين سنة ٦٦٠ هـ ، ويسميها السيوطي « المدرسة الظاهرية القديمة » تمييزاً لها عن « المدرسة الظاهرية » التي أنشأها بعدئذ الملك الظاهر ، برقوق سنة ٧٨٦ هـ ، في القاهرة أيضاً .

---

(١) عصر سلاطين المماليك ، لمحمود رزق سليم ٢٣،٣ .

(٢) عصر سلاطين المماليك ٣/٢٣ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعني بيبرس بظاهريته وأوقف عليها أوقافاً كثيرة ، وألحق بها خزانة كتب جليلة تشتمل على أمهات الكتب في سائر العلوم . وبنى بجانبها مكتباً لتعليم الأيتام القرآن الكريم ، وأجرى عليهم الطعام والشراب ، ورتّب بها دروساً في المذاهب الأربعة ، والقراءات . وافتتحت باحتفال عظيم ، واعتبرت — كما قال المقريزي (١) — من أجلّ مدارس القاهرة .

المدرسة الظاهرية (الجوانية) أما المدرسة الظاهرية بدمشق ، والتي هي موضوع بحثنا ، فبانيها الملك السعيد أبو المعالي ناصر الدين محمد بركة قان ابن الملك الظاهر بيبرس (٦٥٨ هـ — ٦٧٨ هـ) ولكنه لا يُستبعد أن يكون أبوه الظاهر قد فكر ببناء ظاهرية دمشقية تحمل اسمه كتلك التي بناها في القاهرة إلا أن الموت عاجله قبل أن ينفذ فكرته . فقد توفي — مسموماً على ما روت الكتب — يوم الخميس الثامن عشر من المحرم سنة ٦٧٦ هـ . فأخفى الأمير بدر الدين بيليك الخزندار خبر موته ، وأمر بحمله إلى قلعة دمشق ليلاً حيث غسل ، وحنط ، وكفن ، وجعل في تابوت علق هناك في بيت من بيوت البحرية .

ثم كتب الأمير « بدر الدين » إلى ولده « محمد بركة قان » مطالبة بيده كان من نتاجها أن أخذ له البيعة بعـــد أبيه باسم « الملك السعيد » .. وتوّجه سلطاناً لمصر والشام .

وصدر أمر السعيد ببناء الظاهرية ، — خلافاً لما أورده ابن كثير عن ابن قاضي شهبة (٢) — مدرسة ودار حديث وقبة لدفن أبيه ، إذ كان الظاهر

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي ٦٤٦/١ .

(٢) الدارس للنعيمي ٣٤٨/١ .

قد أوصى أن يدفن على السابلة قريباً من داريا خارج السور وأن يبنى عليه هناك قبة فلا يعقل والحالة هذه أن يبني مدرسته وقبته في مكان ويوصي أن يدفن في غيره .

فرأى الملك السعيد أن يدفنه داخل سور دمشق ، فابتاع دار أحمد بن الحسين العقيقي ، وكانت قصراً للأيوبيين (١) بثمانية وأربعين ألف درهم — وقيل بستين ألفاً وقيل بسبعين (٢) — وأمر أن تبنى مدرسة للشافعية والحنفية ، ودار حديث ، وقبة للدفن ، كما ذكرنا .

بدأت عمارتها يوم الأربعاء الخامس من جمادى الأولى سنة ٦٧٦ هـ . ولما أنجز البناؤون القبة ، آخر جمادى الآخرة سنة ٦٧٦ هـ ، حضر الأمير علم الدين سنجر الحموي المعروف بأبي حوص ، والطواشي صفي الدين جوهر الهندي المصري إلى دمشق لدفن الملك الظاهر ، وكان نائبها آنذاك عز الدين ايدمر ، فعرفاه ما أمر به الملك السعيد ، فحمل تابوت الظاهر ليلاً ، وصلي عليه في الجامع الأموي ، ثم دفن في الخامس من رجب سنة ٦٧٦ هـ بالقبة من المدرسة التي أمر ببنائها باسمه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

افتتاح المدرسة : استمر عمل البناء في الظاهرية ، حتى إذا كان يوم الاربعاء الثالث عشر من صفر سنة ٦٧٧ هـ بدىء التدريس فيها — رغم أن بناءها لم يك قد كمل بعد — بحضور نائب السلطنة ايدمر الظاهري وقضاة دمشق .

واجتمع خلق كثير في الايوان الشرقي حيث ألقى الدرس الأول فيه الشيخ رشيد الفارقي مدرس الشافعية . وغصّ الايوان القبلي بالمستمعين للدرس الأول يلقيه فيه مدرس الحنفية القاضي صدر الدين سليمان ابن أبي العز .

(١) السلوك للمقريزي ١/٦٤٦ · والنجوم الزاهرة ص ٢٦٣ .
(٢) قبل إن الدار كانت للشريف أحمد العقيقي ، ثم انتقلت إلى ملك الأمير فارس الدين اقطاي المستعرب الأتابك ، فاشتريت من ورثته وهدمت وبني موضع بابها قبة الدفن .

وفي ذي الحجة سنة سبع وسبعين وستمئة قدم الملك السعيد إلى دمشق فقام ببعض الإصلاحات ، إلا أن المؤامرات كانت تحاك ضده ، فاضطر للرجوع إلى القاهرة ، ثم إلى خلع نفسه على أن تبقى له الكرك سنة ٦٧٨ هـ ، ونُصِّبَ أخوه « سلامش » سلطانا ، وكان في السابعة من عمره ، إلا أن أتابكه سيف الدين قلاوون خلعه واستولى على الحكم ولقب نفسه بالملك المنصور .

وفي منتصف ذي القعدة من العام نفسه توفي الملك السعيد ، ووري بالتربة الظاهرية إلى جانب أبيه (١) ولم تك تلك المدرسة قد تمت بناءً فأمر الملك المنصور قلاوون باتمامها فكان ذلك . وقد سجل اسم بانيها في السطرين الأخيرين فوق بابها الرئيسي بخط نسخي مزهر .

جاء فيها ما يلي : « بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بانشاء هذه التربة المباركة والمدرستين المعمورتين المولى السلطان الملك السعيد أبو المعالي محمد بركة قان ابن السلطان الشهيد الملك الظاهر المجاهد ركن الدين أبو الفتوح بيبرس الصالحي ، أنشأها لدفن والده الشهيد ولحق به عن قريب ، فاحتوى الضريح على ملكين ظاهر وسعيد . وأمر باتمام عمارتها السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحي قسيم أمير المؤمنين خلد الله سلطانه » .

أما سبب تسميتها بالجوانية فذلك تمييزاً لها عن المدرسة الظاهرية البرانية التي بناها الملك الظاهر غازي ابن الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي ، خارج باب النصر بمحلة المنيبع ، شرقي الخاتونية الحنفية ، وغربي الخانقاه الحسامية ، بين نهري القنوات وبانياس على الميدان بالشرف القبلي ، وجعلها على الشافعية (٢) .

---

(١) سجل على قبره ان وفاته كانت سنة ٦٧٦ هـ والصحيح ما أثبتناه أعلاه .

(٢) يذكر الأستاذ صلاح الدين المنجد في كتابه (مدارس دمشق) أنهـا درست . ويقول ابن بدران في منتخب النفائس انها : « محل التكية ، وزاوية المولوية ، وبستان الأعجام » .

أما المدرسة الظاهرية الجوانية — موضوع بحثنا هذا فتعتبر من أهم مدارس دمشق الباقية إلى اليوم رغم انه اعتورها ما اعتور سواها من عشرات المدارس التي كانت عامرة وعاشت ردحاً من الزمن تحت سماء دمشق مثابة للعلم وطلابه ، درسوا فيها القرآن والحديث والفقه والأصول والكلام والطب والرياضيات والطبيعيات والفلك والتاريخ والأدب وسوى ذلك ، والتي لم يبق منها إلا القليل وفي حكم الخراب . فقد درست معالمها وأكلت أوقافها ، واستصفيت معاهدها ولم يبق سوى ذكرها في بطون الكتب والدفاتر .

موقع الظاهرية : تقع الظاهرية من دمشق في حي العمارة بين بابي الفرج والفراديس ، تجاه العادلية (مقر مجمع اللغة العربية اليوم) بينهما طريق باب البريد المفضي إلى الجامع الأموي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شكل البناء : لا يزال مدخل المدرسة على حالته الأولى رغم ما صب التتار على دمشق من ويلات .

ولا ريب أن تحويل قصر العقيقي إلى مدرسة، كان من شأنه تغيير شكل البناء الأصلي فرفعت حوله الجبهتان : الجبهة الغربية وفيها الباب الرئيسي ، والجبهة الجنوبية ، وأقيمت فيها قاعة الضريح التي بنيت عليها قبة على حطتين مضلعتين .

ويظهر أن الحمّام [١] الملاصق للمدرسة من جهتها الشمالية ، والايوان الشرقي كانا من أجزاء الدار القديمة . ويبدو أن مهندس المدرسة « ابراهيم بن غنائم »

(١) حمام العقيقي : لا يزال حتى اليوم بحالة حسنة ، وتسميه العامة حمام « الملك الظاهر » أو « حمام العقيق » . وقد وسم على حساب المدرسة ، ويبدو هذا واضحاً لمن لاحظ نهاية الجدار الغربي للظاهرية .

استوحى تقاليد الفن الأيوبي الماضية التي كانت ماثلة في الدار نفسها، وفي بناء المدرسة العادلية المقابلة. ولعله توخى من ذلك أن يجعل هذين البنائين المتقابلين منسجمين كل الانسجام، وأن يؤلف منها وحدة عمرانية يكمل فيها جمال الأولى روعة الثانية.

وقد أفلح في مسعاه. فالمدرستان تروعان رائيهما فهما رابضتان وجهاً لوجه، كعملاقين جبارين تتحديان الزمن والفناء بروعة وجلال.

إلا أن واجهتي المدرسة الظاهرية الغربية والجنوبية أجمل من نظيرتيها في العادلية بكثير، بل تعتبران من أجمل ما بنى المماليك. وهما مشيدتان بالأحجار المنحوتة المتقنة. وفي أعلاها كوى مستديرة تحيط بها زخارف هندسية متألفة من دوائر متداخلة.[1]

أما المدخل الرئيسي فمبني بأحجار بيضاء، وأخرى وردية اللون، تتوجه نصف قبـــة من المقرنصات البديعة ويعلو الباب ثلاثة صفوف عريضة من الكتابات النسخية المزهرة الجميلة، جاء في الصفين العلويين منها ذكر وقفها وفي الصفين السفليين أسماء بناتها.

وجاءت جملة أخرى في الزاوية الشمالية أعلى الرتاج «عمل ابراهيم بن غانم المهندس رحمه الله». مما دل على أن المهندس عربي من أهل الديار. ولو لم يعف الزمن آثار هؤلاء الأسلاف، ولو عني مؤرخونا بترجمة المهندسين عنايتهم بتراجم المتفقهين والمتأدبين والأطباء مثلاً لعلمنا الحلقات الناقصة من سلسلة حضارة العرب في سورية، لأن هذه المعاهد لم تبنها إلا أيدي أبنائها ووحي عقولهم.

والداخل إلى المدرسة يهبط دركة إلى عتبة المدخل التي يقوم على جانبيها دكتان حجريتان ورديتا اللون، فاذا ما جاز بابها الجميل المزخرف «بالخيط

---

(١) مشاهد دمشق الأثرية، لسليم عادل عبد الحق، وخالد معاذ، ص ٥٩ب اللوحة (٤١).

العربي وجد نفسه في رواق يمتد شمالاً جنوباً ذي ثلاث أقواس ، يحملها عمودان حجريان ضخمان ويرى البناء بأطر باحتها المربعة .

وإلى يمين الداخل في جنوب الرواق تقوم القبة الرائعة (تربة الملك الظاهر وابنه الملك السعيد) . يصعد اليها بدرجتين . وقد نقش على بابها الخشبي وقفها . والقاعة مربعة الشكل ترتفع قبتها نحو ثلاثين متراً على حطتين مضلعتين . تكسو جدرانها زخارف من المرمر الملون والحجر المنحوت ، ولا نعلم فيما إذا كان قد أخذ من مقالع في سورية أو جلب من بلاد غيرها .

ومحرابها آية في زخرفته بالمرمر الملون المجزع المصدف على طريقة « الموزائيك » وبالفسيفساء التي تعد نموذجاً صالحاً لزخرفة القرن السابع ، عدا نقوش دقيقة حفرت في المرمر نفسه ، وأطّرت فتحة المحراب . ويزين جانبيه الآية الكريمة « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله » . ويعلو المحراب قوس من المرمر المطعم غاية في دقة صنعته وبديع رسمه .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي كل من جدران القاعة الثلاثة نافذتان أحيطتا بزخارف وحول الجدران زخارف بالفسيفساء الزجاجية الملونة تمثل قصوراً وشجراً ونقوشاً عربية رائعة ، وفوق هذه الزخرفة ، في منتصف أقواس الجدران فتحت كوى أربع في كل قوس واحدة .

الغربية والجنوبية منها تبدوان من الطريق مزخرفتين ، كما ذكرنا ، بدوائر متداخلة ، وثنتان داخليتـــان في الجدارين الشمالي والشرقي . تطل الشمالية على سطح الرواق القائم في مدخل المدرسة وتطل الشرقية على الايوان القبلي . وقد سدتا فيما بعد لما حولت الظاهرية إلى مدرسة ابتدائية ، وعدل شكل البناء فيها كما سيأتي بيانه .

ويقوم على الجبهة الجنوبية إلى جانب القبة وبمحاذاتها الايوان الجنوبي الذي خصص للحنفية ولا يزال ماثلاً بهيئته السابقة ، القوس والقبة والمحراب ويصعد إليه بدرجة .

أما الايوان الشرقي فقد دثر ولم يبق من قوسه إلا ثلاثة أحجار ، تدل على مشاكلته للايوان القبلي المذكور .

وعلى يساره بينـــه وبين الإيوان القبلي تقوم دار الحديث والتي لا يزال مدخلها واضحاً رغم التعديل فيه .

أما داخلها والجبهتان الشرقية والشمالية فلم يبق من بنائها القديم شيء ، فقد اندثر كله وحل محله بناء آخر يبدو أنه شيد في العهد التركي . وكل ما بقي من الجهة الشمالية قوس صغير يبدو في آخر الجدار الشمالي عن يسار الداخل آخر الرواق .

وهناك أيضاً إلى جوار القوس وفي آخر الجبهة الغربية [عن يسار الباب الرئيسي] باب آخر مسدود الآن لم أستطع أن أصل إلى معرفة ما كانا يشكلان في هذا البناء . هذه الأبنية تأطر باحة مربعة الشكل تتوسطها بركة مربعة الشكل أيضاً .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على كل من الصعب علينا أن نعرف الشكل القديم للمدرسة الظاهرية كاملاً ، ولا سيما جناحاها الشرقي والشمالي — كما ذكرت — اللهم إلا إذا هدم البناء الحالي وفرغت أطرافه ونبشت الأسس لتحديد البناء القديم ، وبذلك نستطيع أيضاً أن نعرف الخطة التي اختطها ابن غانم المهندس المدرسة ؛ عندئذ نتمكن من إعادة بنائها بشكله القديم بالاعتماد على المقارنة والقرينة .

ويستفاد من تراجم بعض من درّس أو دَرَّس فيها ولا سيما في دار الحديث — انه كانت هناك غرف لهم يعيشون فيها — وكان ذلك شرطاً على من يعين شيخاً لدار الحديث على الاقل — ولكن في أية جهة منها ؟ وما شكلها ؟ وهل هي أرضية أم علوية ؟ أمور كثيرة مجهولة من العسير الوصول إليها .

واردات الظاهرية : من السهولة بمكان تقدير واردات الظاهرية الوفيرة ، إذ أن نظرة نلقيها على الكتابات المنحوتة في أعلى بابها الخارجي ، وعلى باب قبتها تدلنا على غنى المدرسة ووفرة أوقافها ، فقد جاء في السطور العلوية المرقومة على الباب الرئيسي ما يلي : « بسم الله الرحمن الرحيم . الذي وقفه على هذه التربة والمدرستين ودار الحديث النبوي الحصة من قرية الطرة من عمل أذرعات ، ومبلغها أحد عشر سهماً وربع ، وثمن سهم من أصل أربعة وعشرين سهماً من قرية الصرمان بكاملها ومن أعمال الشعراء وقرية ازرع بكاملها من عمل نوى ، والحصة من قرية بيت الرامة ، وقرية سوعة وقرية الزراعة من الغور ، ومبلغها سهمان من أصل أربعة وعشرين سهماً ، والحصة من الأشرفية من عمل المرج من بلد دمشق ومبلغها تسع عشر سهماً ونصف من أربعة وعشرين ، والبساتين الثلاثة المعروفة بابن سلام ظاهر دمشق من أراضي السهم الشرقي بسفح قاسيون ، وبستان يعرف بالسبتية ظاهر دمشق على الشرف الشمالي ، وطاحون السبتية اللاصقة للبستان المذكور ، وكرم يعرف بكرم طاعة بمدينة بانياس ، وخان بيت حنا ، وحانوت جوار بساتين ابن سلام . وخان يعرف بالاصطبل ظاهر دمشق ، والسفل الكامل من قيسارية الشرب وذلك في سنة ست وسبعين وستمئة » .

وكانت هذه الأوقاف المذكورة تمدّ المدرسة والقائمين عليها ومن يحيا فيها من طلبة العلم بالخير ، وتكفيهم مؤنة العيش ، وتوفر لهم وقتهم للتعلم والتعليم .

ويحدثنا ابن بدران (١) أن ركن الدين السمرقندي (— ٧٠١ هـ) كان مدرساً للحنفية فيها وناظراً عليها ، وكان يحيا في بحبوحة . ويبدو أنه امتلث

(١) منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ص ١٨١ .

من المال ما أغرى بوابها «علي الحوراني» بقتله، وإلقائه في بركتها وأخذ ماله. وقد عوقب بصلبه على بابها.

ويحدثنا النعيمي (١) نقلاً عن الشيخ تاج الفزاري: أن العلامة رشيد الدين أبا حفص عمر بن اسماعيل الفارقي شيخ الشافعية وجد مخنوقاً في مسكنه بالمدرسة الظاهرية، وقد أخذ ماله، وذلك في شهر محرم من عام تسعة وثمانين وستمئة للهجرة.

ومن استعرض حياة طائفة ممن عمل فيها وجد أن الكل راغب في خدمتها ساع إلى الاستئثار بها أو إلى إيكال أمرها لابن له أو قريب، وأعتقد أن وفرة ريع أوقافها كانت من جملة العوامل التي دفعتهم لأن يظلوا مجاهدين في ميدانها، باثين حب العلم والفضل في نفوس طلابها، مما جعلها تؤدي الخدمة الثقافية المرجوة خلال قرون.

إلا أن هذه الأوقاف بعضها درس وبعضها تناولته أيدي الطامعين ممن لا ضمير لهم، وساءت حال المدرسة يوماً بعد يوم، لولا أن تداركتها العناية الإلهية بطائفة من العلماء ذوي الوعي والضمير، حولتها إلى مكتبة وطنية في أواخر القرن الثالث عشر في فترة كادت تلفظ فيها الأنفاس.

التدريس في الظاهرية:

ذكرنا أن الملك السعيد لما بنى المدرسة الظاهرية إلى جوار تربة أبيه، جعلها على الحنفية والشافعية، وأقام فيها دار حديث.

وقد درس فيها على المذهبين علماء أعلام نذكر أسماء بعضهم لنعرف سوية الثقافة التي كانت تقدمها هذه المدرسة، ولنقف على تطور وضعها الثقافي من القرن السابع الهجري حتى نهاية القرن الثالث عشر.

(١) الدارس في تاريخ المدارس ص ٣٤٨.

كان القرن السابع الهجري فترة اليمن والإقبال على المدرسة الظاهرية الفتية. وأول العلماء الأعلام الذين شهدهم الإيوان القبلي (منبر الأحناف):

قاضي القضاة صدر الدين سليمان بن أبي العز الحنفي الأذرعي [٥٩٤-٦٧٧ هـ] شيخ الحنفية في زمانه وصاحب الجامع الصغير (١).

ثم درس بها الصاحب محيي الدين محمد بن يعقوب النحاس (٢) [٦١٤-٦٩٥] كان متبحراً في المذهب وغوامضه موصوفاً بالذكاء وحسن المناظرة، انتهت اليه رئاسة المذهب بدمشق، وكان — وهذا أمر يلفت الانتباه — معماراً مهندساً كاتباً موصوفاً بحسن الانصاف في البحث. وكان يقول: «أنا على مذهب الإمام أبي حنيفة في الفروع، ومذهب الامام أحمد في الأصول. وكان يحب الحديث والسنة، سمع منه ابن الخباز، وابن العطار، والمرضي، والمزي، والبرزالي، وابن تيمية، وابن حبيب، والقتاني، وأبو بكر الرحبي، وابن النابلسي. وتكفينا نظرة نلقيها على تراجم طلابه هؤلاء لنعرف قيمة هذا الرجل ومن أنجبتهم هذه الدار.

ودرس فيها بعده سنة ٦٩٨ ابنه القاضي شهاب الدين يوسف بن محي الدين ابن النحاس (٣) وتلاهما العلامة ركن الدين عبيد الله بن محمد السمرقندي وكان إماماً عابداً ومن كبار أئمة المذهب، مكباً على المطالعة والتعليم وله ورد، يصلي في اليوم والليلة مئة ركعة، وله حلقة بالجامع. مات مخنوقاً بيد بواب الظاهرية سنة ٧٠١ هـ طمعاً في ماله وخسرت المدرسة بذلك عقلاً مفكراً وروحاً طيبة.

وارتفع في القرن نفسه وفي الايوان الشرقي (ركن الشافعية) أصوات علماء عدة منهم:

(١) شذرات ابن العماد ٣٥٧/٥ ومنادمة ابن بدران ص ١٨١ ودارس النعيمي ٥٤٣/١.
(٢) الدارس: ٥٢٤/١ - ٥٢٥.
(٣) الدارس: ٥٢٨/١.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العلامة أبو حفص عمر بن اسماعيل الربعي الفارقي الدمشقي (١) [٥٩٨ — ٦٨٩ هـ] وكان فقيهاً أديباً مفتناً ، أفتى وناظر ، وبرع في البلاغة والنظر ، وكانت له اليد الطولى في التفسير واللغة . شارك في الأصول والطب والنظر في أحكام النجوم . انتهت اليه رياسة الأدب في عصره ، واشتغل عليه العديد من الفضلاء ومن غريب الصدف أن يخنق (كالسمرقندي) في مسكنه في الظاهرية ويسرق القاتل ماله .

ومنهم الأمير عز الدين ايدمر الظاهري (٢) [... — ٧٠٠ هـ] نائب دمشق ، وهو الذي افتتح التدريس فيها .

ومنهم أيضاً قاضي القضاة تقي الدين عبد الرحمن بن تاج الدين العلائي الشافعي المعروف بابن بنت الأعز (٣) [... — ٦٩٥ هـ] .

أما دار الحديث فقد ولي مشيختها في تلك الحقبة من القرن السابع عدد من الفضلاء أبرزهم :

http://Archivebeta.Sakhrit.com

أبو إسحق اللوري (٤) [٦١٤ — ٦٨٧ هـ] . سمع من ابن رواحة ومن ابن الجميزي وطبقته ، وتفقه وتقدم في الحديث مع الزهد والعبادة والإيثار والصفات الحميدة والحرمة والجلالة .

ومنهم عز الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم الفاروثي الواسطي (٥) [٦١٤ — ٦٩٤ هـ] قرأ القرآن على والده وعلى الحسين الطيبي ، وسمع ببغداد

(١) الشذرات ٤٠٨/٥ ، والدارس ٣٥١/١ .
(٢) الشذرات ٤٥٦/٥ ، والدارس ٣٥١/١ .
(٣) الشذرات ٤٣١/٥ .
(٤) الدارس ٣٥٥/١ .
(٥) الدارس ٣٥٥/١ .

وواسط واصبهان ودمشق . وأخذ التصوف عن شهاب الدين السهروردي ، وروى الكثير بالحرمين والعراق ودمشق ، وسمع عنه كثيرون منهم البرزالي ، كما قرأ عليه القرآن جماعات ، وقال ابن كثير : إن كتبه بلغت ألفي مجلد ومئتين .

وروى الذهبي في عبره أنه كان فقيهاً شافعياً مدرساً فقيهاً عارفاً بالقراءات ووجوهها ، خطيباً واعظاً كريم الأخلاق ، جواداً محبوباً ، غادر دمشق سنة ٦٩١ ﻫ إلى الحجاز لأداء فريضة الحج وانطلق من هناك إلى واسط حيث توفي .

ومنهم أبو اسحق ابراهيم الواسطي ثم الدمشقي الحنبلي[1] [٦٠٢ — ٦٩٢ ﻫ] وكان رجلاً صالحاً ، دعا إلى مذهب السلف الصالح والصدر الأول ، انفرد بعلو الرواية ، ولم يخلف بعده مثله ، وقد ولي في أواخر حياته مشيخة دار الحديث الظاهرية وكان ذلك بعد سفر الفاروثي .

وولي مشيخة الحديث بعده سنة ٦٩٢ شرف الدين عمر ابن خواجا المعروف بالناسخ .

ويطلع القرن الثامن على العالم العربي الاسلامي بعلماء لا يقلون عن سالفيهم علماً وفضلاً ، وعرفت الظاهرية من أحنافهم :

القاضي شمس الدين بن أبي العز الاذرعي الحنفي[2] [٦٦٣ — ٧٢٢ ﻫ] من أعيان الحنفية . كان بارعاً في فنون من العلوم ، درّس في الظاهرية وكان ناظر أوقافها ، وأذن له بالافتاء .

ومنهم الصدر الكبير قطب الدين موسى بن أبي عبد الله محمد اليونيني المؤرخ[3] [٦٤٠ — ٧٢٦ ﻫ] سمع من أبيه ومن ابن عبد الدايم ، وعبد العزيز ، والرشيد العطار ، واسماعيل بن صارم ، وأجاز له ابن رواج والبشيري .

(١) الدارس ٣٥٧/١ .
(٢) الدارس ٥٤٧/١ .
(٣) الشذرات ٧٣/٦ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

روى عنه الذهبي أنه كان عالماً فاضلاً مليح المحاضرة كريم النفس معظماً جليلاً حدّث بدمشق وبعلبك وجمع تاريخاً حسناً ذيل به على مرآة الزمان ، كما اختصر المرآة .

ومنهم كذلك العلاّمة شمس الدين محمد بن عثمان الأنصاري الحنفي الحريري[1] [٦٥٣ — ٧٢٨ هـ] . كان شيخ المذهب ، سمع من أبي اليسر ، وابن عطاء ، والجمال ابن الصيرفي ، والقطب بن أبي عصرون . وقد درس في الظاهرية عوضاً عن القاضي شمس الدين الملطي .

درّس وأفتى . كان وقوراً حسن السمت متين الديانة . منطلق العبارة وروي عنه أنه كان يراعي الإعراب في لفظه ، حتى مع النساء في بيته .

ومنهم أيضاً نجم الدين علي بن داود بن يحيى القرشي القحفازي الحنفي[2] [٦٦٨ — ٧٤٥ هـ] : كان شيخ الأدب في عصره ، إماماً متفنناً وخطيباً مفوهاً ، تميز في الفقه والعربية وغيرهما ، وله ذهن جيد ومناظرة صحيحة وشعر لا بأس به . سمع من البرهان ابن الدرجي وغيره . استلم التدريس في الظاهرية يوم الأربعاء السادس من صفر سنة ٧٢٢ هـ وذلك بعد موت شمس الدين ابن أبي العز الحنفي الأذرعي .

وشهد ايوان الشافعية في هذا القرن من رؤساء المذهب كل عالم فاضل أبرزهم : العلامة صفي الدين أبو عبد الله محمد الهندي الارموي الشافعي[3] [٦٤٤ — ٧١٥ هـ] . كان متكلماً أشعرياً كثير الأسفار . أخذ عن ابن الوكيل ،

---

(١) فوات الوفيات للصلاح الصفدي سنة ٧٢٨ .

(٢) الدارس ٥٤٧/١ ، وذيل العبر اليونيني سنة ٧٤٥ . ذكر النعيمي في دارسه : ٥٢٠/١ ما يفهم منه ان نجم الدين وزين الدين القحفازي هما لقبان لشخص واحد .

(٣) الدارس ١٢٩/١ .

وابن الفخر المصري ، وابن الرمل ، قدم دمشق سنة ٦٨٥ هـ وولي بها مشيخة الشيوخ ، وتدريس الشافعية في الظاهرية وسواها وتصدر للافتاء والاقراء في الأصول والمعقول والتصنيف . أفاد الناس وسلك تلاميذه مسلكه ووقف كتبه بدار الحديث الأشرفية .

ومنهم كمال الدين أبو المعالي محمد بن علاء الدين الزملكاني الشافعي (١) [٦١٦ - ٧٢٧ هـ] : شيخ الشافعية بالشام انتهت اليه رياسة المذهب تدريساً وافتاء ومناظرة ، سمع منه الكثير ، واشتغل على الشيخ تاج الدين الفزاري ، والقاضي بهاء الدين بن الزكي في الأصول ، وعلى بدر الدين بن مالك في النحو . وكان ذا ذهن وقاد ، حسن العبارة جيد الخط . روى الصفدي عنه انه كانت له خبرة بالمتون وكان بصيراً بالمذهب وأصوله قوي العربية ، قد أتقنها ذكاءً ودربهـــا ذكيا ، تلقى العلم على شهاب الدين الخويي وشمس الدين الأيكي وصفي الدين الهندي . يقول الصفدي ولقد رأيته في الظاهرية وفي يده القائمة من الحساب وهو يساوق المباشرين على المصروف فيسبقهم إلى الجمع وعقد الجملة ، ويبقى ساعة ينتظرهم إلى أن يفرغوا ، فيقول : كم جاء معكم ؟ فيقولون : كذا وكذا . فيقول : لا ! فيعيدون الجمع إلى أن يصح .

ولي عدة مناصب هامة ، وقد طلبه السلطان ليوليه قضاء دمشق لما نقل قاضي القضاة جلال الدين القزويني إلى قضاء الديار المصرية ، ففرح الناس بالخبر ، ولكن المنية عاجلته قبل أن يستلم مهام المنصب . له تعاليق مفيدة ، منها قطعة كبيرة من شرح المنهاج للنووي ، وقيل هو أول من شرحه . ومجلد في الرد على شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية في مسألة الطلاق .

(١) الدارس ٣٢/١ . ويذكر الصفدي انه ولد في شوال سنة ٦٦٧ هـ .

قال ابن كثير: « وأما دروسه في المحافل فلم أسمع أحداً من الناس درّس أحسن منها، ولا أحلى من عبارته وحسن تقريره، وجودة احترازاته وصحة ذهنه وقوة قريحته وحسن نظمه .

ومنهم الشيخ الإمام جمال الدين أبو العباس أحمد بن محمد التميمي الدمشقي القلانسي (١) [٦٦٩ — ٧٣١ هـ] .

كان محتشماً عالماً لين الكلمة متواضعاً حسن السمت براً بأهل العلم والصلحاء، اشتغل على الشيخ تاج الدين الفزاري، وتأدب على الرشيد الفارقي.

ولي مناصب عالية دينية ودنيوية، وأذن له بالإفتاء .

ومنهم الشيخ علاء الدين القلانسي أخو جمال الدين السابق الذكر (٢) [... — ٧٣٦ هـ] كان قاضي العسكر، ووكيل بيت المال، ومدرّساً في عدة مدارس؛ حلّ محل أخيه في تدريس الظاهرية.

ARCHIVE http://www.al-maktabeh.com

وفي هـــذه الفترة من القرن الثامن تردد في أجواء الظاهرية صوت جلال الدين أبي المعالي محمد بن عبد الرحمن ... بن أحمد بن دلف العجلي القزويني الشافعي خطيب دمشق (٣). [٦٦٦ — ٧٣٩ هـ] .

كانت له مشاركة في شتى العلوم والمعارف فعرف فقيهاً أصولياً محدثاً، كما عرف أديباً، عالماً بالعربية والمعاني والبيان، ينظم الشعر، وكان كذلك معدوداً بين القضاة والخطباء المفوهين .

---

(١) الدارس ١/١٩٧ .
(٢) الدارس ١/١٩٨ .
(٣) معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١٠/١٤٦ ، والشذرات لابن العماد ٦/١٢٣ .

سكن بلاد الروم فترة ثم قدم إلى دمشق حيث ناب في القضاء ، وولي الخطابة بها ، انتقل إلى الديار المصرية ، ثم عاد إلى دمشق وتوفي بها في ٢٧ جمادى الأولى . ودفن بمقابر الصوفية .

له تصانيف عديدة منها : تلخيص مفتاح العلوم للسكاكي ، والايضاح في المعاني والبيان ، والشذر المرجاني من شعر الأرجاني .

وتردّد بعده صوت العلاّمة بقية السلف مفتي الشام جمال الدين أبو عبد الله محمد بن القاضي محي الدين ، المعروف بابن قاضي الزبداني (١) [٦٨٨-٧٧٦ھ] كان أديباً ، متواضعاً ، يغيث الملهوف ، ويقصده الناس لحل مشكلاتهم .

سمع الحديث ، وتفقه على الشيخ برهان الدين الفزاري ، وكمال الدين بن قاضي شهبة ، وكمال الدين بن الزملكاني ، وأذن له بالفتوى ، ولم يضبط عليه فتوى أخطأ فيها ، لذا كان معظماً تخضع له الشيوخ ، وتسمع له القضاة .

وممن تولى تدريسها أيضاً من الشافعية : أبو العباس شهاب الدين الاذرعي الدمشقي ثم الحلبي الشافعي (٢) [٧٠٨ — ٧٨٣ھ] . سمع على القاسم ابن عساكر ، وأحمد ابن الشحنة ، والصدر عبد المؤمن الحارثي ، وقرأ على الحافظين الذهبي والمزّي ، وكانا يعجبان بقراءته .

أجاز له من دمشق : أبو النصر الشيرازي ، وإسحق الآمدي ، وأبو عبد الله الزرّاد ، ومن مصر : أبو الحسن بن قريش ، وأبو الحسن الواني ، وأبو الفتح الدبوسي ، وصالح الأشنهي ، ويوسف الختني ، وعمر العتبي ، وعبدالله الصواف وسواهم . وقد خرج له عنهم الامام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حجي جزءاً حدث به .

(١) الدارس ٣١١/١ .

(٢) الدارس ٥٦/١ .

تفقه الأذرعي وبرع حتى صار شيخ البلاد الشامية ، وأحفظ الناس لفروع المذهب ، من تصانيفه (قوت المحتاج) و (غنية المحتاج) وكلاهما في شرح (المنهاج) . وله (المتوسط في الفتح بين الروضة والشرح) يعني (شرح الرافعي الكبير) في عشرين مجلدة ، وهو كتاب جليـــل ، وله مختصر « الحاوي » الماوردي .

ومنهم كذلك المفتي البارع نجم الدين أبو العباس أحمد بن عثمان الياسوفي الدمشقي المعروف بابن الجابي [1] [٧٣٦ — ٧٨٧ هـ] .

سمع الحديث ، وتفهمه ، وأخذ الفقه عن الغزي ، والحسباني ، وابن حجي وغيرهم . كما أخذ الأصول عن الشيخ بهاء الدين الأخميمي ، ثم درس وأفتى ، وولي تدريس الظاهرية .

وكذلك القاضي تاج الدين أحمـــد بن فتح الدين ابن الشهيد [2] [٧٥٠ — ٨٠٠ هـ] كان عالماً خبيراً بصنعة الكتابة محبباً إلى الناس . تولى تدريس الظاهرية بعد أن نزل له عنها قاضي القضاة شمس الدين الاخنائي وبقي يدرس فيها حتى مات سنة ٨٠٠ هـ .

أما دار الحديث فقد ولي مشيختها في القرن الثامن هذا عدد من العلماء الفضلاء نذكر منهم :

شرف الدين عمر بن محمد المعروف بالناسخ [3] [٦١٨ — ٧٠٢ هـ] درس فيها بعد تقي الدين الواسطي . سمع من ابن الزبيدي وابن اللتي وفخر الدين

(١) الدارس ١/٢٤١ .
(٢) الدارس ١/٣٢٧ .
(٣) الدرر الكامنة ٣/١٨٩ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابن الشيرجي ومن غيرهم . وكان حسن الخط ينسخ الختمات والربعات ويذهبها ، فعرف بالناسخ ، وكان ديّناً كريماً حسن الشكل من بقايا الفقراء الحريرية ، وله نصيب من ذكر ومشيخة . استلم التدريس في دار الحديث الظاهرية سنة ٦٩٢ ﻫ وبقي فيه حتى نهاية حياته .

ومنهم شرف الدين أبو حفص عمر بن محمد الفزاري [1] [٦٣٢ - ٧٠٢ ﻫ] وقد باشر مشيخة دار الحديث الظاهرية يوم الخميس الثامن من ربيع الأول سنة ٧٠٢ ﻫ عوضاً عن شرف الدين الناسخ . وكان برمّ خلوقاً . وقد حضر دروسه عدد من الأعيان ، ولكن لم يطل عهده فيها ، إذ توفي في العام الذي ولي فيه التدريس عن سبعين عاما .

وأبرز من ولي مشيخة دار الحديث في القرن الثامن .

عفيف الدين إسحق بن يحيى الآمدي ثم الدمشقي الحنفي [2] [٦٤٠ - ٧٢٥ ﻫ] : سمع الحديث على كثيرين منهم مجد الدين بن تيمية ، وكان الآمدي شيخاً فاضلاً ، حسن السمت ، سهل الإسماع ، يحب الرواية . قال الذهبي [3] عنه : « وروى عن ابن خليل وعن عيسى الخياط والضياء صقر وغيرهم . وطلب الحديث ، وحصّل أصولاً بمروياته . وخرج له ابن المهندس معجماً قرأته عليه ، وكان لا بأس به » .

ومن شيوخ دار الحديث أيضاً : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي [4] [٦٧٣ - ٧٤٨ ﻫ] : كان حافظاً مؤرخاً ، وعلّامة محققاً ،

---

(١) الدارس ١/٣٥٧ .
(٢) الدارس ١/٣٥٧ .
(٣) العبر سنة ٧٢٥ ﻫ .
(٤) الشذرات ٦/١٥٣ والأعلام ٦/٢٢٢

ورحّالة باحثاً ، له تصانيف كثيرة تقارب المئة منها : « دول الإسلام » و « المشتبه في الأسماء والأنساب والكنى والألقاب » و « العباب » و « تاريخ الإسلام » و « تذكرة الحفاظ » و « طبقات القراء » و « المستدرك على مستدرك الحاكم » وسوى ذلك .

ومن شيوخها أخيراً : قوام الدين لطف الله الحنفي (١) [٦٨٥ - ٧٥٨ هـ] : كان رأساً في مذهب أبي حنيفة ، بارعاً في اللغة ، عابداً زاهداً . ولي تدريس الحديث بعد وفاة الذهبي ، وأخذ عنه الشيخ محب الدين ابن الوحدية (٢) .

ويطل القرن التاسع للهجرة وتشهد الظاهرية العديد من أعلامه . أبرزهم الشيخ جمال الدين الطيماني (٣) [٧٧١ — ٨١٥ هـ] : أبو محمد عبد الله بن طيمان المصري ثم الدمشقي . نشأ يتيماً فقيراً وصلّى بالقرآن وهو ابن سبع سنين . اشتغل على مذهب الإمام أحمد ، ثم انتقل إلى المذهب الشافعي وتفقه . لزم الشيخ برهان الدين الاسكندراني ، ثم أخذ عن الشيخ سراج الدين البلقيني . وعن الشيخ عز الدين بن جماعة ، أخذ الأصول والنحو والعلوم العقلية . وأقام بالشام يشتغل ، ويفتي ، ويصنف ، ويدرس في عدة مدارس منها الظاهرية . ولم يتكلم إلا معرباً ، روى ذلك عنه الشهاب ابن حجي . مات قتيلاً بمنزله في التعديل في الفتنة التي وقعت بين الناصر وغرمائه ، في صفر سنة خمس عشرة وثمانمئة .

ومن مدرسي الظاهرية في هذه الحقبة وأواخر القرن السابق : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن تاج الدين الأخنائي الشافعي (٤) [٧٥٧ — ٨١٦ هـ] ولي

---

(١) الشذرات ١٦٥/٦ .
(٢) طبقات النحاة للسيوطي .
(٣) الدارس ٢٥٦/١ .
(٤) الدارس ١١٤/١ - ١١٥ .

القضاء في عدة مناطق ثم درّس في الظاهرية ، ونزل له عن المنصب علاء الدين الكركي كاتب السر الذي أخذه عن ابن الشهيد . كما ولي وكالة بيت المال ونظر الجيش ، ولكنه ما وفق في شيء كالتدريس والمشيخة .

ودرّس فيها القاضي العالم والأديب فتح الدين أبو بكر محمد بن ابراهيم ابن محمد المعروف بابن شهيد كاتب السر بدمشق [٧٢٨ — ٨٢٣] (١) اشتغل في العلوم وتفنّن وفاق أقرانه في النظم والنثر . ولي تدريس الظاهرية عوضاً عن ابن قاضي الزبداني الذي نزل له عنها .

وولي التدريس فيها أيضاً شمس الدين محمـــد بن عبد الدايم البرماوي الشافعي (٢) [٧٦٣ — ٨٣١ هـ] : تفقه في شبابه ، وسمع من ابراهيم بن اسحق الآمـدي وعبد الرحمن بن القاري وغيرهما ، كان خيّراً ، متواضعاً ، مصنفاً ، ناظماً ، له ألفية في أصول الفقه ، شرحها في نحو مجلدين ، ويقول عن هذا المؤلف إنه جملة ما حصل طول عمره . كما شرح لامية ابن مالك شرحاً جيداً ، واختصر السيرة . جاور بمكة ثم انتقل الى القاهرة ومنها الى القدس حيث توفي سنة ٨٣١ هـ .

أما دار الحديث فقد عرف أن شمس الدين البهنسي ٨٣١ هـ (٣) تولاّها عصرئذ وكان ساكناً ليناً ، وعرف أنه كان يقرأ البخاري بالجامع القابل للشبلية وغيره .

ودمر القرن العاشر واستمع طلاب الظاهرية إلى الشيخ تاج الدين عبد الوهاب ابن شرف الدين يونس العيثاوي الشافعي (٤) [٩٢١ — ٩٥٨] ،

(١) الدارس ٣٥٣/١ .
(٢) الشذرات ١٥٦/٧ .
(٣) ذيل ابن شهبة سنة ٨٣١ هـ .
(٤) الشذرات ٣٢١/٨ .

قرأ على والده، وعلى الشيخ تقي الدين البلاطنسي، وأبي اللطف المقدسي، وأجازه كما أجازه مفتي بعلبك البهاء بن القصي، والجمال الديروطي، وسمع على التاج العرضي.

نشأ من صغره في طاعة الله متأدباً متواضعاً سليم الفطرة منور الطلعة، دَرّس في الفقه والنحو والتفسير والحديث.

وسمع طلبة العلم في دمشق من أهل القرن الحادي عشر صوت الشيخ رمضان بن عبد الحق العكاري الدمشقي الفقيه الحنفي [٩٨٤ — ١٠٥٦ هـ](١) يدرس في الظاهرية، وكان عالماً بالفقه والعربية متبحراً فيها، وكان غاية في جودة التعليم وحسن التفهيم. وله اطلاع زائد على فروع المذهب.

كما عرفت الظاهرية الشيخ زكريا بن حسين بن مسيح البوسنوي الدمشقي(٢) [٩٢٥ — ١٠٧٣ هـ] وكان يحسن اللغات الفارسية والتركية والبوسنوية والعربية وكان يكتب الخط المليح. وله فضيلة وحسن ومنادمة. مات سنة ١٠٧٣ هـ. ودفن في مقبرة الفراديس.

أما القرن الثاني عشر فقد شهد فيه إيوان الأحناف في المدرسة الظاهرية الشيخ عبد الرحمن بن أحمد القاري(٣) الحنفي الدمشقي، أحد الصدور من أعيان دمشق، تولى أمر تدريس الظاهرية حتى إنه درس بها حين أمر والي دمشق مراد قزك بأن يلازم المدرسون في كل مكان الدروس والإقراء، وقبله

---

(١) خلاصة الأثر ٢/١٦٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) سلك الدرر ٢/٢٨١.

كان واليا دمشق نصوح باشا ثم حسين باشا قد أمرا بذلك . فصار مدرس كل مدرسة يباشر الإقراء ويوكل عنه من يقوم بالتدريس . واستقام ذلك قليلاً ثم عاد الأمر إلى سابق عهده . وكان الشيخ عبد الرحمن حين يقرأ ، يسرد العبارة فإذا صدر منه خلل في بعض المسائل أو غلط لا يقدر أحد على ردّه ؛ وكلهم من الأفاضل ، أجلاء صامتون ناصتون . وكانوا أحياناً يصححون له أماليه قبل أن يقرأها ثم يمليها هو سرداً .

وشهد إيوان الشافعية فيها علي بن الحسين الشافعي المصري[1] نزيل دمشق . كان عالماً فاضلاً ملازماً للتقوى والصلاح حافظاً لكتاب الله . قطن أولاً بالمدرسة الاخنائية الكائنة قرب الجامع الأموي جانب السميساطية ، ثم تحول إلى المدرسة الجقمقية ، ثم إلى الظاهرية ، حيث أقرأ الأولاد القرآن الكريم ، كما أقرأ النحو وغيره .

http://Archive

أما كتب التراجم للقرن الثالث عشر[2] فلم تضع يدنا في يد شيخ واحد درّس أو سمع في الظاهرية لنفهم منه ما آلت إليه هذه المدرسة ، مما يدل على تضاؤل شأنها بَعْدَ عز وبُعد صيت ، واقتصار شيوخها على تعليم الصبية وكأنها آلت إلى كتّاب ، ولم يكن لها ذلك المركز الممتاز الذي تمتعت به قبل اندثار أوقافها على أيدي مختلسيها وذراريهم على مر الزمان .

---

(١) سلك الدرر ٣/٢١٣ .

(٢) كحلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر للشيخ عبد الرزاق البيطار تحقيق حفيده العالم الشيخ محمد بهجة .

والحق أن المدرسة الظاهرية كانت في هذا القرن تحتضر كمدرسة المذهبين ودار حديث ، وأقامت الحكومة التركية فيها مدرسة ابتدائية رسمية تشرف عليها وزارة المعارف .

حتى إذا ما أشرف هذا القرن على نهـــايته ، وكادت ظاهريتنا تلفظ أنفاسها ، أعادها الله إلى الحياة بروح جديدة وثوب جديد ، على يد طائفة من العلماء الأجلاء ، أبرزهم المرحوم الشيخ طـاهر الجزائري ، ومنذ ئذ عرفت بدار الكتب الظاهرية . وتابعت مسيرها عبر الزمن لتؤدي الرسالة التي أخذت على نفسها أداءها على خير وجه .

(يتبع) أسماء الحمصي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التعريف والنقد

التاريخ الحربي الإسلامي

في سلسلة من المؤلفات القيمة

صنع اللواء الركن محمود شيت خطاب

– ٢ –

الكتاب الأول

الرسول القائد

الطبعة الثالثة ، مطابع دار القلم — القاهرة ١٩٦٤ م

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذا كتاب جليل ، فيه تأريخ وفيه علم وفيه متعة ، يجدر بكل عربي ومسلم أن يقرأه ، كما يجدر بكل مؤرخ وعسكري أن يضمه إلى مكتبته ، حلّل مؤلفه بعمق ، ودرس باخلاص ، **الجانب العسكري** من سيرة الرسول الأعظم محمد ﷺ ، مثبتاً فيه مواهب الرسول العسكرية والإدارية ، كاشفاً عن عبقريته الفذّة التي حققت النصر لجيوش المسلمين بتأييد من الله عزّ وجلّ .

أخرجت الطبعة الأولى من الكتاب سنة ١٩٥٨ م المطبعة الإسلامية في بغداد في ٣٧٦ صفحة من القطع المتوسط ، وتولى مؤلفه تقديمه إلى القراء قائلاً : « لقد تحدث مؤرخو السيرة عن معارك الرسول ﷺ باسهاب أو باقتضاب ، ومع ذلك فإن الباحث يخرج من دراسة كل معركة دون أن يلم بكل تفاصيلها

ووقائعها ودوافعها ، ويعود ليسأل نفسه : ما هو موقف الطرفين قبل المعركة ؟ كيف جرى القتال ؟ وما هي الدروس التي نستفيدها من المعركة ؟ إلى غير ذلك من الأسئلة الحيوية الملحة . إن وصف معارك القواد المسلمين ، وعلى رأسهم الرسول ﷺ بهذا الأسلوب الذي لا يقنع باحثاً ولا يشفي غلة دارس ، جعل تاريخ الحرب الحديث يورد أمثلة من أعمال القواد غير المسلمين ... ولا يورد أمثلة من أعمال القواد المسلمين ... بينما يدرّس هذا التاريخ للمسلمين وفي بلاد المسلمين ! » .

ويميط اللواء خطاب اللثام عما كشفه في سيرة الرسول الأعظم قائلاً : « لقد قرأت أكثر كتب السيرة في تدبر وإمعان ، وحاولت أن أستشف منها كل نواحي العظمة التي تتسم بها شخصية الرسول ﷺ ، ولكني وجدت أن **عبقريته العسكرية** التي لا تتطاول إليها أية عبقرية أخرى لأي قائد في القديم أو الحديث ، تكاد تكون متوارية محجوبة لم يتح لها من يكشف أسرارها ويجلي عظمتها بأسلوب حديث يجنح إلى الكشف والتحليل وإبراز المواهب النادرة ، وخاصة من عسكري يستطيع أن يلم بنواحي العظمة العسكرية التي تكمن فيها ويظهرها جلية للعيان . » .

وأخذ اللواء خطاب يعمل جاهداً لتأليف كتاب ، متوخياً فيه تنسيق المعلومات التاريخية وكل ما يتصل بالشؤون الحربية الواردة في كتب السيرة ، وعرضها من جديد بأسلوب بسيط ، فكان كتابه القيم **« الرسول القائد »** : وفي هذا الكتاب سجل المؤلف جميع المعارك التي خاضها المسلمون بقيادة الرسول ﷺ ، عارضاً على قرائه الموقف العام لكل من المسلمين وخصومهم قبل كل معركة ، مبيناً عدد قوات كل منها وأهدافها الحربية ، متحدثاً عن سير الحوادث قبل القتال وأثناءه وبعده ، ومن ثم عن نتائج كل معركة

http://Archivebeta.Sakhrit.com

والدروس التي يمكن أن تستخلص منها من الناحية العسكرية ، ولقد أغفل المؤلف بعض الظواهر الخارقة والمعجزات النبوية التي لا يمكن أن تحدث في الحروب العادية بين فريقين متطاحنين من البشر ، وهي المعجزات والخوارق التي أيّد الله بها نبيه الكريم ، أغفلها المؤلف لا لأنه لا يؤمن بها ، فهو رجل مسلم ، وتلك المعجزات والخوارق - كما يقول - « أمر يؤمن به كل مسلم ، وقد أثبته القرآن بما لا يدع فيه مجالاً لشك أو ريبة » ولكن لأن « الخوارق **لم تكن وحدها أداة النصر** والعامل الذي غلب به الرسول ، والذين يذهبون إلى هذا يسلبونه قوته كقائد ، وكيف يحتذي المسلمون سيرته ويتبعون في الحروب نهجه وسنته ، إذا لم يكن لفنه الحربيّ الأصيل ومواهبه العسكرية النادرة ، الأثر العظيم في ظفره ونصره . إن الخوارق كانت إيذاناً للنبي بأن الله معه لا يتخلى عنه ، حتى يشحذ همته ويثير عزيمته وينبه بكل ما فيه من حواس اليقظة إلى أعدائه المحاربين » .

وينتهي اللواء خطاب في مقدمته إلى القول : « إن المسلم الصحيح هو الذي يقدّر الرسول ﷺ حقّ قدره ، فيعترف بأن كفاءته ﷺ **قائداً ممتازاً** وكفاءة أصحابه **جنوداً ممتازين** ، هي التي أمّنت لهم النصر » .

وخرج كتاب « **الرسول** القائد » من المطبعة ، فقرىء في العراق وبعض **البلاد** العربية ، غير أن ظروف طبعه عام ١٩٥٨ م لم تسمح للكتاب بأن ينتشر في كثير من البلاد العربية والإسلامية ، مما دفع مؤلفه لإعادة طبعه ثانيــــة فكتب مقدمة لهذه الطبعة قال فيها : « الله يعلم أني لم أرد بهذا الكتاب إلا وجه الكريم . وأن أقضي واجباً كنت ولا أزال أشعر بثقل مسؤوليته الجسيمة خدمة للرسول القائد بإظهار ناحية الجهاد في الإسلام مبسّطة في جهاد النبي العربي العظيم ، لهــــذا وافقت على إعادة طبعه ليتيسّر اقتناؤه في أوسع نطاق من بلاد المسلمين » .

واشتد الطلب على هذا الكتاب ، بعد أن نفدت طبعته الثانية أيضاً ، فقامت « **دار القلم** » بإعادة طبعه طبعة جديدة متقنة على ورق صقيل ، بعد أن أعاد المؤلف النظر في الطبعة السابقة فنقحها وزاد عليها بعض الشيء ، فأضحى الكتاب في نحو من ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط ، وهو مزين بعدد من الخرائط والمخططات والرسوم التي توضح موضوعات الكتاب المتضمنة التاريخ الحربي للمسلمين منذ ظهور الإسلام حتى انقضاء عهد الرسول الكريم ﷺ .

* * *

قسم المؤلف كتابه إلى خمسة عشر فصلاً ، اختار لها من آي القرآن الكريم أو من وقائع التاريخ العناوين التالية :

١ — **الحرب العادلة** : تكلم المؤلف في هذا الفصل عن معنى القتال في الإسلام ، وأنه ما شرع فيه إلا لتأمين حرية نشر الدعوة وتوطيد السلام ، كما تكلم عن أهداف هذا القتال وأنواعه ، وكيفية تنظيمه ، وشروط التجنيد من أجله ، ومما أشار إليه المؤلف ، أن التجنيد في الإسلام كان يشمل النساء البالغات ، إلى أن قامت الدولة العباسية ، فأضاف الفقهاء « **الذكورة** » إلى شروط التجنيد ، ويعلق المؤلف على هذا الشرط قائلاً إنه : « **انحراف لا يقره الإجماع** » ، ولما « ذكر » « **الاسلام** » شرطاً آخر من تلك الشروط ، علّق هذا الشرط قائلاً : « ليدافع — المجنَّد — عن بلاد المسلمين عن عقيدة وإخلاص » ونرى أنه كان من المستحسن أن يشير المؤلف في تعليقه هذا إلى إمكان الاستثناء من هذا الشرط في ظروف معينة ، إذا ما رأى الإمام مصلحة للمسلمين تدعو إلى هذا الاستثناء ، وأهم هذه الظروف حالة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

تطوع الذميين التي أشار المؤلف إليها في الفصل نفسه من الكتاب قائلاً : « إن الإسلام أعفى دافع الجزية من الخدمة في الجيش ، والذمي الذي يقبل التطوع في الجيش الإسلامي تسقط عنه الجزية »(١) .

ومما لفت نظرنا في هذا الفصل تعريف الحرب العادلة بأنها : « هي التي توجّه ضد **شعب ارتكب ظلما** نحو شعب آخر ولم يشأ رفعه ، ويشترط فيها : أن تكون مطابقة للقواعد الإنسانية . . . » ولو أبدل المؤلف ـ كما نرى ـ بكلمة « **شعب** » الأولى كلمة « **دولة** » لكان التعريف أرحم بالشعوب والأمم فالظلم ليس من شيمها بمقدار ما هو من شيم « **الدول** » التي تضمها ، أعني ملوكها وحكامها من الطغاة والمستبدين .

٢ ـ **قبل نشوب القتال** : وفي هذا الفصل تكلم المؤلف عن الموقف العسكري للمسلمين منذ قامت الدعوة إلى الإسلام سرًّا ، إلى أن تمّ تنظيم صفوف المسلمين بعد هجرتهم إلى يثرب ، وأعطى القارئ فكرة واضحة عن الموقف العسكري للمسلمين من جهة ولكل من المشركين والفرس والروم من جهة ثانية ، وأجاب المؤلف ، في توضيحه الموقف العسكري للطرفين ، كل من يتساءل عن هذه السرعة الفائقة التي تم بها الفتح الإسلامي وإقامة **دولة الاسلام** العظيمة ، فقد كانت غلبة المسلمين ـ كما يرى المؤلف ـ أمراً يحتّمه ذلك الموقف .

٣ ـ **الدفاع عن العقيدة** : خصّ المؤلف هذا الفصل بالكلام عن دوريّات القتال التي كان الرسول ﷺ يبعث بها من المدينة للنواحي بغاية إشعار المشركين واليهود بقوة المسلمين ، كي يتاح لهم القيام بنشر دعوتهم

(١) أنظر ص ٣٣ .

والدفاع عن عقيدتهم باطمئنان ، وألحق المؤلف بهذا الفصل جدولاً مفيداً ذكر فيه بجانب اسم كل غزوة أو سرية بعثها الرسول الكريم اسم قائدهـا وقائد المشركين ، وتاريخ وقوعها ، والنتائج العسكرية التي أسفرت عنها .

٤ ـ **الصراع الحاسم بين عقيدتين** . في هذا الفصل حدثنا المؤلف عن غزوة بدر الكبرى ، **المعركة الحاسمة الأولى** في تاريخ الإسلام ، وعن كل ما يتصل بها . فتحدث عن قوات الطرفين قبل المعركة وبعدها ، وعن غاية كل طرف منها ، وعن سير القتال وخسائرها ، وعن أسباب انتصار المسلمين المتمثلة في قيادة موحدة وتعبئة جديدة وعقيدة راسخة ومعنويات عالية ، وختم المؤلف الفصل ببيان الدروس المستفـادة من هذه المعركة ، وبقائمة بأسماء شهداء بدر ومن شهدها من المسلمين على اختلاف قبائلهم .

٥ ـ **القاعدة الأمينة** : ويقصد المؤلف بهـا مدينة الرسول الكريم « **يثرب** » ، وقد بين في هذا الفصل كيف قام الرسول ﷺ بتطهير المدينة من اليهود بحصار بني قينقاع ، بعد أن أظهروا عداوتهم للإسلام ، ثم بين كيف فرض الحصار الاقتصادي على قريش بعديد من الغزوات ، وفي نهاية الفصل بين الدروس المستفادة من حركات التطهير هذه التي كانت « **حرباً باردة** » كما تسمى في المصطلح العسكري الحديث ، وبها تم للمسلمين جعل المدينة « **قاعدة أمينة** » للإسلام ، فتم لهم بعدئذ الفوز والنصر المبين .

وكم سيصبح عمل المؤلف جليلاً بالغ القيمة لو استطـاع ـ من أجل طبعة قادمة ـ القيام بزيارة الأماكن التي جرت فيهـا معارك المسلمين الهامة ، ثم وصفها لنا بدقة القـائد الخبير بأرض المعركة ، على أنه يجدر به ـ على الأقل ـ القيام بتحقيق مواضع وأسماء الأماكن التي وردت في أبحـاثه دون الاكتفاء في تحديد مواقعها بما ورد في معجم البلدان أو في كتاب الطبقات

لابن سعد ، أو في غيرهما من المعاجم غير الموثوقة في المعلومات الجغرافية ، خاصة في مثل هذا العصر الذي تغيّرت فيه معالم كثير من البلدان والأماكن أو تبدلت أسماؤهـا ، أو اختلفت تبعيّتها السياسية ، ولنضرب أمثلة على بعض أسماء الأماكن الواردة في ثنايا الكتاب نقتطفها من هذا الفصل ومن غيره من الفصول :

أ ــ في الصفحة ١٤٣ ورد ذكر بني قَيْنُقاع ، الذين تركوا المدينة وساروا نحو بلاد الشام حتى بلغوا « **أذريعات** » وفي هامش الصفحة قال المؤلف : « أذريعات : موضع كائن في منطقة شرقي الأردن حالياً بين أجنادين والشام » وفي الصفحة ٢٣٦ في معرض الكلام على غزوة بني قُرَيْظة ورد أن اليهود عرضوا على النبي ﷺ الخروج إلى « أذْرِعات » وفي هامش الصفحة قال المؤلف : « أذرعات : بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان : انظر معجم البلدان » .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

إن البلدتين المذكورتين في العبارتين السابقتين مقصود بها مدينة واحدة والصياغة الثانية أصح ، على ما ورد في أمهات العربية (١) ، وأذرعات ، بكسر الراء وقد تفتح ، **مدينة سوريّة اليوم** ، وهي مركز إحدى محافظات الجمهورية العربية السورية المجاورة للملكة الأردنية ، واسمها المشهور الآن هو « دَرْعا » بتسكين الراء .

ب ــ في الصفحة ٢٤٣ ورد ذكر سريّة زيد بن حارثة إلى « **حِسْمَى** » وعلق المؤلف في الهامش قائلاً : « حسمى : أرض بادية الشام بينها وبين وادي القرى ليلتان وبين وادي القرى والمدينة ست ليال : انظر التفاصيل

(١) في تاج العروس : أذرعات بلد بالشام قرب البلقاء من أرض عمان تنسب إليه الخمر .. وقال يعقوب في البدء : يذرعات .

معجم البلدان » . وأرض حسمى واضحة على خريطة المملكة العربية السعودية اليوم، وهي واقعة غربيّ تبوك بينها وبين مدين على ساحل البحر الأحمر، وقد أثبت اسمها على الخريطة بصيغة « **حسما** »[١] .

هـ — في الصفحة **٢٩٥** عند الكلام على غزوة « **مُؤْتة** » قال المؤلف في الهامش : « **مؤتة** قرية من قرى البلقاء في حدود الشام . انظر التفاصيل في معجم البلدان . وهي بأدى ـ أدنى ـ البلقاء ، والبلقاء دون دمشق . انظر طبقات ابن سعد » . ومؤتة : موضع في الجنوب الشرقيّ من البحر الميت ، وهو اليوم في **المملكة الأردنية الهاشمية** .

ز — في الصفحة ٣٨٧ ورد ذكر غزوة **تَبُوك** فعلق المؤلف في الهامش قائلاً : « تَبوك : موضع بين وادي القرى والشام ، وهو حصن به عين ونخل . أنظر التفاصيل في معجم البلدان » وكان من حق هذا الموضع الهام أن يشار إلى أن مدينة هامة تقوم فيه اليوم ، وهي من البلدان المعروفة في الشمال الغربيّ من **المملكة العربية السعودية** ، واقعة على الخط الحديديّ الذي كان يصل دمشق بالمدينة .

ح — في الصفحة ٣٩٢ ورد ذكر **البَلْقاء** فنقل المؤلف عن معجم البلدان تعريفها قائلاً : « كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى قصبتها عمان » والبلقاء اليوم أم محافظات **المملكة الاردنية الهاشمية** ، وأهم مدنها عاصمة المملكة « **عمان** » . تليها السلط ثم مأدبا .

---

(١) هذه الخريطة من أحدث وأدق المصورات للمملكة العربية السعودية وقد طبعتها حديثاً « شركة الزيت العربية السعودية » وفي تاج العروس : حسمى بالكسر مقصورة : أرض بالبادية بها جبال شواهق ملس الجوانب لا يكاد القتام يفارقها ... وإليها كانت سرية زيد بن حارثة .

ط — في الصفحة ٣٩٣ ورد ذكر مصالحة المسلمين لصاحب **«أيلة»** ونقل المؤلف في الهامش عن معجم البلدان تعريف هـــذه المدينة فقال: «أيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم (البحر الأحمر) مما يلي الشام وهي آخر الحجاز وأول الشام» وكان من الواجب بيان أن هذه المدينة تقع في شماليّ ما يسمى اليوم بخليج **العقبة** وهي ميناء في **أرض فلسطين** المحتلة جنوبيّ النقب، وكتّاب العصر أصبحوا يرسمون اسمها تقليداً بصيغة **« إيلات »**.

ج — في الصفحة ٢٩٠ ورد ذكر يهود **تيماء**، وعرّف المؤلف هذه البلدة قائلاً: «تيماء: بلد في أطراف الشام، بين الشام ووادي القرى. انظر التفاصيل في معجم البلدان» وبلدة تيماء معروفة اليوم في جنوبيّ الحفرة في الشمال الغربيّ من **المملكة العربية السعودية**، وهي واقعـــة على الطريق الرئيسة بين المدينة وتبوك.

د — في الصفحة ٢٩١ عند الكلام على سريّة أبي بكر الصديق إلى بني كلاب في نجد ورد ذكر ناحية **ضَرِيَّة**، فعرّفها المؤلف قائلاً: «ضرية: قرية في نجد غامرة قديمة على وجه الدهر في طريق مكة من البصرة. انظر التفاصيل في معجم البلدان» القرية المذكورة من قرى نجد المعروفة حتى اليوم وهي واضحة في خريطة **المملكة العربية السعودية** وتقع في الجنوب الغربيّ للقصيم شماليّ الطريق الكبرى التي تصل الرياض بمكة.

و — في الصفحة ٢٩٦ عند الكلام على غزوة مُؤْتَة ذُكر وصول قوات المسلمين **مَعَان** من أرض الشام، وعرّف المؤلف هذه البلدة قائلاً: «معان: مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء، انظر التفاصيل في معجم البلدان» ومعان اليوم مدينة أردنية وهي مركز إحدى محافظات

المملكة الأردنية الهامة ، وتقع على الطريق الرئيسة الواصلة بين عمان وتبوك من جهة ، وبين عمان والعقبة من جهة ثانية .

٦ — **النصر المغلوب** : خصّ المؤلف هذا الفصل بغزوة أُحُد ، فتكلم فيه عن الموقف العام الذي كان عليه المسلمون والمشركون على السواء ، ثم تحدث عن سير القتال ونهاية المعركة مع بيان دقيق عن خسائر الطرفين ، وأسباب نكبة المسلمين ، والدروس المستفادة من هذه المعركة مع دراسة عميقة لنتائجها ، وهل كانت في حقيقتها انتصاراً للمشركين واندحاراً للمسلمين ، أم أنها كانت شيئاً آخر ؟ وأعلن المؤلف رأيه صريحاً بقوله : أنا لا أتفق مع المؤرخين في اعتبار نتيجة (أحد) **نصراً للمشركين واندحاراً للمسلمين** ، لأن مناقشة المعركة عسكرياً ، تظهر انتصار المسلمين على الرغم من خسائرهم الفادحة في المعركة ، ثم ناقش هذا الرأي مناقشة عسكرية رائعة انتهى فيها إلى اثبات أن معركة أحد وإن كانت « **نصراً تعبوياً** » للمشركين فإنها كانت « **فشلاً سوقياً** » ، ثم قال : « **ولا يعد النصر التعبوي شيئاً يذكر إلى جانب الفشل السوقي** » .

٧ — **إعادة النظام** : في هذا الفصل تكلم المؤلف عن التطهير الجديد الذي اضطر المسلمون إليه بعد معركة أحد ، لكي يستعيدوا سمعتهم الممتازة لدى مختلف القبائل العربية ، وذلك بعد أن تكشفت لهم عيوب وعقبات ومشاكل داخلية وخارجية بسبب وجود منافقين بينهم وقيام يهود بالقرب منهم ، وبسبب ما قامت به قريش من تأليب العرب عليهم ، وقد بين المؤلف الغزوات التي قام بها المسلمون في سبيل إعادة النظام إلى صفوفهم ، مع تعداد الدروس المستفادة من تلك الغزوات ، وفي أولها ما أسماه « **الابداع** » ، المتمثل بسرعة الخاطر في إعطاء القرار الحازم الصحيح في المواقف الحرجة ، وذلك من أجل سبق العدو في العمل وإرغامه على تبديل الخطة التي رسمها لنفسه ، وهو الأمر

الذي قام به الرسول ﷺ في هذه الفترة التي خصّ المؤلف هذا الفصل بها ، مما يدل **مزية من أعظم مزايا القائد الكفُؤ** .

٨ — **هازم الأحزاب** : خصّ المؤلف هذا الفصل بـ « **غزوة الخندق** » وسير القتال فيها وأسباب فشل الأحزاب ، والدروس العسكرية المستفادة من هذه الغزوة ، وكيف انتقل المسلمون ، في اليوم الذي انتهت فيه ، من دور الدفاع إلى دور الهجوم ، مصداقاً لما قاله الرسول ﷺ يومئذ لأصحابه : « **الآن نغزوهم ولا يغزوننا** » .

٩ — **القصاص العادل** : وهذا فصل خصّه المؤلف بمحاسبة الغادرين من يهود ومشركين ، فتكلم فيه عن « **غزوة بني قُرَيْظة** » وغيرها من الغزوات ، والسرايا التي أمر بها الرسول ﷺ من أجل توطيد الأمن وتشديد الحصار الاقتصادي على المشركين ، ثم بيّن المؤلف الدروس المستفادة من كل تلك الغزوات والسرايا ومن أهمها ما يُسمى بالمصطلح العسكري « المباغتة » وهي من « أهم مبادئ » الحرب قديماً وحديثاً » ، وقد حرص المسلمون على تطبيق هذا المبدأ في أكثر غزواتهم ، مما ساعدهم على النصر » .

١٠ — **الفتح القريب** : وفي هذا الفصل تكلم المؤلف عن « **غزوة الحديبية** » وعن الموقف الحربي العام بين المسلمين والمشركين ، وعن المفاوضات التي جرت بين هؤلاء وبين النبي ﷺ وانتهت بهدنة انبثق عنها « **عهد الحديبية** » ثم بيّن الدروس المستفادة من تلك الهدنة ، ومن أهمها ما أسماه في المصطلح العسكري « **الضَبْط** » وعنى به انجاز العمل المطلوب على أحسن وجه مع حبس الانفعالات الناجمة عن أي ظرف أو حالة من الحالات الصعبة التي تواجهها القوات المحاربة ، وأوضح المؤلف بعدئذ المزايا القيادية التي تحلى بها الرسول ﷺ ، والتي مهدت للفتح العظيم ومن ثم لانتشار الإسلام بالسرعة العظيمة التي انتشر بها .

١١ — **فترة الهدنة** : تكلم المؤلف في هذا الفصل عن الثمرات التي جناها المسلمون من « **عهد الحُدَيْبِيَة** » ، وعن « غزوة خَيْبَر » التي أثمرت نهاية يهود من الجزيرة العربية ، كما تكلم عن سرايا تأديب الأعراب الذين كانوا يعيثون بالأمن فساداً ، يغيرون على المدن ويغدرون بالناس ؛ وأخيراً تكلم المؤلف عن الغزوات والسرايا التي قام بها المسلمون في هذه الفترة والدروس التي يمكن استخلاصها من كل واحدة منها ، ومن أهم ما تم في الفترة المذكورة قيـــام النبي عليه الصلاة والسلام بتوجيه **كتب إلى ملوك الدول المجاورة** يدعوهم فيها إلى الدخول في الإسلام ، ومنها أيضاً شروق شمس الإسلام على جميع أرجاء الجزيرة العربية .

١٢ — **عودة المستضعفين** : في هذا الفصل حدثنا المؤلف عن أولئك المسلمين الذين نزلت بحقهم الآية الكريمة : « وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ » ، كيف منّ الله عليهم بفتح مكة ، وكيف دخلوها أعزة بالإسلام بعد أن أخرجهم قومهم منها أذلة ، ثم بيّن لنا الدروس المستفادة من معركة الفتح التي وصفها بقوله أنها كانت « **معركة معنويات وتخطيط سليم** » أكثر منها « **معركة ميدان وقتال** » ، معركة انتهت بانتصار عقيدة التوحيد وبتحطيم الأصنام التي كانت تعبد من دون الله .

١٣ — **استثمار الفوز** : وخصّ المؤلف هذا الفصل بالحديث عن « **غزوة حنين** » وبحصار الطائف وسرايا الدعوة ، والدروس المستفادة من كل ذلك .

١٤ — **مولد امبراطورية** : خصّ المؤلف الفصل الرابع عشر من كتابه بالكلام على « **غزوة تبوك** » ، الغزوة التي انتصر فيها المسلمون على جيوش

ARCHIVE

الروم وأذنت بقيام « **دولة الاسلام** » وقد عالج المؤلف الأسباب المباشرة للغزوة وأسبابها غير المباشرة ، مبيناً أهمية الإستعدادات العسكرية والمصالحات التي قام بها الرسول ﷺ في سبيلها ، ثم تكلم عن « **سرايا الدعوة** » التي بعث بها إلى اليمن والشام ، وعن الدروس المستفادة من كل ذلك ، وفي طليعتها تطبيق مبدأ من أهم مبادىء الحرب الحديثة والمسمى « **الحرب الجماعية** » ، ذلك المبدأ الذي أوضحه قائد ألماني كبير من المعاصرين بقوله عن الحروب الحديثة : « إنها تقوم على حرب الأمم ضد الأمم ، ولهذا يجب أن تضع الأمة كل قواها الفعلية والأدبية والمادية في خدمة الحرب ، وأن تكون هذه القوة مخصصة للحرب التالية » .

١٥ — **التطبيق العملي** : واختتم اللواء خطاب كتابه « القائد الرسول » ببحث مقارن عن المبادىء الثابتة التي جاء بها القرآن الكريم والخاصة بأغراض وأهداف وتنظيم ما يسمى بعصرنا الحديث بـ« **الحرب العادلة** » .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد ردّ المؤلف جميع الانتصارات العظيمة التي حققتها جيوش المسلمين بقيادة الرسول ﷺ إلى عوامل عسكرية محضة ، وهي إلى جانب تأييد الله عز وجل لمن اتبع دينه القويم ، تتلخص في الأسباب الأربعة التالية :

أ — قيادة عبقرية .

ب — جنود ممتازون .

ج — حرب عادلة .

د — تردي الموقف العسكري لدى أعداء الإسلام .

وقد شرح المؤلف الكريم كل سبب من هذه الأسباب شرحاً وافيا ، مقارناً كل العوامل التي رافقت معارك الرسول ﷺ بأحدث الأساليب العسكرية ، مبيناً معنى كل مصطلح عسكري حديث استعمله في بحثه كالمباغتة ، والاقتصاد

بالمجهود ، وتوفير الأمن ، والمرونة ، وسبق النظر ، والتعرض ، وإدامة المعنويات ، وحسن الإدارة وغيرهـا ، وكل ذلك بلغة مبسطة سهلة جديرة بالإعجاب والتقدير .

وهكذا انتهى اللواء خطـاب إلى القول بأن الأرض **إنما يرثها عباد الله الصالحون** .

★ ★ ★

يوم بدأت في قراءة كتاب « **الرسول القائد** » وقفت طويلاً عند قول المؤلف في مقدمته للطبعة الثانية : « .. وسيجد القراء الكرام ، **أن الحروب في الاسلام حروب** دفاعية **بكل ما في الكلمة** من معنى ، لا يبدأ المسلمون فيها بالاعتداء على أحد .. » وتداعت عليَّ الأفكار أمام هذه الجملة التي اعتدنا قراءة ما تضمنته من معنى ، في كثير من الكتب والمقالات ، أو سماع مثلها في كثير من الخطب والمحاضرات ، وهي ترد عادة في **معرض الدفاع عن سمعة الاسلام** ونفي ما يزعمه أعداؤه من أنه دين قام على الإكراه وإجبار الناس على الدخول فيه ، أو ترد في معرض الرد على من يزعم بأن دولة الاسلام ما قامت إلا على سواعد رجال بُداة أتقنوا صناعة الموت فحملوا السيف واجتاحوا البلاد المجاورة لهم ، فلما خضعت لقوتهم بعض الشعوب والدول ، أقاموا دولتهم على أنقاض ما هدموه من ممالك .

• •

إن فكرة « **القتال في الاسلام حروب دفاعية لا هجوم فيها** » فكرة تهز مشاعر المسلمين وتطرب لها نفوسهم وتسكن إليها ، كما سمعوها أو قرأوها رداً على هجمات أعداء الاسلام وخصومه ، إذ أن فيها تأكيداً على أن الدولة الاسلامية دولة إنسانية ، لا تحارب إلا **حرباً عادلة دفاعاً عن نفسها** ،

ARCHIVE

كما أن فيها إظهاراً لحقيقة الاسلام ، وأنه **دين الرحمة والسلام** ، لا إكراه فيه ولا اعتداء على أحد ، والله عزّ وجلّ يقول في محكم كتابه : « لا إكْرَاهَ في الدّين » كما يقول : « وقاتِلوا الذينَ يُقاتِلونَكُم ولا تَعْتَدُوا إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُعْتَدِين » .

ولكن هل الآيتان المذكورتان وآيات كثيرة ورد فيها النهي عن الاعتداء أو الأمر بالجُنُوح للسَّلْم ما جنح أعداء الإسلام إليها ، **توقف حكم** آيات أخرى تأمر بـ « **الجهاد** » وتحث المسلمين عليه كقوله وهو أعز قائل : « إنَّ اللهَ اشترى من المُؤْمِنِين أنفسَهُمْ وأموالَهُمْ ، بأنَّ لَهُمُ الجنّةَ يُقاتِلُونَ في سَبِيلِ اللهِ فيَقتُلُونَ ويُقْتَلُونَ وَعْداً عليه حقّاً في التَّوْراةِ والإنجيلِ والقرآنِ ، ومَنْ أوفى بعهدِهِ منَ اللهِ ؟ فاستَبْشِرُوا ببَيعِكُمُ الذي بايَعْتُمْ به وذلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظيم » وقوله تعالى : « يا أيُّها الذينَ آمَنُوا قاتِلوا الذينَ يَلُونَكُمْ منَ الكُفّار وليَجِدُوا فيكُمْ غِلْظَةً واعلَمُوا أنَّ اللهَ معَ المُتَّقِين » ؟ وهل حكم ـ الجهاد ـ الذي يدعو الاسلام إليه **منسوخ بحكم الآيات التي تحرّم الاعتداء** ؟ أو هل أنّ الجهاد في الاسلام **يتمثل في دفع المعتدين** فقط ، ولا يشمل **هجوماً** على عدو لم يبدأ المسلمين بقتال أو ما في حكمه ؟

يكاد الاتفاق بين علماء المسلمين يكون تاماً على أن آيات الجهاد والقتال في القرآن الكريم ليس فيها حكم منسوخ ، بل **كلها محكم يجب العمل به** ، خاصة وأن أكثر آيات الجهاد وردت في سورة التّوبة وهي من آخر سور القرآن نزولاً ، كما أنه ليس في أسباب نزول أو في نصوص آيات الأمر بالامتناع عن الاعتداء أو الإكراه في الدين ، ما يستفاد منه **أي تخصيص أو تقييد لعموم وإطلاق** تلك الآيات ، أي لا يمكن الاستدلال من النصوص بأن آيات الجهاد في القرآن الكريم مخصصة أو مقيدة بآيات أخرى ، وبالتالي

لا يمكن القول اعتماداً على النصوص بأن القتال في الاسلام لا يكون إلا دفاعاً لردّ اعتداء بُدئ فيه ، أو بتعبير آخر لا يمكن القول اعتماداً على النصوص القرآنية بأن **الحرب الهجومية محرمة في الاسلام** .

حقاً إن الإسلام — كما هو صريح النصوص القرآنية — يدعو للسلام ويأمر بالجنوح للسلم كما جنح الأعداء لها ، وحقاً إن الإسلام يحرم الاعتداء ويأمر بعدم مقاتلة غير المقاتلين ، كما أنه ينهى عن تجاوز حدود القتال بقتل غير المحاربين أطفالاً كانوا أو نساء أو شيوخاً أو رجال دين ، ولكن هل **الجهاد في سبيل الله** الذي وصفه الرسول ﷺ : بأنه إحدى شعب الإيمان الثلاث ، ينحصر في **دفع الاعتداء** فقط ، ولا يباح فيه قتال من لم يبدأ القتال الفعلي ؟

يرى فريق كبير من علماء المسلمين ، الذين عالجوا هذا الموضوع في هذا العصر ، أن الجهاد هو الدعوة إلى الاسلام **والقتال في سبيل هذه الدعوة** حتى تنزل الأمم والشعوب على حكم الاسلام ، فإذا نزلت ، فالنـــاس لا يكرهون على الدخول في الاسلام ولكل امرئ عندئذ الدين الذي يرتضيه ، وبعبارة أخرى : الجهاد لا يكون لإكراه الناس على أن يكونوا مسلمين ، بل هو **إعلاء لكلمة الله ودعم لدولة الاسلام** ، لذلك فالجهاد كما يكون حرباً دفاعية يكون **حرباً وقائية** ، وقد يكون **حرباً هجومية** يبدأ المسلمون فيها بالقتال كما اضطروا لها أو وجدوا مصلحة للاسلام فيها .

كما يرى هؤلاء العلماء أنفسهم ، أن فكرة **« الحرب الدفاعية »** وصفاً للقتال الذي شرعه الاسلام ، **ليست فكرة إسلامية أصيلة** ، بل هي فكرة حديثة طارئة نجمت عن احتكاك المسلمين بالإفرنج ، بعد عصور طويلة من الانحطاط والضعف ، فلما بدأ المسلمون نهضتهم الحديثة في القرن

الماضي ، وأخذوا يقرأون ماكتبه الأوربيون عنهم ورأوا المستشرقين منهم خاصة يخوضون في أحكام الجهاد في الاسلام ، وبعضهم ينعي على الاسلام تلك الأحكام ، ويصمه بالوحشية مفترياً عليه بأنه قام على إكراه الناس حتى يكونوا مسلمين ، قام المتنورون من علماء المسلمين يدافعون عن دينهم **بتنزيه الجهاد عن أن يكون غير حرب دفاعية** لا هجوم فيها ولا اعتداء، غافلين عما قد ينجم عن هذا الدفاع من إضعاف لمعنى الجهاد وحطّ من شأنه في دعم دولة الاسلام .

وقد وصل الشك بالمستشرقين ، عند بعض أولئك العلماء ، إلى اتهامهم بدسّ فكرة « **الجهاد حرب دفاعية** » على المسلمين ليقولوا بها ، حتى يفقدوا الجهاد سلطانه على المسلمين ويبطل سحره في جماهيرهم ، لأن بعض ملوك المسلمين بعد أن تجزأت دولة الإسلام إلى ممالك وإمارات لا تجمع بين شعوبها إلا رابطة الدين ، كانوا يحتمون بسلاح التهديد بـ « **إعلان الجهاد** » تجاه مطامع الدول الأوربيّة في بلادهم ، كما كان بعضهم يلجأ إلى إعلان هذا الجهاد كما اشتبك بحرب مع دولة من الدول الأجنبية . والشاكّون بكون المستشرقين أول من قال بالفكرة المذكورة ، لا يفرقون بين أن يكون أول من جرت على قلمه الفكرة ، إن كان من المستشرقين ، **حسن النية** كتبها وهو يعتقد بأنه ينصف الإسلام بها تجاه افتراء علماء قومه ، أو أنه كان « **سيء النيّة** » دسّ الفكرة لتنتشر بين المسلمين فينفلّ سلاح ملوكهم ويفقدوا قوة كامنة في العالم الإسلامي كانت ترهب أصحاب المطامع الصليبية .

لقد كان من حق التأريخ أن يتفرغ متخصص لدراسة حقيقة منشأ الفكرة المشار إليها ، لنعرف وجه الصواب في الدافع اليها ، غير أن أكثر العلماء المسلمين المعاصرين الذين تعرّضوا لدراسة موضوع الجهاد في الإسلام ،

أخذوا فكرة « **القتال في الإسلام حرب دفاعية** » وكأنها فكرة مسلم بها ، استناداً إلى الآيات القرآنية التي تحرم الاعتداء ، وتنهى عن قتال من لم يبدأ المسلمين بالقتال ، حتى إذا ما صدر الجزء الأول من أضخم كتاب في الفقه الإسلامي يبحث فيا يسمى « **العلاقات الدولية** » تأليف الإمام محمد بن الحسن الشيباني(١) ، قام الأستاذ الكبير محمد أبو زهرة ، الذي كتب مقدمة قيمة لهذا الكتاب ، بترديد فكرة « الحرب الدفاعية » محاولاً تفسيرها بتوسيع مفهومها حتى يتلاءم مع مفهوم « الجهاد » فقال(٢) : [.. ومن أجل ذلك شرع القتال في الإسلام ، فقد شرع على أنه أساس لدفع الاعتداء ، قال تعالى : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تَعْتَدُوا إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُعْتَدِين » ونرى في هذا النص الكريم دلالة على أمرين جليلين : أحدهما — أن القتال في الإسلام إنما أبيح لرد الاعتداء ، فهو لا يقاتل إلا الذين يعتدون على أهله ويقاتلونهم . الأمر الثاني — أن يلاحظ من رد الاعتداء أنه أبيح له القدر الضروري للدفاع ، فلا يصح له أن يعتدي فلا يتجاوز حدّ الدفاع . . .] ومن ثم **يستقري** الأستاذ أبو زهرة حروب النبي ﷺ فيجدها كانت لأحد أمرين :

---

(١) كتاب « السير الكبير » للامام الشيباني المتوفى سنة ١٨٩ هـ بشرح الإمام السرخسي المتوفى سنة ٤٩٠ هـ . وقد بدأت جامعة القاهرة بطبعه بطلب من « الجمعية الشيبانية » التي ألفت في أوربة لاحياء ذكرى الإمام الشيباني باعتباره أول من خص القانون الدّولي العام بكتاب مستقل ، وقد مهد الطبعة جامعة القاهرة وعلق عليها الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة وحقق نصوصه الأستاذ مصطفى زيد ، وقد صدر الجزء الأول من الكتاب سنة ١٩٥٨ م . هذا وإن معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية قام أيضاً بنشر ثلاثة أجزاء من الكتاب نفسه بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

(٢) انظر الصفحات ٤٤ ـ ٦١ من طبعة جامعة القاهرة من الجزء الأول لكتاب السير الكبير .

[أولهما : اعتداء بالفعل من الذين قاتلهم ... وليس من اللازم أن يقع الاعتداء بالفعل ، بل قد يكون السبب هو العمل على الاعتداء ... الأمر الثاني : .. أن يقف الملوك والأمراء محاجزين دون الدعوة الاسلامية ، فإنه لا بد للحق من دعاية إليه وأن يكون الناس أحراراً في اعتناقه ..]

إلى أن يقول : [يقرر الجمهور الأعظم من الفقهاء أن القتال في الاسلام ما أبيح للغلبة ولا للمخالفة في الدين ، إنما أبيح لدفع الاعتداء ...]

على أن الأستاذ أبا زهرة ينتهي في كلامه على مفهوم القتال في الاسلام ؛ إلى القول : [وإنه بمقتضى القواعد المقررة في الاسلام : لا يمكن أن تكون الحرب فيه لغير الدفاع وإن لبس الدفاع لبوس الهجوم ..] .

* * *

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

كانت كل هذه الأفكار حول فكرة « القتال في الإسلام لا يكون إلا دفاعا » ، تدور في ذهني وأنا أقرأ مقدمة الطبعة الثانية من كتاب « الرسول القائد » ورجوت في نفسي أن يكون المؤلف موفقاً في معالجة الفكرة المذكورة ، فينتهي بنا إلى ما يتفق وحقيقة أحكام الجهاد في الاسلام .

إن اللواء خطاب ، وهو العسكري الذي يدون تاريخ الحرب في الإسلام ، تبنى في مقدمة كتابه المذكور فكرة « القتال في الاسلام حرب دفاعية » من وجهة عسكرية بحتة ، موضحاً إياها بقوله إن المسلمين لا يبدأون في حروبهم « بالإعتداء على أحد ، ولا يريدون من ورائها إلا حماية نشر الدعوة » وبعد أن درس « أهداف القتال في الاسلام » ردّ على الغلاة الذين يرون أن من غايات الجهاد في الاسلام نشر الدعوة قائلاً : « إن القول بأن غرض القتال في الاسلام هو نشر الدعوة هراء لا يستند إلى الواقع ، ولكن غرض القتال

هو حمـــاية حرية نشر الدعوة ، وشتان بين الغرضين ؛ ومع أن الحرب الاسلامية دفاعية ، لأنها بعيدة عن الظلم والعدوان ، إلا أن هـــذا الدفاع غير مُسْتَكِن ، بل هو دفاع تعرّضي ، كما يسمى في المصطلحات العسكرية الحديثة ، ومعناه أن المسلمين لا يبـــدأون بالاعتداء ، ولكنهم يدافعون عن أنفسهم ضد كل اعتداء بالهجوم لسحق قوات المعتدين (١) » .

وهكذا يكون اللواء خطاب ، في تفسيره معنى « الحرب الدفاعية » أول من يعطي هذه الحرب أقرب معاني « الجهاد في الاسلام » فإنها كما عرّفهـــا تشمل الغايات التي شرع القتال في الاسلام من أجلها ، وإن ظلت في ظاهرها دون « الجهاد » في حقيقته .

(يتبع) عدنان الخطيب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) انظر ص ٤٧١ من الكتاب .

Discription de l'Afrique Septentrional

Traduite par Mac Guckin de Slane

Édition revue et corrigée

Paris 1965

كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب : تأليف أبي عبيد عبد الله ابن عبد العزيز البكري الأندلسي ، المتوفى سنة ٤٨٧ هـ . طبع في باريز طبعة ثانية منقحة سنة ١٩٦٥ مع ترجمة افرنسية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذا الكتاب هو قطعة من كتاب المسالك والممالك للبكري جمع فيه المؤلف أخبار بلاد افريقية الإسلامية المعروفة في زمنه . والمؤلف هو شاعر وأديب ، ومؤرخ ثقة وجغرافي نابغ جمع فيه من أوثق مصادر زمانه أخبار بلاد افريقية الاسلامية المعروفة في زمنه ، وله كتب جليلة ومنزلة علمية محترمة . كان ملوك الأندلس يتهادون كتبه ويتنازعون صحبته . وأهم مؤلفاته كتاب (المسالك والممالك) الذي أفرد منه هذا الجزء . وصف فيه بلاد طرابلس وتونس والجزائر والمغرب والسودان وغانة ، ذكر مدنها المشهورة ، والمسافات فيما بينها ، وأتى على ذكر سيرة أهلها وعاداتهم ، ودون كل طريف عن أحوال هذه البلاد .

وكان المستشرق الفرنسي كترمير (Quatremère) أول من فطن إلى قيمة هذا الكتاب العلمية واهتدى إلى مؤلفه ، ونبه إليه أنظار المستشرقين والجغرافيين إلى أهمية المعلومات والأخبار التي تضمنها الكتاب عن البلاد التي وصفها .

نشر المستشرق المذكور في سنة ١٨٣١ ترجمـــة موجزة لهذا الجزء ، فاشتهر بعدها الكتاب وتطلعت اليه الأنظار . ثم قام دوسلان de Slane بترجمة ثانية كاملة لهذا الجزء ، بعد أن ظفر بعدة نسخ مخطوطة من هذا الكتاب واهتدى إلى مراجع ساعدته على تصحيح الأخطاء وتدارك النقص فيها وتوضيح غوامضها ، وقد وفق في محاولته على الوجه الأكمل واستحق على ذلك الثناء والتقدير .

ج · ع

***

ARCHIVE

الشهداء الحميريون العرب ، في الوثائق السريانية

تأليف أغناطيوس يعقوب الثالث

بطريرك انطاكية وسائر المشرق ، طبع سنة ١٩٦٦ م

هذا الكتاب يحتوي تاريخ الألوف من الرجال والنساء والأطفال الذين استشهدوا في سبيل العقيدة والمحافظة عليها والدفاع عنها ، وبذل الأرواح دونها وقد حقق فيه المؤلف العلامة أرثوذكسية النصارى الحميريين ورد على الأب أنطون صالحاني اليسوعي (ناشر تاريخ مختصر الدول لابن العبرى) القائل ان نصارى نجران لذلك العصر ، كانوا مستمسكين بعروة الايمان الكاثوليكي منتهى الاستمساك ، ناقلاً تحقيقه هـــذا عن كتابه (تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية (ج ٢ ص ١٩٥) وعن غيره من المؤلفين .

وقد ذكر المؤلف في الفصل الرابع من الباب الأول (ص ١٣) وفي غيره من فصول الكتاب ، الحوار المدني دواوين الشهداء من رجال ونساء ، وبين مسروق اليهودي الذي تملك على اليمن فقد كان يضطهد مسيحيي تلك البلاد ويضيق عليهم ليكفروا بألوهية المسيح ويقولوا انه إنسان لا إله ، قائلاً : إنكم إنما تسجدون لشخص مائت ، ادعى أنه ابن الله الرحمن في حين انه إنسان ... ها ان الروم قد أدركوا الآن ان المسيح كان إنسانا بحتاً ، فما بالكم أنتم الآن تضلون وراءه ؟ ألعلكم أفضل من الروم ؟ إننا لسنا نسألكم أن تكفروا بالله خالق السماء والأرض ، ولا أن تسجدوا للشمس والقمر وباقي النيرات ، أو لإحدى المخلوقات ، بل أن تكفروا بالمسيح الذي حسب نفسه إلهاً ، وتقولوا انه إنسان فقط ، لا إله ، ولم يريدوا أن يكفروا بالمسيح وأن يقولوا انه إنسان ولكنهم قالوا في جنونهم انه الإله وابن الرحمن (ص ١٣) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وإن من يقرأ بتدبر وإمعان قول مسروق الملك اليهودي ، ومخالفة النصارى له ، يعلم أن لا خلاف في الحقيقة بينهم ، إذ ان مسروقاً لم يدعهم إلى عبادة نفسه ولا عبادة غيره من المخلوقات ، بل دعاهم إلى عبادة خالق الأرض والسموات رب العالمين ، حيث ان نسطور السرياني الذي جلس على كرسي بطريركية القسطنطينية في سنة ٤٢٨ ز وما عتم أن صرح — خلافاً للتقليد الكنسي بأن العذراء مريم لن تلد كلمة الله ، بل إنساناً بحتاً هو المسيح ، لذلك لا يجوز أن تدعى والدة الإله ، أما المسيح فلم يكن إلهاً ولا ابن الإله ، بل إنساناً (ه ص ١٠) .

وقد كان عدد الأحباش الذين قتلهم الملك اليهودي نحو خمسمائة رجل دعاهم إلى الكفر بألوهية الإنسان فلم يقبلوا .

وقد أحرق الملك اليهودي في نجران الكنيسة ومن دخلها من النصارى وكانوا نحو الألفين، وأحرقوا النساء، كما فعل بالأشياع من الرجال (ص٣٦) منه ثم قتل الراهبات والشابات المتزوجات بعد قتل الرجال، وكان ذلك كله في سبيل دعوى ألوهية المسيح وصلبه، لا في سبيل المسيح نفسه. وقد دعا مسروق أحد قواده ذا يزن، وأمره بجمع نساء نجران اللاتي قتل أزواجهن فبلغن (١٧٧) امرأة، وأخذ ذو يزن ينصحهن ويحذرهن وينذرهن لكيلا يقمن بالعصيان كأزواجهن فيكون مصيرهن كمصيرهم، فأجبن بصوت واحد قائلات: حاشا لنا أن نكفر بربنا وإلهنا يسوع المسيح لأنه الإله والخالق الكل وعقيدة الاسلام بالسيد المسيح معروفة.

ولغبطة البطريرك الشكر على هديته وعلى الوثائق التاريخية التي عالج محتوياتها في كفاية.

محمد بهجة البيطار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أعلام العرب في العلوم والفنون

تأليف : عبد الصاحب عمران الدجيلي

الجزء الأول — عدد صفحاته ٣١٦

الطبعة الثانية — مطبعة النعمان — النجف ١٣٨٦هـ — ١٩٦٦م

هذا كتاب في التراجم ، مرتب على التأريخ الزمني ، فقد بدأ المؤلف بحثه بمقدمة ، ذكر فيها لمحة عن العرب قبل الإسلام ، والجاهلية والإسلام ، فتدوين القرآن والحديث فالفقه والكلام والتفسير ، فاللغة العربية ، فالآداب والفنون ، فالأنساب والتاريخ والجغرافية والموسوعات ، فالعلوم الرياضية والطبيعية والفلسفية .

ثم ترجم لمئة وستة وثلاثين من الأعلام العرب ، المختلفة الثقافات ، والمتشعبة النواحي والاختصاصات ، مرتبة على قدم الوفاة ، فبدأ بأبي الأسود ظالم بن عمر الدؤلي المتوفى سنة ٦٩ هـ ، وانتهى بمحمد بن عبد الملك بن طفيل الأندلسي المتوفى سنة ٥٨١ هـ .

والمطالع لهؤلاء المترجمين يجد كثيراً منهم مشاركين في أنواع من العلوم والمعارف التي كانت معروفة في عصورهم ، ومنهم من برز في ناحية معينة من المعارف بالرغم من مشاركتهم في كثير من فروع العلم .

فتجد من هؤلاء في هـــذا الجزء المؤرخ والجغرافي والنسابة واللغوي والفقيه والمتكلم والمحدث والمفسر والحكيم والرياضي والفلكي والطبيعي والكيماوي والطبيب الخ ...

والطريقة التي اتبعها المصنف في ترجمة العلَم ، فقد ذكر في صدر الترجمة اسم العلم أو لقبه أو كنيته بحسب ما اشتهر به ، مع تأريخي ولادته ووفاته

بالتاريخ الهجري ، ثم أورد مصنفاته المطبوعة والمخطوطة ، وأبان بعض ما غمض من البحث ، فشرحه في حواشي الكتاب ، ثم أورد المصادر والمراجع التي اعتمدها في طلب الترجمة .

وقد اعتذر المؤلف على اقتصاره على ذكر الأعلام العرب المصنفين بقوله : وإذا كان الكتاب قد اقتصر على العرب ، فليس معنى ذلك تجاهل الآخرين أو الغض منهم ، ذلك لأننا ننظر بإكبار إلى كل من خدم العلم والفكر أو اللغة .

ونرى من الفائدة قبل أن نختم هذه الكلمة أن نبدي بعض الملاحظات على هذا الكتاب فنقول : ان عنوان الكتاب « أعلام العرب في العلوم والفنون » لا ينطبق تمام الانطباق على ما حواه من أبحاث ، فلو استبدل ذلك بعنوان « من أعلام العرب في الشريعة والعلوم والآداب » لكان أقرب مطابقة لموضوعه .

وأما ترتيب المؤلف كتابه على التأريخ الزمني حرصاً على ما ظهر فيه من رجالات ومؤلفات بحسب أعصارها وأدوارها ، فهذا ينطبق على التراجم ذات الموضوع الواحد كتراجم رجال الطب أو الفلك أو الفقه الخ ..... فنستطيع بترتيب التراجم على التأريخ الزمني أن نلمس تطور العلم الذي نريد تأريخه وبحثه ، وأما موضوع كالموضوع الذي نحن في صدده ، متشعب النواحي ، متباين الاختصاصات ، فأحسن ترتيب له هو الترتيب المعجمي .

كما نستحسن أن يضاف إلى التأريخ الهجري التاريخ الميلادي تسهيلاً للباحث .

وبالختام نشكر الأستاذ المصنف على ما بذل من جهود في تأليف ونشر هذا الكتاب القيم .

دمشق : عمر رضا كحالة

تاريخ المغرب

تأليف : عبد العزيز بتعبد الله

الجزء الثاني : عدد صفحاته ١٣٦ — ٨٠

نشر : مكتبة السلام ومكتبة المعارف بالمغرب

يتألف هذا الجزء من ١٦ فصلاً وهي :

(١) قيام الدولة العلوية (١) وتجديد وحدة المغرب .

(٢) تطور المغرب في العهد الإسماعيلي (٢) ، وقد ذكر المؤلف فيه الجيش ومحاربة الأجانب ، وبدء حركة التحرير ، ووحدة المغرب وجمع أشتاته ، وظل هذا الملك يكافح في سبيل ذلك أكثر من ربع قرن (١٠٨٣-١١١١هـ) فكان من أبرز الملوك الذين حظي بهم المغرب .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣ — عهد الفترة وفيه ظهرت القلاقل والاضطرابات فقد تولى فيه ثلاثة من الأمراء على العرش الذي اعتلاه المولى عبد الله ست مرات (٣) .

(٤) عهد الاستقرار والازدهار (١١٧١ — ١٢٠٤ هـ) وفي هذا العهد عرف المغرب شيئاً غير يسير من الاستقرار والازدهار ، فقد تمكنت البلاد من تثبيت وحدتها وتحرير عدد من المراكز الأجنبية في ربوعها ، وأضحت

---

(١) هي من أصل حسني من ينبع النخل بالحجاز ، وأول من دخل منهم إلى المغرب هو حسن بن قاسم ، أواخر القرن السابع الهجري ، وأول قائد سياسي من حفدة الحسن المذكور هو مولاي علي الشريف الذي أثار بفاس وجاهد في منتصف القرن الحادي عشر الهجري .

(٢) نسبة لمولاي إسماعيل أحد ملوك هذه الدولة .

(٣) انظر تاريخ المغرب ٢ : ٢٥ ـ ٣٢ .

جيوشها وأساطيلها حاجزاً منيعاً في وجـــه الغزو الأجنبي ، ونظمت الدولة والجيش وساد الأمن ، وانتشر العمران .

(٥) ثورة العبيد وأزمة ولاية العهد [١] ، فلم يكن يبزغ فجر سنة ١١٨٩ هـ حتى تمرد العبيد ضد السلطان سيدي محمد بن عبد الله وبايعوا ابنه المولى يزيد ، وقد استمرت هذه الفتنة سبع سنوات (١١٩٠ — ١١٩٦ هـ) ضعفت خلالها المحاصيل وانتشرت المجاعة .

(٦) المغرب والاستعمار الفرنسي بالجزائر .

(٧) محمد الرابع فذكر سياسته الخارجية والداخلية .

(٨) الحسن الأول الذي بويع بمراكش في رجب ١٢٩٠ هـ ، وذكر اعتناءه بالجيش وسياسته الخارجية .

(٩) النظام السياسي والإداري قبل الحماية الفرنسية ، فذكر العمالات والهيئة الوزارية والحكام والقضاة والحسبة .

(١٠) الصحراء المغربية ، ذكر حدودها ، وتاريخها القديم والحديث .

(١١) الثقافة والفن ، ذكر المدارس والتعليم والأبنية المدنية والعسكرية .

(١٢) أسباب الحماية الفرنسية .

(١٣) المقاومة المسلحة . ذكر تلك المقاومة في الأطلس والصحراء والشمال والجنوب وفي الريف المغربي الخ ...

(١٤) الحماية الفرنسية (١٩١٢ — ١٩٣٥ م) ذكر في هـــذا العهد التنظيم البلدي وموارد الدولة والعملة والمدلية والقضاء الأوربي والتعليم والصحة العمومية والتطور الاقتصادي .

---

(١) انظر تاريخ المغرب ٢ : ٤٢ ـ ٥١ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١٥) الكفاح السياسي ، ذكر تأسيس بعض الأحزاب السياسية كحزب الكتلة الوطنية الذي كان يؤجج الحماس في الشعب كما ينور الفكر العام في أوربا والشرق عن طريق طلبة فرنسا ، ولجنة الدفاع عن المغرب بالقاهرة .

(١٦) ثورة الملك والشعب .. وختمه بقوله : وانصاعت باريز إلى مطامح الملك (محمد الخامس) والشعب فاعترفت بالواقع وعاد الملك الظافر يوم ١٦ يونية (حزيران) ١٩٥٥ م إلى الرباط ليحمل لشعبه وثيقة الاستقلال في خضم من الأفراح كللت ثورة الملك والشعب .

وقد ألحق الأستاذ المصنف كتابه تاريخ المغرب ، بمعجم تاريخي في ٨٠ صفحة ذكر فيه أهم الأحداث والأعلام والأماكن مرتبة على حروف المعجم ، وهي معلومات إضافية لم تذكر في كتابيه « معطيات الحضارة المغربية ، وتاريخ المغرب » ، وبذلك قد قدم خدمة جلى للعاملين في التاريخ جزاه الله كل خير .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ع . ك .

رحلة الشتاء والصيف

تأليف : محمد بن عبد الله الحسيني الموسوي الشهير بـ « بكبريت »
حققه وقدمه وفهرسه الأستاذ محمد سعيد الطنطاوي
كتاب من القطع المتوسط في « ٣٦٢ » صفحة نشره المكتب الاسلامي للطباعة والنشر بدمشق سنة ١٣٨٥ هـ

الأستاذ الجليل الشيخ محمد نصيف من كرام العلماء الحجازيين وهو من خيرة رجال العرب هذه الأيام لكثرة ما أتحف العالم العربي من خدمات علمية جليلة في طباعة الكتب ونشرها والإنفاق عليها ؛ وهذا الكتاب مأثرة من مآثر هذا الرجل الكبير ، وقد كتب مقدمة الكتاب الأستاذ الأديب محمد سعيد الطنطاوي الذي قال في وصفه « وهذا الكتاب الذي بين يديك من هذا النمط يصلح للعلماء ويسهل على العامة يستسيغه ابن الخامسة عشرة ويحتاج اليه خريج الجامعة » ، وهو يقصد بهذا الرأي إلى أن الكتاب يتضمن العلم ، إلى جانب اللذة والإيناس ، فهو من الكتب النادرة التي تعين القارئ على انجازه بلذة وهدوء دونما ملل أو إرهاق ، وهو في الحقيقة من كتب الرحلات التي تنتقل بالقارئ من مكان إلى آخر بحث لا يجد الملل اليه سبيلاً ، لتنوع مناظر الكتاب واختلاف ألوانه وفصوله . فأنت تسير بين صفحاته من شعر إلى نثر إلى قصة إلى وصف ، والكتاب في رأيي أشبه بالقصص لأن ما فيه من حوادث توحي إليك ببعدها عن الواقع والحقيقة مما يجعلنا نعتقد بأن الخيال قد عمل عمله في السرد ، وأن الاختراع قد تدخل في الموضوع ، كما رأينا في قصة روبنسن كروزو وغيرها من القصص التي يقصد فيها إلى اللذة

والحقيقة في آن واحد . وقد كتبها في وصف رحلة قام بها إلى بلاد الروم وذكر فيها ماوقع له في سفرته هذه من العجائب كما قال صاحب المقدمة .

ويلي المقدمة ترجمة للمؤلف منقولة من كتاب « خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر » للمحبي الدمشقي وفيها يصل نسب المؤلف إلى علي ابن أبي طالب « رض » كما أورد فيها طائفة من شعر المؤلف ونثره ، وينتهي الكتاب بعدد من الفهارس : للآيات والأحاديث والكتب والأمكنة والأعلام وأبجدي للشعر وأبجدي عام لمراحل الرحلة .

ولكن الذي لفت نظرنا حقاً هو الشروح التي وردت في ذيل كل صفحة من الكتاب فهي شروح وافية دقيقة تستحق الإعجاب والاطمئنان إلى ماورد فيها من معلومات وهي بقلم المحقق الأستاذ محمد سعيد الطنطاوي .

وإنا لنشارك صاحب المقدمة الرأي بجدوى قراءة هذا الكتاب الطريف لما فيه من معرفة ولذة قد لاتوجدان إلا مصادفة ، وفي عدد نادر من الكتب المطبوعة هذه الأيام .

أحمد الجندي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ديوان الناصري

« الجزء الثاني »

جمعه وعلق عليه : هلال ناجي وعبد الله الجبوري

عدد صفحاته (٣١٠) من القطع المتوسط

من مطبوعات مطبعة العاني ــ بغداد عام ١٩٦٦

هذا هو الجزء الثاني من ديوان الشاعر العراقي الشاب المرحوم عبد القادر رشيد الناصري ، ولقد سبق أن صدّر الجزء الأول من الديوان صديق الشاعر الأديب السيد كامل خميس ، وهو يشتمل على نصف شعر الشاعر ، أما هذا الجزء الثاني فأنيق الشكل والطباعة وقد زين بصورة الشاعر وبنموذج من خطه مما يجمّل الديوان ويضيف إليه ما يغري باقتنائه وقراءته . وقد كتب المقدمة أحد الناشرين الأستاذ هلال ناجي وهي كلمة جمع فيها آراء الأدباء العرب بالشاعر ، كما تعرض فيها لنقد طريقة الأستاذ كامل خميس في جمع وإصدار الجزء الأول من الديوان ، وبين منهجه الجديد في ترتيب هذا الجزء الثاني . ولقد كنا نتمنى أن لاتكتب الملاحظات النقدية التي وردت في هذه المقدمة ، والتي يمكن أن تؤذي سمعة الشاعر في هدأته الأبدية ، من مثل تحويره القصائد ونقل الموضوع من وصف البصرة إلى وصف دمشق . والسرقات التي اتهم بها الشاعر في هجومه على شعر السيد سالم أحمد الأعظمي فقد كان أولى لكاتب المقدمة أن يؤجل هذه الملاحظات ليثبتها في دراسة خاصة يترجم فيها الشاعر ويدرس أدبه دراسة وافية تاريخية يمكن أن يقال فيها كل شيء وبصراحة تفيد التاريخ الأدبي بدل أن تكون نقداً في مقدمة ديوانه خاصة وان كاتب المقدمة قد ساهم في اتهام الشاعر بالسرقة الشعرية كما جاء في الصفحة (١٢) من المقدمة .

والشاعر الناصري من شعراء الشباب الذين **حافظوا** على طريقة النظم العربية كما نقلت عن القدماء فهو محافظ على الوزن والأسلوب العربيين وهو ينظم شعره مضبوطاً من ناحية اللغة والنحو على قدر ما يستطيع ، ويعني هذا أن تجديده ، إن كان له جديد ، قد استقر على المعاني التي تناسب العصر ولم يصـــل رأيه في التجديد إلى محاولة تحوير القوالب والقواعد اللغوية والصرفية والنحوية والعروضية ، وقد رأى كاتب المقدمـة أن الشاعر قد تأثر بالأدب الغربي عن طريق شعراء مصر المجددين كالدكتور ناجي وعلي محمود طه وبعض الشعراء اللبنانيين المستغربين ـ من الغرب ـ كالياس أبي شبكة ولكنني لا أعتقد بصحة التأثير بالواسطة ، والشاعر الذي يتأثر حقيقة هو الذي يقرأ الأدب « المؤثر » بلغته الأصلية ، ولا بد أن يكون ذا قابلية للتأثير فإن من الشعراء من لا يتأثرون إلا بذاتهم ، والتأثر الذي عناه صاحب المقدمة أقرب عندي إلى ما يسمى بالتقليد ، ولعل هذا التقليد لم يتجـاوز العناوين كما في : نهم ، والهيكل المستبـاح ، إشتهاء ، والشباب الدامي ، وغير هذه من القصائد . ولم ينس الشاعر الناحية السياسية فقد تحدث في الاجتماع والسياسة وبخاصة فلسطين والجزائر .

على أن شعر الناصري يتحلى بصفة السهولة والموسيقى اللفظية ، وربما وجد فيه قارئه لذة فنية قد لايجد منها كثيراً في الشعر العربي الحديث .

أ . ج .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

المنتخب من شعر ابن زاكور

عمل عبد الله كنون الحسني

طبع دار المعارف بمصر من سلسلة « ذخائر العرب » عام ١٩٦٦
عدد صفحاته (١٤٦)

الأستاذ عبد الله كنون الحسني عضو مجمع اللغة العربية بدمشق عالم كبير وعلامة شهير خدم اللغة العربية خدمات لاتنسى ، وقد جمع ، حفظه الله ، إلى العلم الغزير ، دقة النظر والقدرة على التمحيص والتثبت مما يقرأ ويكتب ومن أعماله الكثيرة الأخيرة إصداره هذا الكتاب الذي جمع طائفة من شعر ابن زاكور الشاعر المغربي المعروف ، وقد أوضح في المقدمة التي وضعها لهذه المنتخبات الشعرية أن سبب طبع الكتاب هو المشاركة في إحياء الآداب المغربية التي « ظلت منسية طيلة الثلاثة عشر قرنا الماضية » على حد قوله .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد قدم لنا العلامة ترجمة مفيدة للشاعر ابن زاكور ، وصفه فيها بأنه « مفخرة عصره وجيله ، ونابغة بلده وقبيله » وأنه « كان كاتباً وشاعراً ولغوياً ومؤلفاً » وينتهي الكتاب بخاتمة صغيرة ثم بفهرس للموضوعات وآخر للقصائد والأبيات .

وابن زاكور فاسيّ المولد والنشأة أخــــذ العلم عن مشايخها ومشايخ مراكش وتطوان والجزائر ، وقد بدأت حياته في أواخر القرن الحادي عشر للهجرة فكان تاريخ ولادته بعام ١٠٧٥ هـ تقديراً ، كما كانت وفاته عام ١١٢٠ هـ فهو كما ترى لم يعش طويلاً بل مات في عنفوان شبابه .

وقد كان كثير الرحلات في طلب العلم والثقافة مما كان له الأثر الأكبر في اتساع ثقافته واكتمال معارفه . وترك رغم اختصار حياته ، ستة عشر

مؤلفاً في الأدب والشعر واللغة نثراً وشعراً ، وقد قسم واضع الكتاب نثر ابن زاكور إلى نثر علمي ونثر فني حسب الموضوعات التي طرقها في كتاباته ، كما كان شعره على قسمين : الموشح والقصائد هذا من حيث الشكل ، وأما من حيث القيمة الفنية فشعر الشاعر نوعان أيضاً : (الرقيق الجميل السلس العذب) ومنه (البدائي الساذج الشبيه بالأنظام العالية والقريب من أشعار الفقهاء) .

ورتب هذا المنتخب حسب الموضوعات الشعرية : المديح والربيعيات والزهريات ، والغزل والرثاء والنصائح والاخوانيات .

ويشير الأستاذ كنون إلى أنه « تخيَّر » من هذا الشعر ، وربما في القصيدة الواحدة بعض الأبيات وترك بعضها الآخر « حرصاً على ما في بعض الأبيات من سحر وجمال يكونان منمورين بمثالة بعض الأبيات الأخرى وفسولتها » ، وهذا ما جعل اسم الكتاب « المنتخب » وكنا نتمنى لو اطلعنا على الديوان كاملاً كيلا تكون صورة الشاعر ناقصة إذا عرضت على الدرس والبحث ، وهذا رأينا في جمع آثار الشعراء ، فان من الواجب أن يستقصى كل ما قاله الشاعر فيما إذا أريد وضع ديوانه دون اختيار أو اصطفاء .

وقد قدم ابن زاكور نفسه لديوانه هذا بخطبة مسجوعة افتتحها بحمد الله تعالى والصلاة على نبيه ﷺ وتدل الخطبة على إيثار ابن زاكور التكلف في نثره على طريقة أهل عصره في القرن الحادي عشر للهجرة .

أما شعر الشاعر فأول ما يلفت النظر فيه أن العلم قد جنى عليه ولعل القارىء يجد غرابة في هذا القول ، وأقصد بقولي هذا أن الشاعر إذا لجأ إلى الاصطلاحات العلمية والتعبيرات الفقهية ، أو النحوية ، أو الطبيعية ، فان الشعر يصبح أقرب إلى البحث العلمي وهذا مما يعوق خيال الشاعر عن السمو والتحليق ، أو يكون قيداً لهذا الخيال يقعد به عن الارتفاع للوصول إلى المعاني الشعرية والصور الفنية ، وقد لجأ ابن زاكور إلى كثير من

القوافي التي تجنبها الشعراء الكبار من قبله وكأنه أراد بذلك أن يدلنا على كثرة محصوله اللغويّ ، على حين ان الشاعر إنما يحتاج للألفاظ التي تكفيه للتعبير عما يعتلج في صدره من نوازع وعواطف وأحاسيس ، ولا يحتاج إلى ما في المعاجم كلها من ألفاظ قد لا تفيده إلا قليلاً . فالشاعر يأتينا بقصائد من قافية « الزاي » كقوله :

تعززت بذي العزّ   من الشيطان ذي الأزّ
ومما ينسبن فكري   إلى الشخز أو الأز

ولا أرى فائدة في مثل هذا الشعر إلا إذا قصد فيه إلى طرح هذه القوافي أمام القارىء ليحفظها وليعرف بعض معانيها وهو قصد لا يمت إلى الفن بصلة ؛ أو يأتينا بقصيدة من قافية « الصاد » يقول فيها :

أما رضاك عمومه وخصوصه   فمناخة بذرى المنيب قلوصه
وهداك جل هداك يلزم كلّ من   لزم الضلال محيصه وحيوصه
وجداك منسجم الغمائم عند من   لزم اصفراراً من جلالك بوصه

ومما لا شك فيه أن القارىء محتاج إلى المعجم عند قراءة هذه الأبيات ، مهما تكن قدرته اللغوية كبيرة وحصيلته في الألفاظ الغريبة وافرة .

ومما يلفت النظر عنه الشاعر أيضاً أنه لا يتوقى العيوب المعروفة التي يتوقاها الشعراء ويهربون منها ولا يلجئون إليها إلا في الضرورة المبرمة ، وفي القصيدة الأولى من باب المديح ، وهي همزية ، أخطاء عروضية يمكن أن نعتبرها من باب « الزحاف » ولكنا في يومنا هذا نعتبرها كسراً لا يجوز لشاعر أن يأتي به أبداً فمطلع القصيدة هو :

ديوان حبك بالتوفيق مبتدأ .

والبيت كما تُرى من البحر البسيط ، وقد جاءت في هـــذه المقطوعة الأبيات التالية .

وبهداك جذى الأفهام موقدة   يا من به غضب الجبار منطفىء
رقَّتْ سجاياً بنات الفكر وانتعشت   مذ علّها من تُدي مجدكم لبأ
ومنذ حليتها بدر مدحكم   لم يبق في القلب لا رين ولا صدأ

وقد أشرت إلى الكلمات التي ورد فيها الخطأ العروضي ليطلع عليها القارىء .

ومن الغريب أيضاً أن يخطىء هذا الشاعر في القوافي فقد وضع كلمة « منطفىء » وهي مكسورة الفاء قبل الهمزة ، على حين أن قوافي القصيدة كلها مفتوحة ما قبل الهمزة كما هو ظاهر .

ولكن ما مرّ كله لا يمنعنا من القول أن ابن زاكور يملك شاعرية لم تواتها الأيام والظروف وطبيعة العصر لتتفتح وتتكشف فيظهر ما وراءها من نبوغ وسموّ ، فالشاعر لم يستطع التخلص من مستلزمات عصره التكلف الذي انحط فيه الفن الأدبي كله كما لا يمنعنا ما مرَّ من تذوق مثل هذه الأبيات الجميلة :

بروحي من أودى بعقلي حبه   ولم تُسلني عنه كئوس رحيق
يواصلني حتى أفيق من الجوى   ويهجرني حتى أغصّ بريقي
غدوت به من وصله وصدوده   بدار نعيم أو عذاب حريق

آراء وأنباء

أمثلة

من الأغلاط الواقعة في لسان العرب

— ٩ —

(١١٥)

مادّة ج م ع : الجُمْعة .

قال : وزعم ثعلب أن أوّل من سمّى يومَ العَروبة يومَ الجُمعة كعب ابن لؤيّ جدّ الرسول [لا يعني أبا أبيه بل أحد الجدود] وذكر السهيلي أنّ كعب بن لؤي أوّل من جمّع يوم العروبة . ولم تسمّ العروبة الجمعة إلاّ مُذ جاء الإسلام وهو (كعب) أوّل من سمّاه الجمعة فكانت قريش تجتمع إليه فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبيّ ويأمرهم باتباعه وينشد :

يا ليتني شاهد فحواء دعوتِهِ إذا قريشُ تُبَغّي الحقَّ خِذْلانا

فما هذا التناقض ؟ البيت يفهم منه أن كعب بن لؤي لم يعش إلى زمان الرسول وقول المعجم يفيد أنه مرّ أكثر من مئة سنة من جمع كعب للناس وتسميته العروبة الجمعة إلى مجيء الإسلام فكيف يوافق هذا قوله ولم تسمّ العروبة الجمعة إلا مُذْ جاء الإسلام ؟ وبعد هذا أيّد التناقض بنقيض لا حاجة إلى علم الحساب فيه — قال : «وقال ثعلب إنما سمّي يوم الجمعة لأنّ قريشاً كانت تجتمع إلى قصيّ في دار النّدوة» . أفكعبٌ أمْ قصيّ ؟ ولولا اعتقاد البعض أن جدالاً كهذا من الأصلنيّات (الفيلولوجيا) لقلنا أن

لا محلّ له في المعاجم . [الأصلغيات منحوتة من علم أصول اللغات كما سمّاه جلال الدين السيوطي ـ والأصلغي هو الفيلولوجي والتسمية العربية أصحّ لأن معنى اليونانية الحرفي « محبة الألفاظ أو الكلمات »] ولفظة تبغيّ التي في البيت لا يذكرها في ب غ ى .

★ ★ ★

(١١٦)

مادّة جمع :

أورد بيتاً للضبّي :

في فتيـــةٍ كلّما تجمّعت البيداء لم يهلعوا ولم يخِمُوا

وعلّق على إخطـــاء الشاعر تعليق من يميل إلى غضّ النظر ـ قال « ولم يخفَلْ » [بفتح الفاء والفعل من باب ضرب فقط وهو يقول هذا أيضاً في ح ف ل — أمن الذين طبعوا الخطأ ؟ ولكن الضرر واحد] بالحركة (ضمّة الميم في يخمُوا) التي من شأنها أن ترد المحذوف ـ وهذا لا يوجبُه القياس إنّما هو شاذّ » [ولكن على الرحب والسّعة فنثبته في قاموسنا » ! !]

التعبير غير صالح لأنّ الذي أوجب حذف الياء في لم يخِيْمْ هو التقاء الساكنين . ولكن في لم يخيموا لم يجتمع ساكنان فلم يكن داعٍ إلى الحذف . فليست الضمّة على الميم التي أرجعت الياء المحذوفة ـ الياء محذوفة في الفرد وأما كلمة الشاعر يخيمون لجمع ولا علاقة بين هذه وتلك . تدخل لم فتجزم بحذف النون . وسائر الكلمة يبقى كما كان فلم يحدث حذف ورد محذوف .

ثم قال « وهذا لا يوجبُه القياس » . فماذا يعني بكلمة « هــذا » ؟ ما هو الذي لا يوجبُه القياس ؟ أردّ المحذوف أم عدم ردّه كما فعل الشاعر ؟ على أننا نستنتج من قوله إنما هو شاذّ أنه يعني عدم الردّ لأن الشاعر لم يردّ الياء . ولكن المعجم يجب أن يكون واضحاً من غير استنتاج ممّا يلي .

★ ★ ★

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١١٧)

مادّة ق ف ف .

قال : القفّان معرّب قبان الذي يوزن به ... قال الأصمعي قفّان قبان (مثلثة تحتية) بالباء التي بين الباء والفاء أعربت بإخلاصها فاء وقد يجوز إخلاصها باء لأن سيبويه قد أطلق ذلك في الباء التي بين الفاء والباء .

هذا مظهر من عبادة الفرد . وعبادة الفرد مثل عبادة الأوثان . ألأنّ سيبويه أطلقها (الباء (P) الأعجمية) إلى فاء أو باء ؟ أم لأن P متوسطة بين صوتيْ B و F قلنا الخيار في تحويلها إلى إحداهما . هذا المبدأ هو الذي حمل سيبويه على إطلاقها ولا شكّ لأنه كان مفكراً . ولكنّ الأمة العربية أطلقتها فقالت مال القبان (بالموحدة) ليس لأنّ سيبويه أطلقها بل لأن المبدأ الذي عمل في سيبويه لم يُطْلِع بل عمل في الأمّة كما عمل في سيبويه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

★ ★ ★

(١١٨)

مادّة س ف ر ـ سفير .

قال : « قال أوس بن حَجَر :

وفارقت وهي لم تجرب وباعَ لها   من الفصافص بالنُّمّيِّ سِفْسِيْرُ »

وفي مادّة ق ر ف يقول : « قال النابغة :

وقارفت وهي لم تجرب وباعَ لها   من الفصافص بالنُّمّيِّ سِفْسِير »

فلمن البيت ؟ أأوس قائله أم النابغة ؟ وما هو الفعل في أوّل البيت ، فارقت بمعنى رحلت أو قارفت بمعنى أوشكت أن ؟

شارح ديوان الذبياني ، « أحد أفاضل العصر مستعيناً بكتب اللغة » أثبته في ديوان النابغة ولكنه رواه « وفارقت » لكي يصير البيت بلا معنى ولم يشرح .

* * *

(١١٩)

مادّة ر ك ن - يركُنُ - يركَنُ .

قال « ركَنَ يركُنُ وركِنَ يركَنُ - « ولا تَرْكَنوا إلى الذين ظلموا » - قُرِئ بفتح الكاف من ركِن (بكسر الكاف) يركَنُ رُكوناً » .

هذا صحيح ففعل ركن يأتي من باب نصَر وعلِم - وهو كافٍ تفسيراً وهدايةً . ولكنّه لم يكتفِ بل شوّه ما قاله بدخوله في مماحلات المتماحكين فقال : « وقال بعضهم ركَن يركَن بفتح الكاف في الماضي والمضارع وهو نادر » . فمن هو ذلك « البعض » أو من هم الذين قالوا مخالفين المبدأ الأساسيّ « المفتوح العين في الماضي الصحيح إن لم تكن عينُه أو لامُه حرفاً حلقياً لا تُفتح عين مضارعه » .

قال « وهو نادر » - كان عليه أن يقول « وهو خطأ - وهو قول فاسد » . ثم امتدّ إلى قول كراع : « ركِن يركُن » وهو نادر أيضاً - كسْرُ العين في الماضي وضمّها في المضارع ليس من أبواب اللغة - فقال الذين ادّعوا صحّة الرواية إنه من « تداخل اللغتين » وهذا معناه خلط باب في باب - فالادّعاء والمخالفة والتخليط وقبـــول الشواذّ لأنه هكذا رُوي أمور نفّرت الطلاّب من لغة لا تدانيها لغـــة أخرى في سلامة النظام القائم على أحكام العقل ولا في اتساق المنطق . ومتى ساد النظام طاب الدّرس .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١٢٠)

مادّة ن و ز ـ نيروز

قال : « والنَّيْروز والنَّوروز أصلُهُ بالفارسيّة نيع روز وتفسيرُهُ « جديد يوم » .

وقال المصحّح على الهامش « وقد عرضناهُ على « مُتْقِن » من علماء اللغة الفارسية فلم يعرفْهُ » [لم يعرف « نيع » . هذا مقبول ولكن من هو ذلك المتقن الذي لم يعرف « نيروز »] والغريب أن صاحب اللسان بعد تفسيرهِ نيع روز بجديد يوم (وفاتهُ أن النعت في الفارسية يتقدم على المنعوت فلم يقل يوم جديد على الترتيب العربي) لم يذكر معنى النيروز .

قال الفيروزابادي « النيروز أوّل يوم من السَّنة مُعرَّب نوروز » . روز معناها يوم ، و«نو» جديد مثل Neu ، neuf ، néos ، new ، Novo ، لأن الفارسيّة آريّة في قِوامها . ولأنهم كانوا يبتدئون السنة في « نيسان » صار النيروز عندنا نزهة أوّل الربيع (طلعوا إلى النيروز — عملوا نيروزاً) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

★ ★ ★

(١٢١)

مادّة أ ر ق :

كتب طالبٌ في مقالة مطلوبة منهُ : « وما بين حديث لطيف وموسيقى وطعام وشراب أرقنا في بيت فلان إلى نصف الليل » . فلما سُئِل عن أرقنا قال « هكذا وجدتها للأستاذ فلان في الكتاب الذي جمعَهُ وفسَّرَ ألفاظَهُ لتلاميذهِ ففيه أرق أو سَهِرَ » . وصدق في قولِهِ لأن ذلك الأستاذ نقل

عن محيط المحيط : أرق سهر بالليل (تمييزاً عن سهر بالنهار) ومحيط المحيط نقل عن القاموس والفيروزابادي يقول الأرق السهر بالليل . ولسان العرب يقول الأرق السهر . وإذا أنصفنا فعلينا أن نصحح ونقول إن الأستاذ أخذ عن اللسان ، ولا يُفهَم لماذا قال اللسان الأرق السهر وبعد قليل روى عن الأزهري « ذهاب النوم بالليل [هنا بالليل كلام صحيح لأنه لا يُقال أرق لمن لم يستطع النوم في النهار] وروى أيضاً عن ابن سيده « ذهاب النوم لِعلّة » .

★ ★ ★

(١٢٢)

مادة فرش : فرّاش .

لا يذكر كلمة فرّاش ـ وذلك على ما يجب أن نُرجّح لأنها لم ترد في ما نقل عنه . ولكنها وردت في كتب الأدب . جاء في الأغاني « وخرج الأخطل فلقي فرّاشاً لعبد الملك » . وورد أيضاً : قال ابن عبّاس تغدّينا يوماً عند الوليد بن عتبة فأقبل الفرّاش بصحفةٍ الخ ...

★ ★ ★

(١٢٣)

عرّف أبو البقاء التفسيرَ بقولِه : هو العبارة عن الشيء بلفظ أسهل وأيسر من لفظ الأصل . أما ابن منظور "فَفَسَّرَ « الفِرْش » بقولِه شيء كالشاذكونه . فأي الكلمتين أكثر وضوحاً لمن يجهلها ؟ قد يحزر الفرش حزراً وأما الشاذكونه وما أدراك ما الشاذكونه ، فلنبحث عن تفسيرها في اللسان.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في شذن ، شكن ، ذكن ، شوذ – غير موجودة ، على أن الطالب العربي يجدها في المعجم الفارسي شادگونه (بالدال المهملة والكاف الفارسية) ومعناها الدثار أو اللحاف أو (في اللغة الدارجة) المضرّب أو الجودلة أو الطرّاحة .

★ ★ ★

(١٢٤)

مادّة غمس – الغموس .

قال : « اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في الإثم ثم في النار ، وهي اليمين الكاذبة الفاجرة ، هي أن يحلف الرجل وهو يعلم أنه كاذب » والفيروزابادي قال القول ذاته – وكل ما قاله منار الحقيقة – أما الزمخشري فإنّه أصاب رغم الاختصار . قال اليمين الغموس الشديدة . وقال المتنبي :

أو حلفوا بالغموس واجتهدوا   فقولهم خاب سائلي القسَمُ

فهل مدحهم بأنهم يكذبون في اليمين ؟ والذي عرض نفسَهُ لنقمة المنصور برفضه تسليم من أجارَهُ وقال : « إني حلفت يميناً غموساً فاحتمل ليميني يا أمير المؤمنين » هل تعمّد الكذب لما أقسم ؟ فاليمين الغموس هي اليمين المؤكّدة المغلظة التي تغمس صاحبها في الإثم إن حنث فيها .

★ ★ ★

(١٢٥)

مادّة د ر ع .

قال « الدرع لبوس الحديد تذكّر وتؤنّث – حكى اللحياني درع سابغة ودرع سابغ ، وقال أبو الأخزر مقلّصاً بالدرع ذي التغضّن (أكّد

قوله' انها تذكّر) وتصغير درع دُريع بغير هاء على غير قياس لأن قياسه' بالهاء وهو أحد ما شذّ من هذا الضرب .

ولكن لماذا على غير قياس ؟ إذا كان درع مذكراً كما قال فتصغيره' دُريع على القياس؟ .

* * *

(١٢٦)

مادّة و س ع .

تقرأ المادّة كلها — وهي تملأ صفحتين فلا تمر على جمع للصفات المشتقة من وسع : فلا جمع واسع ولا جمع وسيع ، وضبط الجمع في المنزلة الأولى مثل ضبط التفسير؟ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

(١٢٧)

قال : « الغَلْص قطع الغلصمة ، والغلصمة رأس الحلقوم » ومع هـذا وضع لفظة غلصمة في مادّة غلِمَ أي هاجت شهوته' الجنسية أي الانسانية .

وسبب هذا الحُيود عن المعقول أنّه تصوّر أن الحرف الزائد في الرباعي إنما هو الحرف الثالث ، مع أن الزائد قد يكون الأول مثل ترمس (من رَمَسَ) أو الثاني مثل جرثم (من جثم) أو الثالث مثـــل قعور (من قعر) او الرابع مثل برهن (من بره) . وإذا كان الأصل والزيادة غير محققين فالأفضل أن تورَد الكلمة على ترتيب أحرفها كما فعل غيره' .

* * *

(١٢٨)

نظرة إلى اختلاط الضمائر وعدم الضبط في التعبير :

في و ث ر قال : وفي الحديث أنه نهى عن مِيثَرة الأُرجوان وهي وِطاء محشوّ يترك على رحل البعير تحت الراكب والميثرة مِفعلة من الوثارة والأرجوان صِبْغ أحمر يُتخذ كالفراش الصغير ويُحشى بقطن أو صوف يجعلها الراكب تحتهُ على الرّحال فوق الجمال [على كم من الجمال يركب ؟] .

* * *

(١٢٩)

مادّة ت ق ن .

قال : « أتقن الشيء أحكمه ، وإتقانهُ إحكامهُ والاتقان الإحكام للأشياء » . [هذا تكرير لا فائدة منه] ورجل تِقْنٌ وتَقِنٌ متقن للأشياء ـ حاذق ـ وتِقْنٌ اسم رجل كان جيدَ الرمي يُضرب به المثل . وابن تِقْن (كعب بن تِقْن) اسم رجل يحسن الرماية ـ أرمى من ابن تقن ـ » انتهى تفسير الألفاظ ، وما يأتي تعليـــــل « أصلغيّ » : قال : « قال أبو منصور (الأزهري في تهذيب اللغة) : الأصل في التِقْن ابن تِقْن هـذا ثم قيل لكل حاذق بالأشياء تِقْنٌ ومنه يُقال أتقن فلان عملَه إذا أحكمهُ وأنشد شمّر لسليمان بن ربيعة بن دبّاب (وفي نسخة ابن ريّان) .

أهلكنَ طسماً وبعدَهم غَذيّ بهم وذا جُدُون
وأهل جاشٍ وأهل مأربٍ وحيّ لقن والتُّقْنُون
واليُسر كالعُسْر والغنى كالعدم والحياة كالمنون

(قال المصحح : « كذا في الأصل وحرّر الوزن » وأما نحن فلا نفهمون !) .

فجمَعَه على تقون لأنه' أراد تِقناً ومن انتسب إليه والتّقون من بني تِقْن بن عاد منهم كعب بن تِقْن وبه ضُرب المثل فقيل أرمى من ابن تقن . انتهى التعليل ؛ هذا تفظيع : جعل الأزهري اسم الرجل أصلاً [من غير استناد بل لإمكان التصوّر] وجعلَ الصفة والفعل مُخرّجين منه' . أي أنّ عاد سمّى ابنَه' تِقْناً وتِقْنُ' سمّى ابنه كعباً فبرع في الرماية فقالوا أرمى من ابن تِقْن ثم توسّعوا فقالوا لكل حاذقٍ تقناً ثم أخرجوا فعل أتقن [من باب دحرج أي بالزيادة المطلقة لا بالاشتقاق النظامي مثل أكرم لأنّه' لا ثلاثي منه] بمنى عمله بحذق كحذق ابن تِقْن في الرماية .

خيال' أبي منصور رَسَم صورة بديعة كبداعة الأسطورة التي اخترعها الفرنسي الذي أراد أن يبيّن علّة تسمية الجبل القريب من مكّة جبل الفرخ (جبل قُزَح بالمزدلفة — قرأ الفرنسي اسمه من غير نقط فأخذ يتردد بين فرح وقُرَح وقَرْح وفرخ وقرح فرجّح الفرخ) ولكن جمال التصور لا يثبت الصحّة ، والأبيات التي استشهد بها أبو منصور ونقلها ابن منظور « لكسّار تفلّهم » ليس من أهل الثقة شهادة على من رضي بها .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

في العربية واليونانية ألفاظ لم يأخذها اليونان عن العرب ولا العرب أخذوها عن اليونان — هي ألفاظ (على ما نرجّح) ورثتها العربية من الأم الشامية ودخلت في أصول لغة الإغريق وفق امتزاجهم بالمهاجرين الفينيقيين واليونانية في طور التكوّن : مثل آفة ، أفعى وأوفس ؛ وقَرْن وخرونش ، وجامع وغاميَّا الخ — ومن ذلك تحنّي (تكني) وتقن — فاللفظة العربية مثل مُدّ وأب وبنو (ابن) وأخو وأخت وأمة وبيت ودن وديّان وأدمّى وشمّت وأفيل الخ موروثة ، والذي يفضل عدم التنقيب الدقيق يقول ان تقن مأخوذة عن اليونانية ، وعلاقة اليونان بالعرب قبل الإسلام كانت قوية

فبلاد الشام كانت لغتها الغالبة اليونانية وتجار اليونان كانوا يرتادون مرافىء البحر الأحمر وكانت لهم مستعمرة عامرة في سقطرة من أيام المكدوني ، وكان اليمنيون يقولون للمفتاح إقليد وهو في اليونانية كليدي وقس عليه (هـــذا بحث طويل ليس هنا موضعه) ، وورود لفظة أتقن في الآية « صُنْعَ اللهِ الذي أتقن كل شيء » لا ينفي شيئاً مما تقدم .

* * *

(١٣٠)

مادّة ق ر ش .

قال : « قال عديّ بن الرِّقَاع » :

وإذا تَشَبَّرْتَ لَهُ الثناءَ وجدْتَهُ   ورِثَ المكارِمَ طُرْفَها وتِلادَها

(طُرُف جمع طريف) أراد طُرُفَها بضمّ الراء فأُسْكِنَ الرّاء تخفيفاً وإقامةً للوزن » ـ أخطأ في قولِه تخفيفاً ـ فالشاعر سكّنَ الرّاء محافظة على الوزن فقط ـ وأيّ ثِقَلٍ في قولنا وأنتّى شئتِ ياطُرُقِي فكوني ؟ وفي قولنا ليس من يقطع طرقاً بطلاً أتخفيف أم إقامة وزن ؟

* * *

(١٣١)

مادّة ر و ح .

في تفسيره الرّوح قال : الرُّوح إنّما هو النَّفَس الذي يتنفّسُهُ ... وهو بالفارسية جان (جيم بثلاث نقط) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذه حذلقة إذ لامسوّغ للتفسير بمرادف فارسي ـ وعلاوة على هـذا أخطأ ـ فالكلمة الفارسية مغلوط فيهـا وقد يكون الغلط من المصنّف أو من الناشر ـ روح بالفارسية جان (بنقطة واحدة) ولفظها دْجَان ـ أما چان بثلاث نقط فلفظها تْشان ولم أرَ في القاموس الفارسي بهذا الحرف إلا چانه ومعناه الفكّ الأسفل .

* * *

(١٣٢)

مادّة أ خ و .

قال : « وجائز أن يكون أحد الأنبياء أخاهم سنه من قومهم فيكون أفهمَ لهم بأن يأخذوه عن رجل منهم » هذه العبارة للزّجّـــاج نقلها واضع المعجم ولم يعترض على استعماله التفضيل أفهم من الرباعي أو من المفعول والباء في بأن ؟

* * *

(١٣٣)

مادّة أ خ و .

قال : والأخت أنثى الأخ ، صيغة على غير بناء المذكّر والتاء بدل من الواو وزنها (وزن أخت لا التاء) فَعَلَة فنقلوها إلى فُعْل وألحقتها التاء المبدَلة من لامها بوزن فُعْل فقالوا أخت [لايذكر موجباً ولا مسوّغاً فليتأمّل القارىء في قوله] وليست التاء علامة التأنيث كما ظنّ من لاخبرة له بهذا الشأن .... قال الخليل تأنيث الأخ أخت وتاؤها هاء . انتهى

التعليل الذي لا أساس لهُ ولا معنى فاللفظة موروثة مثل أخو وأبو وبنو والموروث لا تعليل ولا جدال في أصلِه إلاَّ عند الذين وضعوه من ألوف السنين ونحن لم نقف بعد على أحوال السلف القديم .

★ ★ ★

(١٣٤)

مادة خ ر ش ـ ب ص ر ـ أ ب س .

يروي بيتاً لابن مرداس على ثلاث صور !

إن تكُ جُلمود بِصْرٍ لا أُؤَبِّسُهُ أُوقِدْ عليهِ فأُحميهِ فينصَدِعُ

إن تَكُ جُلمودَ بَصْرٍ لا أُوَبِّسُهُ أُوقِدْ عليهِ فأَحميهِ فينصدعُ

إن تكُ جُلمود صَخْرٍ لاأُؤَبِّسُهُ أُوقِدْ عليهِ فأَحميهِ فينصدعُ

(١) بصر بفتح الباء وكسرها (بمعنى واحد) وصخر . ولكن ما الذي قالهُ الشاعر ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٢) في أبس حيث يقول « صخر » قال : ورواها ابن برّي « بصر » فلماذا لم يذكر الراويَ في خرش وبصر ؟

(٣) في بصر قال أُوَبِّسُهُ بفتح الواو بلا همزة ـ فحوّل الفعل من أبس إلى وبس وفعل وبس غير وارد في اللسان ـ

(٤) في خ ر ش قال أُحميهِ بضمّ الهمزة أي أن الماضي أحمى (رباعي) .
وفي بصر وأبس قال أَحميهِ بفتح الهمزة أي أن الماضي حمى (ثلاثي) .
وهو القائل في ح م ي أحمى الحديدة في النار ولا تقولُ حَمَيْتُها .

وكم دعوتُ إلى الله أن يغلط المنضّد (عند إعادة الطبع) في تنضيد الغلط فيعود تنضيدُهُ صحيحاً .

★ ★ ★

(١٣٥)

مادّة ث غ و .

نقل مثلاً ورد على صورة واحدة عند الجميع أي حيث وثبت القرارة الأولى وثب القرار كلّه . قال « ماله ثاغية ولا راغية الثاغية الشاة والراغية الناقة » وهذا مثل قولنا لا مّه دينار ولا مئة دينار وقول أحدهم « عندنا من كرم المولى مايضمن لنا رفاهية العيش ويسدّ الرمق » في النفي يقدّمُ الكثير وفي الإيجاب يقدّم القليل – لاراغية ولا ثاغية .

* * *

(١٣٦)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مادّة ص ب ع

قال : « الأُصبَع واحدة الأصابع تذكّر وتؤنّث وفيه لُغات : إصبُعٌ إصبَع إصِبَع أُصْبُع أُصبَع أُصيع أصبُع أُصْبَع أُصْبِيع أُصْبُوع [كان يكفيه القول حرّكها كما تشاء] الأنملة » – أطال الشرح في اللغات العشر وحرّكها كلّها وفسّرها بأنملة ولم يحرّك أنملة وأخطأ في تفسيره فالأنملة ليست الأصبع إنما هي الفصل المتطرف الذي فيه الظفر وهو أيضاً قال هذا في ن م ل .

يتبع : (سنپولو) توفيق داود قربان

***

نسخة ثالثة من كتاب

(ما بنته العرب على فعالِ)

لأبي الفضائل الحسن بن محمد الصغاني

نشر المجمع العلمي العربي بدمشق هذا الكتاب في سلسلة مطبوعاته سنة ١٩٦٤ وكنت قد تمت بتحقيقه عن نسختين مخطوطتين له وقفت عليها ، هما نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق ، ونسخة خزانة (أولو جامع) في بروسه بتركية . وقد وصفت النسختين في المقدمة التي قدمت بها للكتاب .

وفي رحلتي إلى استانبول في صيف سنة ١٩٦٥ اطلعت على نسخة مخطوطة ثالثة للكتاب ما كنت رأيتها قبل طبعه . وقد دلني عليها الأخ السيد رمضان ششن من قسم اللغة العربية بكلية الآداب في استانبول . فله الشكر والفضل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذه النسخة محفوظة في خزانة الشهيد علي باشا ضمن مجموعة برقم ٢٧١٩ ، في الأوراق [١٠٨ ا — ١٢٤ ب] منها . وهي نسخة قيمة مقروءة على المؤلف ، ومقابلة على أصله المكتوب بخطه ، بسماع عبد المؤمن ابن خلف بن أبي الحسن الدمياطي . وقد صحح المؤلف ذلك وكتب بخطه في آخر السماع . وتساوي هذه النسخة بذلك النسخة الظاهرية في قيمتها وجلالة قدرها . ولكنها لاتختلف عنها في شيء يذكر . وقد ثبت لي ذلك بمقابلة الكتاب المطبوع بها .

الدكتور عزة حسن

وفاة عالم جليل

نعى مجمع اللغة العربية بالقاهرة المغفور له الأستاذ الكبير حامد عبد القادر وهو أحد أعضائه العاملين الذين شاركوا بنصيب وافر في أعماله وأبحاثه . والفقيد ركن من أركان اللغة العربية وعلومها المتوارثة ، كان عالماً باللغات السامية وعلاقتها بالعربية بالإضافة إلى تمكنه في علوم التربية والتدريس . خلف مؤلفات عديدة في اللغة والتربية والأدب والتاريخ ، وكانت حياته طرازاً رفيعاً لجهد الأستاذ المربي والباحث المجلي . حصنه الله بنفس زكية أوتيت الدماثة والتواضع اللذين يتحلى بها العلماء الأصلاء .

وإن مجمع اللغة العربية بدمشق ليعرب بهذه الكلمة عن عميق حزنه لهذا المصاب الأليم ويقدم إلى مجمع القاهرة وإلى زملائه وعائلة الفقيد أصدق التعازي ويسأل المولى تعالى أن يتغمده برحمته وأن يجزيه عن خدماته للغته وعروبته أوفى الجزاء .

شكر

ورد إلى رئاسة مجمع اللغة العربية عدد كبير من البرقيات والرسائل من المجامع العلمية واللغوية والأعضاء المجمعيين في مختلف الأقطار الشقيقة وغيرها وهي تتضمن التعزية بالفقيد الكبير المرحوم الأستاذ عز الدين التنوخي نائب رئيس المجمع، والمجمع الذي كان الفقيد عضواً من أبرز أعضائه حقبة طويلة من الزمن ثم نائباً لرئيسه ، يشكر السادة الذين تفضلوا بمواساتنا وتعزيتنا بالفقيد الكبير، سائلين الله تعالى أن يعوض الأمة العربية عنه خير العوض .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تصويبات الجزء الثاني من المجلد (٤١)

ص	س	الخطأ	الصواب
٢٥٠	٩	ينفلر	تنظر
٢٥٠	١٤	الكناني	الكتاني
٢٥١	١٤	احيت	احببت
٢٥٢	٨	الشمس	النفس
٢٥٥	٢١	لَبَيْلِي	لَيْلَى

فهرس المجلد الأربعين

الجزء الأول

صفحة

٣ قاسم بن ثابت السرقسطي وكتابه في غريب الحديث . الأستاذ عز الدين التنوخي
٢١ حياة الالفاظ . . . . . الأستاذ شفيق جبري
٢٦ أدب الفقهاء (٥) . . . . . الأستاذ عبد الله كنون
٤٠ نظرات في المعجم الوسيط (١٢) . . . الدكتور عدنان الخطيب
٥٨ محمد بن سلام (١) . . . . . الدكتور علي جواد الطاهر
٧٦ نظرة في معجم المصطلحات الطبية، استدراك وتعقيب (١١) الدكتور حسني سبح
٩٩ الغزالي في دمشق والقدس . . . . الأستاذ عبد اللطيف الطيباوي
١١٢ الاصطلاحات الفلسفية (٢٤) . . . . الدكتور جميل صليبا
١٢٩ كلمات من المغرب الأقصى (٢) . . . . الأستاذ عبد القادر زمامة
١٣٥ من تراثنا الضائع ، تائية دعبل الثانية . الدكتور عبد الكريم الأشتر
١٤٣ مدرسة سالرنو الطبية (١) . . . . الدكتور فيصل دبدوب
١٥٠ طرر على معجم الأدباء (٣) . . . . الأستاذ عبد العزيز الميمني
١٥٦ أغلاط المنجد (٣) . . . . . الأستاذ منير العابدي

التعريف والنقـــد

١٦٣ رسوم دار الخلافة } الأستاذ عارف النكدي
١٦٧ الوزراء والكتاب }

١٦٨ الـكاظمي في ذكراه الثلاثين } الأستاذ محمد بهجة البيطار
١٧٠ سنن الترمذي }

١٧٢ عروبة المدن الإسلامية . . . . . الأستاذ نظير زيتون
١٨٢ حسان بن ثابت ، حياته وشعره . . . الأستاذ أحمد الجندي

١٨٤ معالم وأعلام في بلاد العرب (الجزء الأول) } الأستاذ عمر رضا كحالة
١٨٧ المستدرك على الكشاف }

١٨٩ الإسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة . الأستاذ عز الدين التنوخي

آراء وأنبـــاء

١٩٠ أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق في سنة ١٣٨٥/١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م
١٩٣ أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون . . .
١٩٧ ملاحظات شتى لغوية وعلمية . . . الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي
٢٠٣ أمثلة من الأغلاط الواقعة في لسان العرب (٦) الأستاذ توفيق داود قربان
٢٠٩ بيان عن أعمال مجمع اللغة العربية بدمشق (١٩٦٤–١٩٦٥) الأستاذ جعفر الحسني
٢١٥ إهداء كتب ، أغلاط مطبعية وتصويبات . . . .

الجزء الثاني

صفحة

صفحة	الموضوع	الكاتب
٢١٧	تأويلات	الأستاذ شفيق جبري
٢٢٢	الاصطلاحات الفلسفية (٢٥)	الدكتور جميل صليبا
٢٤٥	أدب الفقهاء (٦)	الأستاذ عبد الله كنون
٢٥٩	نظرات في المعجم الوسيط (١٣)	الدكتور عدنان الخطيب
٢٧٥	محمد بن سلاّم (٢)	الدكتور علي جواد الطاهر
٢٩٠	طرر على معجم الأدباء (٤)	الأستاذ عبد العزيز الميمني
٣٠٢	الشهاب الشاغوري	الدكتور عمر موسى باشا
٣١٣	أبو عبد الله المقري	الأستاذ عبد القادر زمامة
٣٢٥	أضواء على ماهية معركة ذات الصواري	الأستاذ عبد المنعم مختار
٣٣٧	مدرسة سالرنو الطبية (٢)	الدكتور فيصل دبدوب

التعريف والنقد

صفحة	الموضوع	الكاتب
٣٥٢	من كنوز السنة ، رسائل أربع	الأستاذ محمد بهجة البيطار
٣٥٩	مع صبحي في كتابه عن أدب المهجر	الأستاذ سامي الكيالي
٣٦٨	العراق في الشعر العربي والمهجري	الأستاذ أحمد الجندي

آراء وأنباء

صفحة	الموضوع	الكاتب
٣٧١	الشيخ محمد البشير الإبراهيمي عالم الجزائر	الأستاذ محمد بهجة البيطار
٣٧٤	ظهور نسخة ثانية من كتاب الإتباع لأبي الطيب	الأستاذ عز الدين التنوخي
٣٧٧	آراء واستفتاء	الأستاذ عارف النكدي
٣٨٢	تحقيق حول لفظتي : المرافد والمشادّ	الأستاذ محمد عبد الغني حسن
٣٨٨	أمثلة من الأغلاط الواقعة في لسان العرب (٧)	الأستاذ توفيق داود قربان
٣٩٢	تصويبات الجزء الأول والثاني من المجلد (٤١)	

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجزء الثالث

صفحة

٣٩٣ دعوى الصعوبة في تعلّم العربية . . . الأستاذ عز الدين التنوخي . .
٤٠٥ الأسلوب هو الرجل . . . . . . الأستاذ شفيق جبري . .
٤١٢ الاصطلاحات الفلسفية (٢٦) . . . . . الدكتور جميل صليبا . . .
٤٢٥ أدب الفقهاء (٧) . . . . الأستاذ عبد الله كنون . .
٤٣٣ نظرات في المعجم الوسيط (١٤) . . . الدكتور عدنان الخطيب . .
٤٤٨ أبو يعقوب الخُرَيمي (١) . . . . الدكتور علي جواد الطاهر . .
٤٧٠ طرر على معجم الأدباء (٥) . . . . الأستاذ عبد العزيز الميمني .
٤٨٧ ابن الرومي (شاعر لم ينصفه التاريخ) . الأستاذ أحمد الجندي . .
٤٩٥ مدرسة سالرنو الطبية (٣) . . . . الدكتور فيصل دبدوب . .

التعريف والنقد

٥١٠ كتاب المعتمد في أصول الفقه . . .
٥١٧ تفسير القرآن الكريم . . . } الأستاذ محمد بهجة البيطار . .
٥٢١ [النسائيات] من الأحاديث النبوية الشريفة
٥٢٤ التاريخ الحربي الإسلامي (١) . . . . الدكتور عدنان الخطيب . .
٥٣١ الشذرات تأليف الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي
٥٣٣ فن الترجمة في الأدب العربي . . . } الأستاذ أحمد الجندي . . .
٥٣٥ صور قروية . . . . . .
٥٣٦ البيت في حياة العرب . . . .

آراء وأنباء

٥٣٨ وفاة المرحوم الأستاذ عز الدين علم الدين التنوخي (نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق)
٥٤٢ وفاة المرحوم الشيخ محمد رضا الشبيبي . . . .
٥٤٤ الهائف والأضخومة . . . . . . الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي
٥٤٦ أمثلة من الأغلاط الواقعة في لسان العرب (٨) الأستاذ توفيق داود قربان .
٥٦٨ تصحيح تاريخ وفاة النضر بن شميل . . . .

الجزء الرابع

صفحة

٥٦٩ الموسوعة العربية الميسرة . . . . . . الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي
٥٧٩ أسكل عصر لغة . . . . . . الأستاذ شفيق جبري . .
٥٨٦ أدب الفقهاء (٨) . . . . . . الأستاذ عبد الله كنون . .
٦٠٠ نظرات في المعجم الوسيط (١٥) . . . . الدكتور عدنان الخطيب . .
٦٠٧ أبو يعقوب الخريمي (٢) . . . . . الدكتور علي جواد الطاهر .
٦٣١ طرر على معجم الأدباء (٦) . . . . الأستاذ عبد العزيز الميمني .
٦٤٢ الخراج والنظام الضرائبي في مصر الأموية . الدكتور عبد المنعم مختار . .
٦٦١ المدرسة الظاهرية (١) . . . . . السيدة أسماء الحمصي . . .

التعريف والنقد

٦٩١ التاريخ الحربي الإسلامي (٣) . . . . الدكتور عدنان الخطيب .
٧١١ كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب . الأستاذ جعفر الحسني . .
٧١٢ الشهداء الحميريون العرب ، في الوثائق السريانية . الأستاذ محمد بهجة البيطار
٧١٥ أعلام العرب في العلوم والفنون . . } الأستاذ عمر رضا كحالة .
٧١٧ تاريخ المغرب . . . . . . }
٧٢٠ رحلة الشتاء والصيف . . . . . }
٧٢٢ ديوان الناصري (الجزء الثاني) . . . } الأستاذ أحمد الجندي . .
٧٢٤ المنتخب من شعر ابن زاكور . . . . }

آراء وأنباء

٧٢٨ أمثلة من الأغلاط الواقعة في لسان العرب (٩) . الأستاذ توفيق داود قربان .
٧٤٢ نسخة ثالثة من كتاب (ما بنته العرب على فعال) . الدكتور عزة حسن . .
٧٤٣ وفاة عالم جليل (الأستاذ حامد عبد القادر) . . . .
٧٤٤ شكر . تصويبات الجزء الثاني من المجلد (٤١) . . . .